

# راى برادبوري القصص القصيرة

المجلد الأول (٤)

ترجمة وتقديم: رءوف وصفى



عابث

رای برادبوری  
القصص القصيرة  
(المجلد الأول)

(٤)

ترجمة وتقديم: رءوف وصفي



## المحتويات

٧	٤١- الهيكل العظمى
39	٤٢- الرجل القاطن بأعلى
63	٤٣- الممسوس بالنيران
87	٤٤- المبعوث
105	٤٥- الجرّة
132	٤٦- السفاح الصغير
167	٤٧- من عليه الدور؟
232	٤٨- عفريت العلبة
263	٤٩- الرحيل
272	٥٠- التعويذة
298	٥١- آلة السعادة
318	٥٢- مكالمة إلى (مكسيكو سيتي)



## الهيكل العظمى

كان الوقت متأخراً فعلاً لرؤية الطبيب مرة أخرى.. واستدار السيد (هاريس) عند مدخل السلم فى وهن.. وفى طريقه صاعداً إلى أعلى السلم رأى اسم الدكتور (بيرليه) مطلياً بالذهب على سهم موجه إلى عيادته.. ترى هل يندهش الدكتور (بيرليه) عندما يراه داخلياً؟.. على أى حال هذه هى الزيارة العاشرة له حتى الآن.. كما أنه ليس لـ (بيرليه) أن يشتكى، فقد حصل على أجره نظير الكشف!

نظرت المريضة ملياً إلى السيد (هاريس) وهى تشعر ببعض السرور.. ثم سارت على أطراف أصابعها إلى الباب الزجاجى وفتحتته وأدخلت رأسها. وظن (هاريس) أنه سمعها تقول: "خمن من هنا يا دكتور".. وكان رد الطبيب بصوت خافت: "عجباً!.. جاء مرة أخرى؟".. وابتلع (هاريس) ذلك على مضض.

عندما دخل (هاريس) إلى حجرة الكشف، زمجر الدكتور (بيرليه) قائلاً: "آلم متواصل فى عظامك من جديد، لا شك فى ذلك".. ثم عبس وضبط نظارته وقال: "عزيزى (هاريس)، لقد تم حك جلدك بأنعم مشط



متجاوز الأسنان وفرش بكتيرية عرفها العلم.. أنت مضطرب الأعصاب فقط، والآن دعني أرى أصابعك.. أنت تدخن كثيراً.. ودعني أشم رائحة نفسك.. إنك تفرط في تناول البروتينات.. أرني عينيك.. واضح أنك لم تحصل على ما يكفي من النوم.. طبعاً تريد أن تعرف رأيي؟.. حسناً.. اذهب فوراً إلى السرير وتوقف عن الإفراط في أكل اللحوم، ولا تدخن بعد الآن.. هذا كل شيء.. الحساب عشرة دولارات من فضلك.

وقف (هاريس) وهو مقطب الجبين ورفع الدكتور بصره إليه من على الأوراق وقال له: "أمازلت هنا؟.. أنت مصاب بمرض المراف (١) وحسابك الآن أحد عشر دولاراً!".

سأله (هاريس): "لكن ما الذي يسبب الألم في عظامي؟".

تحدث الدكتور (بيرليه) إليه كما يتحدث إلى طفل: "لقد كنت تعاني دائماً من ألم في إحدى عضلاتك ولكنك واصلت تهيجها وإثارتها وحكها.. أى أنك زدتها سوءاً بمواصلة تهيجك لها.. ثم تركتها وشأنها ومن ثم اختفى الألم.. أدركت حينئذ أنك تسببت في معظم الأذى لنفسك.. هذه يا بني هي الحقيقة.. كل المطلوب منك أن تترك نفسك وشأنها.. واشرب جرعة من الماء المالح.. والآن انصرف من هنا وابدأ رحلتك إلى (فينيكس) التي قمت بها منذ شهور.. السفر سوف يساعدك كثيراً!".

---

(١) الخوف الوهمي على الصحة. (المترجم).

بعد خمس دقائق تصفح السيد (هاريس) دليلاً للهواتف المبنية بصيدلية بركن الشارع.. إن المرء يحصل عادة على التعاطف من أشخاص مغفلين مثل (بيرليه).. ومرت أصابعه على قائمة من إحصائى العظام ووجد واحداً اسمه (م. مونيجانت).. ولكن اسم (مونيجانت) كان ينقصه لقب دكتوراه فى الطب أو أى لقب أكاديمى آخر، بيد أن مكتبه كان فى الجوار، بعد ثلاث بنايات فى الشارع ثم مبنى واحد إلى اليمين.

كان (م. مونيجانت)، مثله مثل مكتبه، صغيراً، أسمر، وكانت تفوح منه رائحة اليوردفورم<sup>(٢)</sup> وصبغة اليود<sup>(٣)</sup> وأشياء أخرى.. لكنه كان مستمعاً جيداً وأنصت باهتمام بعينيه اللامعتين. وعندما تحدث إلى (هاريس)، تكلم بتبرة رقيقة ولكن كلماته كانت تخرج بصفير خفيف، بلا شك بسبب استخدامه لطقم أسنان معيب.

تحدث (هاريس) بإسهاب عن كل شىء.

أوماً السيد (مونيجانت) برأسه عدة مرات، فقد شاهد حالات كثيرة كهذه من قبل، تتعلق بعظام الجسم، إن الإنسان لا يدرك مدى أهمية عظامه. أه، نعم كم هى مهمة تلك العظام، فالعمود الفقرى ذلك التركيب المعقد، الذى يتحكم فى التوازن. وأن يكون ملائماً لطبيعة الشخص. إنه يحقق الانسجام الوظيفى للعضلات والتناسق بين الروح وأنسجة

---

(٢) مركب من اليود لونه أصفر يستخدم كمطهر. (المترجم).  
(٣) يود مذاب فى الكحول يستخدم كمطهر للجروح. (المترجم).

الجسم الناعمة. "حقاً إنه بالغ التعقيد" هكذا قال السيد (مونيجانت) وهو يصفر بشفتيه فى خفوت. أنصت إليه (هاريس) مفتوناً، والآن، ها هو ذا طبيب بارع استطاع أن يشخص مرضه! وكما قال إنه يعانى من مرض نفسى، تحرك السيد (مونيجانت) بخطوات سريعة ورشيقة إلى جدار داكن اللون، معلق عليه لوحة بها عدد من صور الأشعة السينية، عن العمود الفقرى وبعض عظام الجسم. وهمس السيد (مونيجانت) لنفسه "ها هو ذا! العمود الفقرى المدهش! ها هى ذى صور واضحة للعظام الطويلة والقصيرة، الكبيرة والصغيرة. يجب أن يكون السيد (هاريس) مدركاً لمرضه ومشكلته!"

أخذت يد السيد (مونيجانت) تنقر على صور الأشعة السينية للعظام، وتتحرك عليها محدثة خشخشة خافتة، وتحك أنسجة الجسم الناعمة التى تبدو كسحب باهتة يتعلق بها ظلال الجمجمة والحبل الشوكى وعظام الحوض وتركيبات من الكالسيوم ونخاع العظم، هنا وهناك، هذا وذاك، هؤلاء وأولئك وآخرون! انظر إليها وتعجب!

هز (هاريس) كتفيه باستخفاف. إن صور الأشعة السينية، تبدو وكأنها رياح خضراء متألقة من أرض يسكنها مخلوقات مخيفة كالتى رسمها (دالى)<sup>(٤)</sup> و(فوسيلي)<sup>(٥)</sup>.

---

(٤) الفنان الأسباني (سلفادور دالى) (١٩٠٤-١٩٨٩) أحد أعلام المدرسة السبيريالية فى لوحاته يخلط الجنون بالعبقرية. (المترجم).

(٥) هنرى فوسيلي (١٧٤١-١٨٢٥) رسام بريطانى. (المترجم).



صفر السيد (مونيكانت) بشفتيه بخفوت كعادته. وسأل السيد (هاريس) عما إذا كان يريد علاجاً لعظامه؟

أجاب (هاريس): "إن هذا يتوقف على عدة أمور".

همس السيد (مونيكانت) لنفسه "حسنًا، إننى لن أستطيع أن أعالج السيد (هاريس) إلا إذا كان فى أحسن حالاته، ومن الناحية النفسية، فإن المريض يجب أن يشعر بحاجته إلى العلاج، وإلا أصبح الطبيب غير مجد". رفع السيد (مونيكانت) كتفيه بعدم رضا وقرر أن "يحاول" علاج السيد (هاريس).

رقد السيد (هاريس) فوق أريكة وثيرة وفمه مفتوح، كان السيد (مونيكانت) قد أطفأ أنوار الغرفة وأسدل الستائر على النوافذ، ثم اقترب حثيثاً من مريضه.

ولس شئ ما لسان السيد (هاريس) وشعر بعظام فكه تبرز إلى الأمام، وهى تحدث صريراً وأصوات طقطقة. وبدت إحدى صور الأشعة السينية المعلقة على الجدار المعتم، وكأنها تختلج وتكاد تثب من مكانها. هن (هاريس) كتفيه بعنف إثر نوبة فاجأته. ولا إرادياً أغلق فمه بحركة خاطفة. صرخ السيد (مونيكانت) بعد أن كان السيد (هاريس) يعض أنفه! قال السيد (مونيكانت) فى نفسه: "لا فائدة، لا فائدة! فالآن ليس هو الموقف المناسب للعلاج".

رفع السيد (مونيكانت) الستائر دون أن يصدر عنها أى صوت، وهو يشعر بخيبة أمل فظيعة، لقد خاب ظنه، فبعد أن شعر السيد (هاريس)

بأن بإمكانه الاستجابة نفسياً للعلاج، وأنه يحتاج بالفعل للمساعدة، وأنه يثق بالسيد (مونيجانت) ليقدم له يد العون والمساعدة، تبذل كل هذا فجأة. ولكن السيد (مونيجانت) كان واثقاً بأن ثمة شيئاً يجب القيام به من أجل السيد (هاريس)، مد السيد (مونيجانت) يده الصغيرة، وفي غضون ذلك، لم تكن أجرة الكشف تتجاوز دولارين، يجب أن يبدأ السيد (هاريس) في أعمال فكره، هاهنا مخطط أولى من أجل السيد (هاريس)، عليه أن يأخذه معه إلى منزله ويقوم بدراسته، إن هذا المخطط سوف يعرفه بأعضاء جسمه، ويجعله على معرفة تامة بها، إذ يجب أن يكون على أهبة الاستعداد لحمايتها، إن الأعمدة الفقرية في الجسم، كيانات غريبة من الصعوبة حملها بسبب حجمها وشكلها، التمتعت عينا السيد (مونيجانت) ببريق بارد. "يوم سعيد يا سيد (هاريس)، هل تريد قليلاً من عيدان الخبز المحمص؟" وقدم له السيد (مونيجانت) أنية رجاجية بها عيدان رفيعة من الخبز المحمص الطويلة الصلبة المملحة، وبعد أن تناول عوداً منها قال إن مضغ عيدان الخبز المحمص يساعده على أداء عمله دون كلل. "يوم سعيد، يوم سعيد لك يا سيد (هاريس)!"

وذهب السيد (هاريس) إلى منزله.

في اليوم التالي، وكان يوم أحد، اكتشف السيد (هاريس) أن هناك ألماً وأوجاعاً جديدة لا حصر لها في جسمه.. وقضى فترة الصباح وعيناه تحديقاً بثبات واهتمام شديدين في الرسم الصغير الرائع لهيكل عظمي كان (مونيجانت) قد أعطاه له من قبل.

زوجته (كلاريس) أزعجته وقت العشاء عندما طرقت بصوت عال  
مفصلات أصابعها واحدة وراء الأخرى.. حتى أنه سد أذنيه براحتي  
يديه وصاح: "توقفى أرجوك!".

حبس نفسه فى حجرته طوال فترة ما بعد الظهر.. وأخذت  
(كلاريس) تلعب البريدج فى البهو وهى تضحك وتثرثر مع ثلاث سيدات  
أخريات، بينما أخذ (هاريس) - المختفى عن العيان - يعيث بأصابعه  
فى أعضاء جسمه ويحاول رفعها بحب استطلاع متزايد.. وبعد ساعة  
نهض فجأة ونادى: "(كلاريس)!".

كانت لديها طريقة ما للرقص فى أى حجرة توجد بها، وجسمها  
يقوم بكل الحركات الرقيقة والجميلة للحيلولة لئلا أن تلمس قدمها وبر  
السجادة.. واستأذنت من صديقاتها الآن وأقبلت مرحة لتراه.. وجدته قد  
أجلس نفسه مرة أخرى فى ركن بعيد ورأت أنه يحدق باهتمام فى رسم  
الهيكل العظمى.. وسأله: "هل مازلت تتأمل هذا الشكل العجيب يا  
عزيزى؟.. أرجوك توقف" .. وبسرعة جلست على ركبتيه.

لم يتمكن جمالها من تشقيت ذهنه من هذا الاستغراق.. وداعب  
طلتها المشرقة ولمس ركبتيها فى ارتياح.. وبدأ أن ركبتيها تتحرك تحت  
جلدها الشاحب المتألق.. وسألها وهو يلتقط أنفاسه: "هل المقروض أن  
تفعل ذلك؟".

ضحكت وقالت: "هل المقروض أن أفعل ذلك؟.. هل تقصد  
ركبتي هذه؟".



"هل المفروض أن تتحركى هنا وهناك على قمة ركبتك بهذه الطريقة؟"

تمايلت بخفة وقالت بتعجب: "إذن هذا هو الموضوع" .. فتنهد وقال: "أنا سعيد من خفة حركتك أيضاً .. كنت قد بدأت أتضايق".  
سألته مندهشة: "تتضايق من ماذا؟".

ربت على أضلاع صدره وقال: "ضلوعى لا تنزل إلى أسفل بشكل صحيح .. إنها تتوقف هنا .. كما أنني وجدت بعضاً منها يتدلى وسط فراغ الجسم".

وشبكت (كلاريس) أصابع يديها تحت منحنى نهديهما الصغيرين، وقالت: "هذا طبيعي جداً .. يالحمافتك! .. أضلاع كل واحد منا تتوقف عند نقطة معينة .. وتلك الأضلاع القصيرة الغريبة هي أضلاع عائمة<sup>(٦)</sup>".

"إذن أتمنى ألا تعوم داخل جسمى أكثر من اللازم" .. وكانت تلك الدعابة مزعجة للغاية .. والآن تمنى أن يكون وحيداً أكثر من أى وقت آخر .. وبين يديه المرتعشتين توجد اكتشافات كثيرة وحفريات جديدة وغريبة للآثار القديمة .. ولذلك لم يكن يرغب فى أن يسخر منه أحد.

---

(٦) أضلاع حرة غير متصلة بعظم الصدر، وهى فى الإنسان الضلعان الحادى عشر والثانى عشر. ( المترجم)

قال لها: "أشكرك لحضورك يا عزيزتى" .. فحكّت أنفها الصغير فى وجهه برقة وردت: "لا عليك" .. ولكنه بسرعة وضع إصبعه لكى يلمس أنفه وأنفها وقال: "انتظرى! .. هنا .. الآن .. ألم تدركى هذا؟ .. إن عظمة الأنف تنمو عادة حتى هنا .. وبعد ذلك تملأ أنسجة غضروفية البقية! .. عقدت ما بين حاجبيها وقالت وهى ترقص خارجة من الغرفة: "بالطبع يا حبيبى!".

والآن جلس بمفرده وأحس بالعرق يصعد من برك ومنخفضات وجهه ويتدفق فى تيار رقيق على وجنتيه .. لحس شفتيه وأقفل عينيه وهمس لنفسه: "الآن .. الآن .. ما الشئ التالى فى البرنامج؟ .. الحبل الشوكى، نعم، هنا" .. وبيطء تحسسه بنفس الطريقة التى يشغل بها أزرار الانضغاط بمكتبه، حيث يضغطها لاستدعاء سكرتاريته أو حملة الرسائل .. إلخ.

ولكنه بات الآن تحت وطأة ضغوط الحبل الشوكى ومخاوفه التى يعانى منها التى تندفع من ملايين الأبواب فى عقله وتهدهده وتعصف به! .. إن حبله الشوكى أصبح رهيباً وغير طبيعى .. مثل القشور القصفة للسمة التى تؤكل طازجة وتترك عظامها ملقاة فى طبق صينى بارد .. وقبض على القطع الصغيرة المدورة وهتف: "يا إلهى! .. يا إلهى!".

بدأت أسنانه تصطك ببعضها البعض .. وفكر فى أن يكلم نفسه: "يا إلهى العظيم .. لماذا لم أدرك ذلك طوال كل تلك السنوات؟ .. كل تلك السنوات كنت أذهب هنا وهناك بهيكل عظمى داخل جسمى! ..

كيف نتقبل أنفسنا ونعتبرها أمراً طبيعياً ومفروغاً منه؟.. كيف أننا لم نرتب قط فى أجسامنا ووجودنا؟.

هيكل عظمى!.. نعم، إنه واحد من تلك الأشياء الصلبة المفصلية البيضاء كالثلج.. واحد من تلك الأشياء المقرقة الكريهة الجافة التى بها محجران للعينين وجمجمة لتحمل الوجه وأصابع مرتعدة.. واحد من تلك الأشياء التى تتأرجح من سلاسل العنق فى المراحيض المتلاصقة المهجورة.. واحد من تلك الأشياء التى نجدها فى الصحراء منتشرة فى كل مكان كالرمال!

انتصب واقفاً، لأنه لم يعد يتحمل الجلوس أكثر من ذلك.. وحدث نفسه، وهو ممسك ببطنه ورأسه، قائلاً: "إنه موجود بداخلى الآن.. مثلاً موجود بداخل رأسى جمجمة!.. إنه واحد من تلك الأغلفة الصلبة المنحنية التى تحفظ دماغى داخلها فى شكل مادة هلامية موصلة للكهرباء.. واحدة من تلك الصدقات المشقوقة التى بها من الأمام حفرتان كما لو أن بندقية رش مزدوجة الماسورة قد أطلقت عليها طلقتين!.. وبواسطة كهوفها وتجاويفها العظيمة، تكسياتها وأنسجتها من لحمى ورائحتى ورؤيتى وسمعى وتفكيرى!.. جمجمة تحتوى على دماغى، وتتيح له مخرجاً من خلال نافذتين قصيفتين تريان العالم الخارجى!".

أراد أن يقتحم غرفة لعبة البريدج ليزعج من بها، كثعلب يهجم على حظيرة دجاج.. وعندما تتطاير أوراق اللعب فى كل الأنحاء كريشات الدجاجات التى تندفع إلى أعلى كسحب كثيفة!.. ولم يوقف نفسه إلا



بمجهود عنيف مرتعش.. والآن، سيطر على نفسك يا رجل.. إن هذه عبارة عن إلهام أو وحى.. انتظر إلى قيمته، افهمه وتذوقه!"

"لكن يا إلهي، ما هذا الهيكل العظمي!.. وصرخ عقله الباطن.. لا أستطيع أن أتحملة، إنه سوقي.. إنه رهيب.. إنه مروع.. الهيكل العظمي أشياء مفرعة.. فهي تصلصل وتخشخش وتقرقع في قلاع قديمة.. وهي معلقة من عارضات من خشب البلوط، وتصنع بندولات طويلة وتقرقع ببطء عندما تهب عليها الرياح".

سمع صوت زوجته الواضح العذب يناديه من بعيد: "عزيزتي، هلا تأتي إلى هنا لمقابلة السيدات صديقاتي؟".

وقف السيد (هاريس).. وأمسكه في وقفته هذه هيكله العظمي!.. نعم، هذا الشيء اللعين بداخله.. هذا الغازي الخفي.. هذا الرعب.. هو الذي يدعم ذراعيه ورجليه ورأسه!.. وشعر كما لو أن خلفه شخص ما لا يجب بالمرّة أن يكون موجوداً!.. وكلما خطا خطوة بعد أخرى، أدرك مدى اعتماد جسمه كله على هذا الشيء الغريب..

نادى على زوجته بضعف: "عزيزتي.. سوف أكون عندكم في لحظة.."

وحدث نفسه قائلاً لها: "هيا.. تشجعي!.. عليك أن تعودى إلى العمل بدءاً من غد.. وفي يوم الجمعة يجب أن تذهبي في رحلة إلى (فينيكس).. وهذه الرحلة تحتاج إلى قيادة السيارة لمدة طويلة.. مئات الكيلو مترات.. يجب أن تكوني قوية وجاهزة لتلك الرحلة وإلا فإنك لن

تجعلى السيد (كريلدون) يستثمر أمواله فى صناعة الخزف التى تباشرينها..  
هيا، شدى قامتك الآن!

بعد لحظات كان واقفاً بين السيدات، وقدمته زوجته إلى السيدة  
(ويزرز) والسيدة (أبل مات) والآنسة (كيرثى).. ولكهن هياكل عظمية  
داخل أجسامهن، ولكنهن تقبلن الأمر بهدوء تام.. لأن الطبيعة غطت  
بشكل رائع أعضاءهن العارية لعظام الترقوة<sup>(٧)</sup> وعظمة الظنوب<sup>(٨)</sup>،  
وعظم الفخذ، بالثديين والردفين.. وكذلك تصفيف الشعر وتسوية  
الحاجبين.. والشفتان النضرتان.

لكن.. يا إلهى!.. صرخ السيد (هاريس) من داخله - فعندما  
يتحدثون أو ياكلون، يظهر جزء من هيكلهن العظمى.. تحديداً أسنانهن!..  
وقال لنفسه: "لم أفكر قط فى ذلك من قبل".. وهتف قائلاً: "سأنصرف  
بعد إذنكن".. وركض من الغرفة فقط لكى يفرغ طعام عشائه وسط  
نباتات (البطونية)<sup>(٩)</sup> النامية فوق الدرايزين.

فى تلك الللية كان جالساً على سريريه بينما زوجته تخلع ملابسها..  
وهو يقص أظافر أصابع قدميه ويديه.. وهذه الأجزاء أيضاً كانت فى  
المكان الذى يبرز فيه الهيكل العظمى بشكل غير مرغوب فيه.. ولا بد أنه

(٧) العظام الرفيعة فى أعلى الصدر. (المترجم).

(٨) عظم الساق الممتد من الركبة إلى الكاحل. (المترجم).

(٩) نبات أمريكى من الباذنجيات. (المترجم).

تفوه بجزء ما من تلك النظرية، لأنه عرف في اللحظة التالية أن زوجته كانت ممددة على السرير ومرتدية قميص النوم وذراعاها تحيطان بعنقه وتتأب قائلة: "آه يا عزيزي.. أظافر الأصابع ليست عظاماً.. إنها فقط بشرة جلدية متصلة!".

ألقي بالمقص من يده وسألها: "هل أنت متأكدة؟.. أرجو ذلك.. إنني أشعر بتحسن".. ونظر إلى منحنيات جسدها الرائع وقال: "أرجو أن يكون جميع الناس مخلوقين بنفس هذه الكيفية".

فردت ذراعيها وهي ممسكة بيده وقالت: "لا ريب أنك مصاب بوسواس مرضى مزعج!.. تعال يا حبيبي.. هل هناك خطأ ما؟.. قل لماما.. فقال لها: "هناك شيء ما داخلي.. شيء ما أكلته".

في صباح اليوم التالي وطوال فترة ما بعد الظهر بمكتبه بوسط المدينة، قام السيد (هاريس) بتحديد أحجام وأشكال وتكوين مختلف العظام في كل جسمه بسعادة وارتياح.. وفي العاشرة صباحاً طلب أن يفحص مرفق ذراع السيد (سميث) للحظة.. وتفضل السيد (سميث) بذلك ولكنه عبس في ارتياب.

وبعد طعام العشاء طلب السيد (هاريس) أن يلمس لوحة كتف الأنسة (لوريل).. وعلى الفور اندفعت إليه والتصقت به وهي تهر كقطيطة ومغلقة عينيها.. وبادرها بقوله: "آنسة (لوريل).. أرجوك توقفي".

عندما جلس بمفرده، أخذ يتأمل حالته العصبية.. كانت الحرب قد انتهت لتوها، إلا أن ضغط عمله وعدم وضوح الأحوال المستقبلية ربما



كانت تلعب دوراً كبيراً فى حالته العقلية.. وأراد أن يغادر المكتب، ويبدأ عملاً تجارياً خاصاً به.. كانت لديه موهبة كبيرة فى صنع الخزف والتماثيل.. وفى أسرع وقت ممكن سوف يذهب مسرعاً إلى أريزونا ليقترض بعض المال من السيد (كريلدون) ويبنى فرناً وينشئ متجراً.

كان ذلك مؤسفاً... يا لها من قضية.. ولكن من حسن الحظ فإنه اتصل بالسيد (مونيجانت) الذى بدا متلهفاً إلى فهمه ومساعدته.. سوف يواصل الأمر معتمداً على نفسه، وإن يرجع إلى السيد (مونيجانت) أو الدكتور (بيرليه) ما لم يكن مضطراً إلى ذلك.. وهذا الشعور العجيب سوف ينقضى مع الوقت.. ووقف محققاً فى الفضاء الواسع.

غير أن الشعور العجيب لم ينقضى، بل زاد مع الوقت.. وفى يومى الثلاثاء والأربعاء أزعجه للغاية أن بشرته وشعره وأعضاء أخرى بجسمه كانت مختلة بشدة، بينما كان هيكله العظمى الخارجى المحمى بالجلد عبارة عن كيان قوى صحيح ونظيف.. وأحياناً تحت بعض الأضواء، أثناء تدلى شفتيه إلى أسفل باكتئاب وهو يعانى حالة من السوداوية، تصور أنه رأى جمجمته وهى تبتسم وهى تنظر إليه من تحت لحمه.

صاح قائلاً: "اتركينى.. اذهبي بعيداً عنى!.. يا ريتائى!.. توقفا!.. وشهق بعصبية، كما لو أن أضلاعه تطحن النفس الخارج منه.. وقال لنفسه: "دماغى!.. توقفى عن عصى!.. وفجأة حرق الصداع الرهيب دماغه وحوله إلى رماد.

واصل كلامه مع نفسه: "أيها الصداغ اللعين، ارحل بعيداً عني.. من أجل الله.. ابق بعيداً عن قلبي!".. وانكمش قلبه من الحركة المروحية لأضلاعه، مثل عناكب شاحبة تجثم على فريستها وتعبث بها قبل أن تلتهمها.

تمدد على السرير ذات ليلة وهو مبلى بالعرق بينما كانت (كلاريس) بالخارج تحضر احتفالاً لمنظمة الصليب الأحمر.. وحاول أن يحافظ على انتباهه بيد أنه ازداد إدراكاً للصراع الدائر بين مظهره الخارجى القذر والشئ الكثيف الكالسيوم النظيف السليم الجميل الموجود بداخله.

لكن ماذا بشأن بشرته، هل هى دهنية ومبطنة بالقلق؟.. وقال لنفسه: "لاحظ الجمجمة المثالية شديدة البياض التى ليس بها أى عيب؟.. وأنفى، أليست كبيرة نوعاً ما؟

ثم لاحظ عظام أنفه الصغيرة قبل أن يبدأ غصروفها الأنفى الرهيب فى تكوين البروز الأنفى المائل إلى الأمام.. وجسمه، أليس ممثلاً قليلاً؟.. حسناً، انظر إلى الهيكل العظمى: إنه رفيع ورشيق ومقتصد فى طوله وشكله الجانبى.. إنه منحوت بشكل شرقى فاتن!.. إنه فعلاً مثالى ورفيع كفرس نبي أبيض اللون! وعيناه: أليستا بارزتين وعاديتين وتبدوان فاقدتى الحس؟.. الرجاء ملاحظة محجرى العينين بالجمجمة: إنهما عميقتان ومستديرتان ومظلمتان، كما أنهما بركتان هادئتان وأبديتان وتدركان كل شئ.. وتحققان بعمق، ولا تستطيع مطلقاً أن تلمس قاع فهمهما المعتم.. كل السخرية وكل الحياة وكل شئ موجود هناك فى هذا الظلام قدحى الشكل.

قارن كل هذا.. قارن كل هذا.

انتابته حالة من الهياج لساعات.. وأثناء ذلك الوقت ظل هيكله العظمى، ذلك الفيلسوف الوقور ضئيل الحجم، عالقاً فى هدوء بداخله لا ينطق بكلمة واحدة.. عالقاً مثل حشرة صغيرة محجوزة داخل بلورة.. حيث تنتظر وتنتظر داخلها إلى الأبد.

انتصب (هاريس) جالساً فى سريره وقال فى دهشة: "انتظر لحظة.. اثبت فى مكانك!.. إنك لا حول لك ولا قوة.. وأنا حصلت عليك أيضاً.. وأستطيع أن أجعلك تفعل أى شىء أريده!.. وأنت لا تستطيع منعى من ذلك!.. والآن أقول حرك عظام رسغك.. عظم مشط اليد وعظام أصابع اليد.. وهناك تذهب بينما أنا أشير إلى شخص ما!".. ثم ضحك وأردف: "أنا أأمر عظمة الساق وعظام الفخذ أن تتحرك وتغمغم اثنين ثلاثة أربعة، وتغمغم اثنين ثلاثة أربعة - نحن نتحرك حول المبنى.. هناك!.. ثم ابتسم (هاريس).

"إنه صراع المكسب فيه مناصفة.. حالة من التساوى أو التعادل.. وسوف نقاتل حتى نحسم الأمر نحن الاثنين!.. وعموماً أنا الجزء الذى يفكر!.. نعم، والله!.. نعم.. وحتى لو لم أحصل عليك، كنت سأستمر فى التفكير!..

وفى الحال فتح نمر فكيه ثم أطبقهما بقوة.. وشق دماغه إلى نصفين.. وصرخ (هاريس).. عظام جمجمته تماسكت بقوة وسببت له كوابيس أثناء النوم.. ثم ببطء أثناء صراخه، حك أنفه والتهم الكوابيس



واحدًا وراء الآخر.. حتى انتهى من آخر تلك الكوابيس، وعندها انطفأ  
النور تمامًا.

فى نهاية الأسبوع أجل رحلة فينيكس بسبب ظروفه الصحية..  
وعندما وزن نفسه على ميزان يعمل بإيلاج قطعة نقود صغيرة فيه،  
رأى المؤشر الأحمر المنزلق ببطء يقرأ العدد ١٦٥ باوند<sup>(١٠)</sup>.

تأوه وتسأل: "لماذا، لقد ثبت وزنى عند ١٧٥ لعدة سنوات.. وليس  
من الممكن أن أفقد ١٠ باوندات مرة واحدة!".. وتفحص وجنتيه فى المرأة  
المبقعة.. وشعر ببرودة وخوف غامضين يدبان فى جسمه كله فى شكل  
ارتعاشات قصيرة.. وهمس: "أنت، أنت!.. أعرف ما الذى تفكر فيه..  
أنت!".

هز قبضة يده فى وجهه العظمى النحيل.. موجهًا ملاحظاته بشكل  
خاص إلى فكه العلوى وإلى فكه السفلى وإلى جمجمته وإلى فقرات  
عنقه.. وقال: "أيها الشيء اللعين، نعم أنت!.. هل تظن أنه يمكنك أن  
تميتنى جوعاً وتجعلنى أفقد الكثير من وزنى؟.. هل تعتقد أنك سوف  
تكشط لحمى ولا تترك لى شيئاً سوى الجلد فوق عظامى.. أتحاول أن  
تخلص منى بالحيلة، حيث تبقى أنت الأعظم؟.. لا، لا، لن يحدث شيء  
من ذلك!".. ثم فر إلى الكافيتريا.

---

(١٠) الباوند يساوى نحو ٤٥٤ جراماً. (المترجم).

كان أمامه ديك رومى وفاتحات الشهية والبطاطس البوريه وأربعة أنواع من الخضراوات وثلاثة أصناف من الحلوى، غير أنه لم يتمكن من أكل أى منها بسبب ألم بطنه.. وضغط على نفسه.. وبدأت أسنانه تؤلمه، وفكر فى ضيق لعل أحد أسنانه مسوسة، أليس كذلك؟.. وقال لنفسه: "سوف أكل على الرغم من قرقرة ودمدمة واصطكاك كل أسناني، حتى لو وقعت فى طبق صلصتى".

اتقدت رأسه وتقطع نفسه شهيقاً وزفيراً بسبب ضيق صدره.. واشتد الألم من أسنانه.. ولكنه أدرك أن هناك انتصاراً واحداً قد حققه.. كان على وشك أن يشرب اللبن عندما توقف وصبه فى وعاء الزهور.. وقال لنفسه: "لن أعطيك أى كالسيوم يا فتى، سأوقف إمدادك بالكالسيوم!.. كما أنني لن أكل بعد اليوم أى أطعمة بها كالسيوم أو أى عناصر غذائية أخرى مفيدة للعظام.. سوف أكل لأحدنا فقط، وليس لكينا أيها الفتى!".

فى الأسبوع التالى قال لزوجته: "١٥٠ باوند الآن.. هل رأيت كيف تغيرت؟".. فردت عليه (كلاريس): "هذا أفضل بكثير.. فكثيراً ما كنت سميناً بالنسبة إلى طولك يا عزيزى".. ومسحت على ذقنه وأضافت: "أنا أحب وجهك.. إنه أجمل الآن بكثير.. خطوطه أصبحت الآن أكثر انتظاماً وقوة".

"إنها ليست خطوط وجهى.. إنها خطوطه هو!.. ذلك اللعين!.. لا ريب أنك تقصدين أن تقولى أنك تحبينه أكثر مما تحبيننى، أليس كذلك؟".

"هو؟.. من الذى تقصده بكلمة "هو" يا عزيزى".

وفى مرآة البهو وراء (كلاريس) ابتسمت جمجمته وهى تنتظر إليه من وراء تقطيبته السمينه التى تقطر حقداً ويأساً.

ألقى حبوب الشعير فى قمه وقد استشاط غضباً.. كانت هذه طريقته لزيادة الوزن حيث إنه لم يكن بمقدوره منع تقيؤ الطعام والشراب.. ولاحظت (كلاريس) حبوب الشعير وقالت له: "ولكنك لست محتاجاً يا عزيزى إلى زيادة وزنك من أجل.. وشعر كأنه يقول لها: "أوه!.. اصمتى، إنك لا تفهمين شيئاً".

جعلته يتمدد على السرير ورأسه فى حجرها.. وداعبته بقولها: "حبيبى، لقد راقبتك مؤخراً.. إنك لست على ما يرام أبداً.. أنت لا تقول شيئاً، ولكنك تبدو مكروباً.. إنك تقذف نفسك فى السرير ليلاً.. لعله يحسن بك أن تذهب إلى طبيب نفسى.. لقد تمكنت من تكوين صورة متكاملة لك من أشياء صغيرة بدرت منك.. وأستطيع أن أقول لك إنك أنت وهيكلك العظمى شئ واحد، كيان واحد لا يمكن تقسيمه، وإنكما دولة واحدة يتمتع كل فرد فيها بالحرية والعدالة.. وأنتما تقفان متحدين ولكنكما كمنفصلين تتلاشيان".

"وأنتما الاثنان إن لم تندمجا معاً كرجل وزوجه فى كيان واحد فى المستقبل، فعليكما أن تبادرا بالذهاب إلى الدكتور (بيرليه).. ولكن أولاً استرخيا جيداً.. فأنتما داخل دائرة مفرغة لا أول لها ولا آخر،



وكلما كثر قلقكما؛ ازداد بروز عظامكما وازداد قلقكما أكثر.. وقبل كل شيء ما الذى أجج هذا الصراع - أنت أم الكيان المجهول الذى تزعم أنه جاثم بداخلك خلف قناتك الهضمية؟.

أقفل عينيه وقال: "أنا الذى فعلت ذلك.. أعتقد أنه أنا.. والآن استمرى يا (كلاريس) فى حديثك الرائع هذا". غير أنها قالت له برقة: "الأهم أن تستريح أنت الآن.. استرخ تماماً وانس كل شيء".

شعر السيد (هاريس) بأنه يعوم لمدة نصف يوم.. ثم بدأ يهبط إلى أسفل.. وكان من الممكن أن يلوم خياله، ولكن، يا الله، هذا الهيكل العظمى العجيب، إنه يقاوم بشدة.

اتجه (هاريس) إلى مكتب السيد (مونيجانت) فى ساعة متأخرة من ذلك اليوم.. وبعد أن سار لنصف ساعة حتى عثر على العنوان الذى يقصده، لمح اسم السيد (مونيجانت) مكتوباً بحروف من ذهب على لوحة زجاجية خارج المبنى.. ويدا أن عظامه على وشك أن تنفجر منطلقاً من أربطتها وبدأت تضربه بالأم عنيف.. وسار مترنحاً وهو يكاد لا يرى.. وعندما فتح عينيه مرة أخرى كان قد لف فى منعطف.. وهنا اختفى مكتب السيد (مونيجانت) عن ناظريه.. وعندئذ توقف الألم كان السيد (مونيجانت) هو الرجل الذى سيساعده.. وإذا كان مجرد رؤية اسمه قد سبب له رد الفعل الرهيب هذا، فلا بد أن يكون هو الرجل المناسب له تماماً!.. آه، ولكن ليس اليوم!.. وكل مرة حاول فيها العودة إلى ذلك المكتب، ضربته تلك الآلام الهائلة.. وتساقط منه عرق غزير واضطر إلى أن يستسلم،

وهكذا ذهب يتلمس طريقه مترنحاً إلى أحد البارات لتناول شراب الكوكتيل.

وأثناء عبوره لحجرة الكوكتيل المعتمة، تساءل باختصار عما إذا كان من الممكن عدم إلقاء اللوم على كاهل السيد (مونيكانت).. فقبل كل شيء فإن (مونيكانت) هو أول من وجه اهتماماً خاصاً بهيكلة العظمى، وأوضح أن له تأثيراً نفسياً.. ترى هل يمكن أن يكون (مونيكانت) يستغله لغرض شنيع؟.. ولكن أى غرض هذا؟.. لا، من السخافة الشك فيه.. إنه مجرد طبيب صغير.. والمعقول أنه يحاول أن يساعده.. (مونيكانت) وبرطمانه الممتلئ يقطع البقسماط؟.. هذا غير معقول.. السيد (مونيكانت) طيب ولا غبار عليه..

لمح بغرفة الكوكتيل منظرًا أعطاه الأمل.. رجل سمين عجوز مستدير ككرة من الزبد واقف يشرب أقداحاً متتابة من الجعة.. والآن ها هو ذا رجل ناجح!.. وكبح (هاريس) رغبته فى الوقوف والربت على كتف الرجل السمين وسؤاله عن المدى الذى وصل إليه فى حبس عظامه!

نعم، كان الهيكل العظمى للرجل السمين محبوساً بشكل رائع!.. كانت هناك بعض التجمعات الدهنية والانتفاخات الهلامية لها هنا وهناك.. وبعض الكتل الدهنية المدورة تحت ذقنه.. لكن هيكله العظمى كان مختلفاً تماماً، ولا يمكن له أن يبرز من بين كل هذه الدهون.. لعله حاول ذات مرة - ولكن ليس الآن، ثم فشل فيها.. لا يوجد ثمة أثر لأى بروز عظمى بجسمه كله.

اقترب (هاريس) من الرجل السمين، بدون أى إحساس بالحسد له،  
مثلاً ينطلق المرء باتجاه مقدم سفينة عابرة محيطات... وطلب (هاريس)  
شراباً وشربه ثم تجرأ على مخاطبة الرجل السمين قائلاً له:  
"هل عندك مشكلة فى الغدد؟" .. فالتفت إليه الرجل السمين وقال له:  
"هل تتحدث إلى؟".

أجابه (هاريس): "نعم، أم هل تأخذ طعاماً خاصاً؟.. أستمحيك  
عذراً ولكن كما ترى فأنا مريض ومكتئب.. يبدو أننى لا أستطيع زيادة  
وزنى بأى قدر.. أنا أحب أن يكون لدى معدة كمعدتك.. هل كبرتها لأنك  
كنت خائفاً من شىء ما؟".

قال الرجل السمين: "يبدو لى أنك ثمل يا سيدى.. ولكننى على أية  
حال أحب السكرى" .. وطلب مشروبات أخرى وواصل حديثه: "أصغ إلى  
جيداً.. سوف أقول لك كل شىء بالضبط".

"طوال عشرين عاماً، منذ أن كنت صبياً إلى أن أصبحت رجلاً،  
بنيت كل ذلك.. وأمسك معدته كما لو كانت الكرة الأرضية، وهو المدرس  
الذى يشرح لتلامذته فن تذوق الطعام.. وأردف: "لم يكن ذلك سيركاً  
مستمراً طوال ليلة واحدة.. خيمة السيرك لم تزل قبل بزوغ الفجر على  
العجائب المركبة داخلها.. لقد زرعت أعضائى الداخلية كما لو كانت  
كلاباً أو قططاً أو حيوانات أخرى أصيلة.. إن معدتى عبارة عن قط  
فارسى سمين وردى اللون ينام نوماً خفيفاً وينشط بين كل وقت وآخر  
لكى يهر ويموء ويزمجر ويتصيح طلباً لقطع الشيكولاته.. أنا أشعر بذلك  
جيداً.. إنها تسهر طويلاً من أجلى.



"كما أن أمعائى يا صديقى هى أكثر ثعابين الأناكوندا الهندية الأصلية التى تراها دائماً فى الأمعاء الصحية الملتفة حمراء اللون القوية والملساء.. إننى أحفظها دائماً فى أحسن حال، وأقوم بذلك لكل حيواناتى الأليفة.. هل أفعل ذلك خوفاً من شىء ما؟.. ربما؟".

واستدعى ذلك طلب شراب لكلا الرجلين.. وأردف الرجل السمين وهو يدقق فى كلماته وهى تخرج من بين شفتيه: "تزيد وزنك؟.. إذن هذا ما يتعين عليك عمله: أحضر لنفسك طائراً مشاكساً، أى زوجة نكدة الطباع، ودستة من الأقارب الذين يمكنهم أن يثيروا المتاعب والقلق من ألفة الأمور.. أضف إلى ذلك كثرة من زملاء العمل يكون همهم الرئيسى هو خطف آخر طعام فى طبقك.. وعندئذ تكون فى طريقك الصحيح لزيادة وزنك.. ولكن كيف يتحقق ذلك؟..

"فى أسرع وقت سوف تبدأ لا إرادياً فى زيادة وزنك كفاصل بينك وبينهم.. سوف تتوفر لك حالة من البشرة المخففة للصدمات، أو الجدار الخلوى.. وسرعان ما ستدرك أن الأكل هو المتعة الوحيدة على الأرض.. ولكن يتعين على المرء أن يجد مصادر خارجية تزعجه.. فكثير جداً من الناس فى هذا العالم لا يجدون الكثير من الأمور التى تزعجهم وتقلقهم.. ومن هنا فإنهم يبدأون فى مضايقة أنفسهم.. ومن ثم يفقدون وزناً.. وعلى ذلك قابل كل ما يمكنك من الأشرار والأناس المزعجين، وبسرعة سوف تجد وزنك يزداد كثيراً!"

وبعد أن أدلى الرجل السمين بتلك النصيحة الرائعة، انطلق خارجاً إلى ظلام الليل وهو يترنح بشدة ويصفّر.. وسرح السيد (هاريس) مع أفكاره وحدث نفسه قائلاً: "هذا بالضبط هو ما أخبرني به الدكتور (بيرليه).. وربما كانت الرحلة إلى فينيكس الآن في هذا الوقت بالذات...".

كانت الرحلة من لوس أنجلوس إلى فينيكس رحلة عصيبة، حيث عبر فيها صحراء موحيف في يوم أصفر شديد الحرارة.. وكان المرور خفيفاً.. وفي الحقيقة لم يصادف يامتداد مسافات طويلة جداً من رحلته أى سيارة على أى طريق لمسافة كيلو مترات أمامه وخلفه.. وأخذ (هاريس) يشد أصابعه وهو جالس أمام عجلة القيادة.. وسواء أقرضه أم يقرضه (كريلدون) من فينيكس المال الذى يحتاج إليه للبدء فى مشروعه التجارى، فإن الذهاب بعيداً بمسافة طويلة هو أمر جيد فى حد ذاته.

انطلقت السيارة فى طريقها وسط الرياح الصحراوية الساخنة المحملة بالأتربة.. وكان السيد (هاريس) الأول يجلس داخل السيد (هاريس) الثانى.. ولعل الاثنين كانا يتنفسان معاً!.. ولعل الاثنين كانا بانسين معاً!..

وفى أحد منعطفات الطريق قبض السيد (هاريس) الداخلى على اللحم الخارجى للجسم، مما دفع بالسيد (هاريس) الآخر بقوة إلى الأمام باتجاه عجلة القيادة الساخنة.. وعلى الفور خرجت السيارة من الطريق وغاصت فى الرمال الملتهبة وانقلبت على أحد جانبيها.. وأقبل الليل وهبت الرياح وكان الطريق مقفراً وساكنًا تمامًا.

السيارات القليلة التي مرت كانت مسرعة فى طريقها ولم تتمكن من رؤيته جيداً.. وتمدد السيد (هاريس) فى حالة فى عدم التوخي حتى سمع مؤخراً جداً فى تلك الليلة ريحاً تهب من الصحراء وأحس بلسعات الرمال الصغيرة كالإبر على وجنتيه.. وعندها فتح عينيه.

أقبل عليه الصباح وعيناه مغطتان بالرمال وهو غارق فى أفكاره العبثية وهلاوسه عديمة المعنى.. وعند الظهر تمدد فى يأس تحت ظل شجرة قريبة.. وضربته الشمس المتقدة بأشعتها الحادة كالسكاكين التى نفذت خلال جسمه حتى بلغت عظامه.. وهنا بدأ تسر جبار يحوم فى دوائر فوقه مترقباً.

انفجرت شفقا (هاريس) الملتهبتان وغمغم بصوت خافت وهو محمر العينين وملتهب الوجنتين وزائغ النظرات: " إذن هذه هى النهاية؟.. بطريقة ما أو بأخرى أعرف أنك سوف تجوعنى وتعطشنى وتسيرتنى ثم تقتلنى!.. وابتلع بعض التراب الجاف وأردف: "الشمس أنضجت لحمى بمرارتها الرهيبة حتى يمكنك أن تختلس النظر إلى بسخريّة.. وها هى ذى النسور أقبلت لتناول طعام غدائها، وأنت تتمدد هناك وتبتسم فى الخفاء.. تبتسم ابتسامة النصر.. كالآلة الخشبية<sup>(١١)</sup> تغطيها وتعزف عليها النسور التى تحب سماع الموسيقى الغربية.. وأنت تحب ذلك.. الحرية".

---

(١١) آلة نقر موسيقية تتألف من ألواح خشبية ويعزف عليها بمطرقتين. (المترجم).



سار فى منطقة ترتجف وتبقيق تحت وطأة أشعة الشمس الحارقة..  
وتعثر وسقط أكثر من مرة ممدداً يتغذى بسيل من الجحيم المنهمر من  
السماء.. وكان الهواء كلهب كحولى أزرق اللون.. بينما طارت النسور  
المحمصة واللامعة التى تطلق بخار الماء وانسابت فى بواثر متعددة..  
وتذكر.. فينيكس.. الطريق.. السيارة.. الماء.. السلامة!.. ثم فجأة سمع  
صوتاً: "هاى!"..

شخص ما ناداه من وسط اللهب الكحولى الأزرق.. انتصب السيد  
(هاريس) جالساً وأصاخ السمع: "هاى!".. لقد تكرر النداء.. ثمّة وقع  
أقدام سريعة.. ونهض (هاريس) وهو يصرخ من فرط راحته وسعادته،  
بيد أنه سرعان ما تهاوى بين ذراعى شخص ما يرتدى زياً خاصاً  
ويضع على صدره شارة ما.

تم رفع السيارة ببطء شديد وإصلاحها.. ثم وصل (هاريس) إلى  
فينيكس ووجد نفسه فى حالة ذهنية متدنية ومروعة لدرجة أن صفقته  
التجارية لم تعد أكثر من مسرحية صامتة كئيبة.. حتى عندما حصل  
على القرض وأمسك بالمال فى يده، لم يكن له أى معنى أو وقع.. ذلك  
الشيء الجاثم داخله كسيف أبيض بتار داخل غمده أفسد تجارته وطعامه  
ولون حبه لـ (كريس) بلون كئيب وجعل من غير المأمون أن تثق بأى  
سيارة.. إذن هذا الشيء لابد من وضعه فى مكانه الصحيح..

حادثة الصحراء احتكت به عن قرب شديد.. قريباً جداً من العظام،  
ويمكن القول إنها كادت تكسر فمه.. وسمع (هاريس) نفسه وهو يشكر

السيد (كريلدون) يفتور على المال الذى أقرضه إياه.. ثم استدار بسيارته واستمر فى قيادتها أميالاً طويلة.. هذه المرة وهو يشق طريقه إلى سان دييجو.. بحيث يبتعد عن تلك الصحراء المترامية بين "السترو" و"بيمونت".. ثم قاد السيارة شمالاً على طول الشاطئ.

لم يعد يثق فى الصحراء.. ولكن لا بد من الحذر، إذ إن الأمواج الملحية هدرت وصفرت على الشاطئ بالمنطقة التى يعد "لاجونا".. الرمال والأسماك والقشريات سوف تنظف وتمصص عظامه بنفس سرعة النسور الجائعة.. والآن بدأ يقود السيارة ببطء فوق المنعطفات التى تتكسر عليها أمواج المحيط.. لكن اللعنة!.. إنه مريض!.. فإلى أين يذهب؟.. (كلاريس)؟.. (بيرليه)؟.. (مونيكانت)؟.. إخصائى عظام؟.. إذن (مونيكانت)، لا بأس؟.

قبلته (كلاريس) وجفل من قوة أسنانها وفكيها وراء ذلك العناق المشبوب بالعاطفة وقالت له: "يا عزيزى!".. فرد عليها قائلاً ببطء وهو يمسح شفتيه بمعصمه وجسده كله يرتعد: "نعم يا عزيزتى"..  
"إنك تبدو أكثر نحافة يا حبيبى.. أو يا عزيزى.. لا ريب أن أعمالك التجارية قد...؟".

"نعم لقد أنهيت الصفقة.. أعتقد ذلك.. نعم، لقد قمت بها".

قبلته مرة ثانية، ثم تناول ببطء طعام عشاء غير مشجع، بينما أخذت (كلاريس) تضحك وتشجعه على تناول الطعام.. وتفحص الهاتف عدة مرات، ثم التقط سماعته بتردد ولم يلبث أن وضعها على الهاتف.

قامت زوجته وارتدت معطفها وقبعتها وقالت: "حسنًا يا عزيزي، أنا أسفة.. ولكنني مضطرة إلى أن أغادر.. ثم قرصته في وحنقه وأردفت: "ابتهج واقض وقتًا سعيداً!.. سوف أعود من الصليب الأحمر بعد ثلاث ساعات.. والآن تمدد ونم قليلاً.. أما أنا فمضطرة إلى أن أنصرف.. وبعد انصراف (كلاريس) طلب (هاريس) رقمًا بالهاتف بشيء من العصبية وقال: "السيد (مونيجانت)؟".

بعد أن أنهى المكالمة شعر بالآلام وانفجارات هائلة في جسمه بدرجة لا يمكن تصديقها.. كل عظامه ضربتها أنواع كثيرة من الآلام الباردة والساخنة.. إنه حتى لم يتوقعها ولم يجربها من قبل، حتى في أشد كوابيسه الليلية.. وابتلع كل أقراص الإسبيرين التي أمكنه العثور عليها، في محاولة منه لإيقاف تلك الآلام.. ولكن بعد أن دق جرس الباب بعد ساعة، لم يستطع أن يتحرك، وبقي ممدداً ويشعر بالضعف والوهن الشديدين.. وأخذ يلهث وتساقطت الدموع في خطوط على وجنتيه.

"ادخل!.. ادخل يا هذا.. بالله عليك ادخل!.."

أقبل السيد (مونيجانت)، ويفضل الله لم يكن الباب مقفلاً بالقفل.. ولكن السيد (مونيجانت) بدا في حالة سيئة جداً.. ووقف في منتصف حجرة المعيشة الصغيرة والمعتمة.. وأومأ (هاريس) إليه برأسه.. وفي تلك اللحظة هاجمته آلام عنيفة كأنها تضربه بمطارق حديدية وخطافات.. ولعت عينا السيد (مونيجانت) وهو يرى عظام (هاريس) البارزة.



وفهم السيد (مونيجانت) أن (هاريس) الآن فى حالة نفسية تحتاج إلى المساعدة العاجلة.. ألم يكن الأمر كذلك؟.. وأوماً (هاريس) إليه برأسه مرة ثانية بوهن وهو يبكى.. استمر السيد (مونيجانت) يصغر أثناء سيره، ويبدو أن هناك علاقة بين لسانه وصغيره، لا بأس.. ومن خلال عينيه اللامعتين أمكن للسيد (هاريس) أن يرى أن السيد (مونيجانت) ينكمش ويصغر حجمه!.. لا شك أنها خيالات هلاوسية.

.. وحكى (هاريس) وهو ينتحب قصة رحلته إلى فينيكس، وأبدى السيد (مونيجانت) تعاطفه معه.. إذن هذا الهيكل العظمى كان.. خائناً!.. وعليهما أن يثبتوه الآن مرة واحدة وإلى الأبد!

قال (هاريس) وهو يتنهد بضعف: "سيد (مونيجانت).. أنا - أنا لم ألحظ من قبل أن لسانك - مستدير، أتبوى الشكل.. ومجوف؟.. يا العيناي.. الهذيان.. ما الذى يجب أن أفعله؟".

صفر السيد (مونيجانت) بصوت خافت وهو متفهم للموقف واقترب أكثر من (هاريس).. ترى هل يمكن لـ (هاريس) أن يسترخى فى مقعده ويفتح فمه؟.. وانطلقاً نور الحجرة.. وحدث السيد (مونيجانت) فى فك (هاريس) الذى سقط إلى أسفل.. أكثر من فضلك؟.. كان ذلك صعباً جداً، الزيارة الأولى لمساعدة (هاريس) الذى يعانى من ثورة فى جسمه وعظامه!.

الآن حصل على أية حال على تعاون من لحم الرجل، رغم اعتراض هيكله العظمى!.. ووسط الظلام أخذ صوت السيد (مونيجانت) يضعف

أكثر فأكثر.. ولم يلبث الصغير أن تحول إلى صوت حاد وعال.. إلى صرخة!.. وقال لـ (هاريس): "الآن استرخ يا سيد (هاريس).. فوراً!".  
شعر (هاريس) بفكه وهو ينضغط بقوة في جميع الاتجاهات،  
ولسانه مضغوط إلى أسفل كما لو أن ملعقة ما تضغط عليه، وحلقه  
مسدود تماماً!.. وشهق لكي يتنفس ويصفر.. غير أنه لم يمكنه أن  
يتنفس!.. شيء ما التوى.. شيء كخطاف نزع وجنتيه بعنف إلى الخارج  
وحطم فكيه..

التوى شيء ما كحقنة ماء ساخن وبخ شيء ما إلى داخل جيوبه  
الأنفية.. وطنت أذناه!.. وصرخ (هاريس): "آه!". شيء ما يفتح فمه..  
وشعر برأسه وجمجمته يتشقان ويتحطمان ويصبحان سائبين!.. الألم  
المبرح أشعل النار في رئتيه.. وعندئذ أمكن لـ (هاريس) أن يتنفس مرة  
أخرى ولو لحظياً.

واتسعت حدقتا عينيه الدامعتين.. وصرخ بقوة.. أضلاعه تم سحبها  
وجمعها كحزمة من العصي وأصبحت سائبة داخل جسمه!.. لكن الألم!..  
وسقط على الأرض مغشياً عليه وهو يصدر صوتاً صريراً أثناء إخراج  
أنفاسه الساخنة.. وومضت أضواء في مقلتي عينيه عديمتا الإحساس،  
وشعر بأعضائه وأطرافه تتحرر بسرعة من عقالها.. ومن خلال عينيه  
المبللتين بالدموع رأى البهو.. وكانت الحجرة خالية..

"سيد (مونيكانت)؟.. أستحلفك بالله، قل لي أين أنت الآن؟..  
أرجوك تعال وساعدني!".

لكن السيد (مونيكانت) اختفى.. ونادى عليه (هاريس):  
النجدة، أرجوك ساعدنى!.. ثم سمع شيئاً ما.

فى أعماق الشقوق والفجوات الموجودة تحت الجلد فى أنحاء جسمه،  
كانت تصدر ضوضاء لا يمكن تصديقها.. ضربات ولطمات والتواءات  
صغيرة وأصوات تشظى وطحن وضغط ودفع أجزاء صغيرة جافة.. كفأر  
سائع صغير يعيثُ فساداً فى ظلام أوعيته الدموية، ومستمر فى قرص  
كل ما يصادفه ببراعة وإصرار.. لكنه لم يكن قط ليصدر مثلاً من قطعة  
خشب غاطسة فى جسمه!

أخذت (كلاريس) تسير فوق الرصيف وهى رافعة رأسها عالياً  
وتسير فى خط مستقيم باتجاه منزلها فى ميدان سانت جيمس.. كانت  
تفكر فى الصليب الأحمر وهى تلف عند المنعطف وكادت أن تصطدم  
برجل أسود قصير تفوح منه رائحة اليود.

كانت سوف تتجاهل هذا الرجل لولا حقيقة أنها عندما مرت  
بحواره، تناول شيئاً طويلاً أبيض اللون وغير مألوف الشكل من سترته  
وشرع فى مضغه.. واندفع لسانه غير العادى بالمرّة داخل هذه الحلوى  
البيضاء وامتنص عصاريتها مصدراً أصواتاً مزعجة تدل على الرضاء..  
وكان لا يزال يطحن بأسنانه تلك الحلوى اللذيذة، بينما تقدمت  
هى على الرصيف إلى منزلها وأدارت مقبض باب الشقة ودلفت  
إلى الداخل.



قالت وهى تبتسم فيما حولها: "عزيزى؟.. عزيزى، أين أنت؟"  
وأقفلت الباب وسارت فى الصالة ودخلت حجرة المعيشة ونادت  
"حبيبى...". وحدثت فى الأرضية لنحو عشرين ثانية فى محاولة منها  
لفهم الأمر.. ثم صرخت.

بالخارج وسط الظلام وأشجار الجميز، ثقب الرجل القصير عصا  
بيضاء طويلة بمجموعة من الثقوب المتتابة، ثم بدأ يتنهد بصوت  
منخفض وتغصنت شفاته.. ولم يلبث أن عزف نغمة حزينة بتلك الآلة  
الموسيقية البدائية ليصاحب الصراخ والغناء حزينا لصوت (كلاريس)  
وهى واقفة فى حجرة المعيشة.

عندما كانت (كلاريس) فتاة صغيرة كانت تعدو على رمال الشاطئ،  
وكثيراً ما كانت تتعثر فى قنديل بحر وتصرخ.. ولم يكن سيئاً جداً أن  
تجد قنديلاً كاملاً هلامى الجسم بحجرة معيشتها.. لكنها تراجعت بفزع  
بضع خطوات مبتعدة عنه.

ذلك أن قنديل البحر ناداها باسمها!.

## الرجل القاطن بأعلى

إنه يتذكر جيداً كيف كانت جدته تتعامل ببراعة وحنكة مع أحشاء الدجاج المجمد وتُخرج منها المُلحقات المولجة فيها.. مثل القطع الرطبة اللامعة للأحشاء التي تفوح منها رائحة اللحم وعضو القلب العضلى وقائصة الدجاجة التي تحتوى على البذور وما كانت تقعات به.. وكيف كانت جدته تقطع بشكل رائع الدجاجة وتُدخل يدها الدهنية الصغيرة فى جسمها لكي تخرج بعض التكتلات الدموية غير المرغوب فيها، والتي يتم غسلها إما فى حوض ماء وإما توضع فى أوراق لإلقائها للكلب لاحقاً. يأتي بعد ذلك عملية حشو الدجاجة بخبز متبل رطب وتقفيلها بخياطتها ببعض غرزات بالإبرة والخيط، مع مراعاة إجراء كل غرزة بعد إحكام شد الغرزة السابقة إليها.. وكان ذلك إحدى المتع المثيرة الكبرى فى حياة (أوجلاس) ذى الأحد عشر ربيعاً.

وعموماً فقد عد عشرين سكيناً فى الأدراج التي تصدر صريراً مزعجاً بمنضدة المطبخ السحرية كلما سحبت منها جدته - أو بعبارة أخرى الساحرة العجوز الرقيقة الوديدة بيضاء الشعر - الأدوات والأشياء التي تستخدمها فى أعمالها السحرية.

كان على (دوجلاس) أن يظل هادئاً.. فهو يقف فى الجانب المقابل لجدته من المنضدة ويضع أنفه المغطى بالنمش على حافتها ليراقب ما يحدث.. مع علمه أن أى ثرثرة من جانبه قد تعطل أو تعوق فعل التعويذة السحرية.. وكان يتمتع برؤية جدته وهى ترفع وتهز القارورة الفضية على الطائر لترش عليه مسحوق المومياء الغامض ومسحوق العظام الهندية وهى تغمغم ببعض كلمات ملغزة من فمها الذى يخلو من الأسنان تماماً.

نطق (دوجلاس) أخيراً كاسراً حاجز الصمت، وهو يشير إلى الدجاجة، قائلاً: "جدتى.. هل أنا أشبه ذلك من الداخل؟".. فقالت الجدة: "نعم، ولكن بشكل أكثر تنظيماً وهندمة، لكن تقريباً مثلها...".

أضاف (دوجلاس) وهو فخور بأحشائه: "وربما تكون أكثر من ذلك!..". فقالت الجدة: "نعم يا عزيزى، ربما أكثر من ذلك".

قال: "ولكن جدى له أحشاء أكبر منى بكثير، فإن بطنه الهائل يبرز إلى الأمام بحيث يمكنه أن يركز بمرفقه عليه و...".

ضحكت جدته وهزت رأسها، وأضاف (دوجلاس): "وكذلك (لوسى ويليامز) التى تعيش فى منزل آخر الشارع، إذ إنها..". فصاحت جدته: "اصمت يا صغيرى، لا يليق أن تتكلم هكذا".

قال: "أنا أريد أن أقول إن لها..". فصاحت فيه: "لا تهتم أو تذكر أبداً ما عندها أو غيره، فهذا أمر مختلف".



قال: "لكن لماذا هي مختلفة يا جدتي؟" .. فأجابته بهدوء: "اصغ إلى أيها الشقي المدلل، سوف تجيء حشرة (اليعسوب)<sup>(١)</sup> ذات يوم ولها ذيل إبرة الخياطة ثم تخطط فمك الثرثار هذا".

انتظر (دوجلاس) برهة ثم سألها: "كيف عرفتى يا جدتى أن بطنى من الداخل يشبه هذا الشيء؟" .. فقالت: "تباً!.. اخرج أيها العفريت من المطبخ حالاً!" .. وفى تلك اللحظة دق جرس الباب.

جرى (دوجلاس) فى الصلاة ومن خلال زجاج الباب الأمامى رأى قبعة من القش.. ودق الجرس مرة ثانية وثالثة ففتح (دوجلاس) الباب.

- "صباح الخير.. هل سيدة المنزل موجودة الآن يا صغيرى؟"

حدقت عينان رماديتان بأعلى وجه ناعم طويل بلون جوز الهند فى (دوجلاس).. كان القادم رجلاً طويل القامة رفيع البدن يحمل حقيبة سفر وحقيبة أوراق ومظلة مطوية تحت إبطه.. وأصابعه النحيلة مغطاة بالغازين فاخرين سميكين، ويضع على رأسه قبعة قش جديدة عجيبه الشكل..

تراجع (دوجلاس) وقال: "إنها مشغولة الآن" .. فقال الرجل: "أنا أريد أن أؤجر حجرتها بالطابق الأعلى والمعلن عنها".

---

(١) نوع من الحشرات له جسم طويل نحيل وزوجان من الأجنحة المعرّقة بشكل شبكة. (المترجم).

قال الصبى: "لدينا حتى الآن عشرة نزلاء وهذه الحجرة تم تأجيرها بالفعل، لذلك يمكنك أن تنصرف الآن!".

ظهرت جدته خلفه فجأة وقالت: "دوجلاس!"، ثم قالت للغريب: "معذرة، كيف حالك يا سيدى؟.. لا تهتم أبداً بهذا الطفل المشاكس".

خطا الرجل إلى الداخل ببطء وهو متجههم، ولاحظهما (دوجلاس) وهما يصعدان ويغيبان عن نظره بالطابق العلوى.. وسمع جدته وهي تشرح بالتفصيل وسائل الراحة بالحجرة العلوية.. وسرعان ما هبطت إلى أسفل لجمع بياضات وملاءات السرير من خزانة الملاءات وكومتها فوق يدي (دوجلاس) وأرسلته لكى يهرول إلى أعلى معها.

تريث (دوجلاس) قليلاً أمام عتبة الحجرة، فقد وجد الحجرة تغيرت كثيراً لمجرد وجود الغريب بها للحظات قليلة.. القبة القش تجثم بشكل مروع على السرير، والمظلة مستدة إلى الحائط كخفاش ميت له جناحان معتمان مطويان.. وجفل (دوجلاس) عندما رأى المظلة.. أما الغريب فكان واقفاً شامخ القامة فى منتصف الحجرة التى تغيرت.

فرش (دوجلاس) السرير بالملاءات وقال: "للعلم نحن ناكل هنا وقت الظهيرة بالضبط.. وإذا أتيت متأخراً فسوف تجد حساءك بارداً.. وجدتى هى التى حددت ذلك الميعاد فى كل يوم!".

عد الغريب عشرة بنسات نحاسية جديدة ووضعها فى جيب قميص (دوجلاس) وقال له باقتضاب: "سوف نكون صديقين يا بطل، أليس كذلك؟..

وكان ذلك مدعاة للسخرية، فالرجل ليس معه سوى بنسات، وفي الحقيقة الكثير جداً منها.. لكن ليس معه أية عملات فضية أو أى دايمات (أعشار دولارات) أو أرباع دولارات.. فقط عملات نحاسية صغيرة.

شكر (دوجلاس) باكتئاب وقال له: "سوف أضع هذه البنسات فى حشالتى ثم أغيرها إلى دايمات.. والآن لدى ستة دولارات وخمسين بنساً كلها دايمات جاهزة للصرف منها على رحلتى المخيمية فى أغسطس".. وعندها قال الغريب طويل القامة: "يجب أن أغتسل الآن".

ذات مرة فى منتصف الليل حدث أن استيقظ (دوجلاس) على صوت هدير العاصفة بالخارج.. الرياح القوية الباردة تهز المنزل والأمطار تدق بقوة على النوافذ.. ثم سقطت بعد ذلك صاعقة خارج النافذة مسببة هزة عنيفة صامتة.. وتذكر خوفه من أن ينظر فى أرجاء غرفته حيث يراها مربعة عند سطوع أى ضوء لحظى.

لكنه الآن موجود فى تلك الغرفة.. ويقف ناظراً إلى الغريب الطويل.. هذه الغرفة لم تعد كما كانت ولكن تغيرت بشكل يصعب وصفه بسبب هذا الرجل.. إذ قام بسرعة خاطفة بوضع بصمته عليها.. وعندما أخذ الغريب يتقدم بدأ (دوجلاس) يتراجع إلى الوراء.. وسرعان ما وجد الباب قد انغلق فى وجهه!

ارتفعت الشوكة الخشبية بالبساط المهروسة ثم هبطت فارغة.. وكان السيد (كوبرمان) - وهذا اسمه - أحضر الشوكة الخشبية والسكين الخشبي معه عندما نادت الجدة لتناول طعام الغداء.. قال لها



بهذه: "سيدة (سبولدينج) هذه أدوات المائدة التي أستعملها، أرجوك خذها.. وسوف أتناول الغداء اليوم فقط ولكن بدءاً من باكراً سوف أتناول الإفطار والعشاء فقط".

أخذت الجدة تعمل بسرعة، حاملة سلاطين ساخنة من الحساء والفول والبطاطس المهروسة لإسعاد وإبهار النزلاء معها، بينما جلس (دوجلاس) يقرقع بأدوات المائدة على طبقه، لأنه اكتشف أن ذلك يضايق السيد (كوبرمان)!

وقال (دوجلاس) له: "إنني أعرف حيلة لطيفة.. راقبني الآن.. ثم أمسك أحد أسنان الشوكة بظفر إصبعه، ثم أشار إلى أجزاء مختلفة من المائدة كالساحر.. وحيثما وجه الشوكة انطلق صوت اهتزاز الشوكة كصوت صادر من جنى.. وكان يفعل ذلك بيسر وسهولة، حيث يضغط يد الشوكة على سطح المائدة سراً.. ومن ثم تنطلق الاهتزازة من الخشب مثلما يحدث من لوحة تقوية صوت الآلة الموسيقية.. وبدا ذلك كالسحر بالفعل.. وشرح (دوجلاس) الأمر قائلاً وهو يحرك الشوكة مرة أخرى: "هناك وهناك وهناك!".. ثم وجه الشوكة إلى طبق حساء (كوبرمان) الذي لم يلبث أن صدر منه الصوت.

تجههم وجه السيد (كوبرمان) جوزى اللون واتسم بالحزم والرهبة.. ودفع طبق الحساء بقوة بعيداً عنه واختلجت شفاته وارتد على ظهر مقعده.

جاءت الجدة وقالت: "ماذا؟.. ماذا حدث يا سيد (كوبرمان)؟" ..  
فقال: "لا أستطيع أن أشرب هذا الحساء" .. فقالت: "ولماذا؟" .. فقال:  
"لأنى شبعان ولا أستطيع تناول المزيد من الطعام" .. شكراً لك" .. ولم يلبث  
أن غادر السيد (كوبرمان) الحجرة غاضباً.

سألت الجدة (دوجلاس) بحدة: "ما الذى فعلته بحق السماء؟"

- "لا شئ يا جدتى .. لكن لماذا يأكل بتلك الملاعق الخشبية؟"

- "لا يحق لك أن تسألنى أى سؤال! .. على أية حال متى تعود  
إلى المدرسة؟"

- "بعد سبعة أسابيع بالضبط"

صاحت الجدة: "الصبر يا إله السماوات!"

كان السيد (كوبرمان) يعمل كل ليلة، وفى كل صباح يصل إلى  
المنزل فى الساعة الثامنة تماماً فى غموض .. ثم يلتهم إفطاراً صغيراً  
جداً، ثم يصعد إلى غرفته، حيث ينام فى سكون طوال فترة الصباح  
الساخنة .. ثم يظهر مرة أخرى مع بقية النزلاء وقت تقديم عشاء آخر  
الليل فى المساء.

أجبرت عادات السيد (كوبرمان) فى النوم وكان من نتائج (دوجلاس)  
على المكوث فى هدوء .. غير أن ذلك كان غير محتمل بالنسبة إليه،  
وإذ كان ينتهز فرصة خروج الجدة إلى الشارع كى يفعل ما يحلو له،

فكان يدب بقدميه صعوداً وهبوطاً على الدرج وهو يدق على طيلة  
أو يقذف كرات الجولف أو يصرخ لمدة ثلاث دقائق متواصلة خارج  
باب حجرة السيد (كوبرمان) أو يشغل سيفون المرحاض لمرات كثيرة  
على التتابع!

فى حين لم يبد السيد (كوبرمان) أى رد فعل، وظلت حجرته صامتة  
ومعتمدة.. لم يشترك قط.. لم يسمع أحد أى صوت صادر منه.. وإنما ظل  
نائماً باستمرار.. وكان ذلك غريباً حقاً،

شعر (نوجلاس) بفيض من الكراهية المتقدة داخل نفسه.. والغريب  
أنه كان مقتنعاً بذلك.. الآن هذه الحجرة خاصة بـ (كوبرمان)، ولكنها  
كانت مشرقة ومضيئة عندما أقامت بها الأنسة (سادلو) من قبل.. أما  
الآن فهي معتمدة ومقفرة وباردة ونظيفة للغاية وكل شئ بها فى مكانه  
بالضبط فى نظام منفر غريب!

وفى صباح اليوم الرابع صعد (نوجلاس) على الدرج.. وكانت  
هناك فى منتصف المسافة إلى الطابق الثانى نافذة كبيرة متألقة  
بالشمس وتتكون من لوحين زجاجيين مقاس ست بوصات<sup>(٢)</sup> بألوان  
برتقالية وأرجوانية وزرقاء وحمراء وبورجنديّة<sup>(٣)</sup>.. وفى الصباح الباكر  
المنعش تسقط أشعة الشمس من خلالها على منبسط الدرج ثم ترحف

---

(٢) البوصة تساوى ٢,٥٤ سنتيمتر. (المترجم).

(٣) أى بلون الفبيذ الأحمر الذى يصنع فى مقاطعة "بورجنديا" بفرنسا. (المترجم).



إلى أسفل من على درابزين السلم.. وفى ذلك الوقت يقف (دوجلاس) مبهوراً أمام النافذة ليحرق فى العالم من خلال اللوحين الزجاجيين متعددى الألوان.

الآن يرى عالماً أزرق وسماء زرقاء وأناساً زرقاء وسيارات زرقاء وكلاباً زرقاء مهرولة!.. ثم زحزح اللوحين قليلاً.. الآن العالم أصفر!.. امرأتان كهرمانيتا اللون تمران مسرعتين وتشبهان ابنتى المجرم الصينى (فومانشو)<sup>(١)</sup>!.. وقهقه (دوجلاس) يجذل.. بل إن هذين اللوحين الزجاجيين جلا ضوء الشمس ذهبى اللون أكثر.

الآن الساعة الثامنة صباحاً وقد أقبل السيد (كوبرمان) يتهادى على الرصيف بأسفل، عائداً من عمله الليلي وواضعاً فوق مرفقه المظلة مطوية، والقبعة القش مثبتة بإحكام على رأسه.

حرك (دوجلاس) اللوحين مرة أخرى.. وعندئذ أصبح السيد (كوبرمان) رجلاً أحمر اللون يسير فى عالم أحمر، أشجاره حمراء وزهوره حمراء وكل شىء فيه أحمر اللون.

وفجأة لاحظ (دوجلاس) شيئاً غريباً فى السيد (كوبرمان).. فظهر شذراً بعينين نصف مفتوحتين.. وفعل الزجاج الأحمر شيئاً غريباً للسيد (كوبرمان).. وبالتحديد لوجهه وملابسه ويديه.. بدا أن ملابسه تختفى تماماً..

---

(١) شخصية خيالية لمجرم صينى ابتكرها الكاتب البريطانى (ساكس رومر). (المترجم).

واعتقد (دوجلاس) إلى حد ما للحظة واحدة رهيبه أنه يمكنه رؤية ما بداخل السيد (كوبرمان).. والحقيقة أن ما رآه جعله يستند بقوة إلى اللوح الأحمر الصغير وهو يطرف بعينه في دهشة.

في تلك اللحظة نظر السيد (كوبرمان) إلى أعلى ورأى (دوجلاس) ورقع مظلته في حلق كما لو كان يريد أن يضربه بها.. وسرعان ما جرى مسرعاً على النجيل الأحمر متجهاً إلى الباب الأمامي.. وصاح وهو يصعد على الدرج: "أيها الفتى.. ما الذي كنت تفعله لتوك؟".

قال (دوجلاس) بلا مبالاة: "كنت فقط أنظر، هذا كل ما في الأمر.. فصرخ السيد (كوبرمان): "هذا كل شيء، أليس كذلك؟".

- "بلى يا سيدي.. أنا أنظر من خلال هذين اللوحين الزجاجيين.. وأرى كل العوالم الزرقاء والحمراء والصفراء.. وكلها مختلفة عن بعضها البعض".

نظر السيد (كوبرمان) إلى اللوحين الزجاجيين الصغيرين وهو شاحب الوجه وقال: "كل العوالم مختلفة عن بعضها البعض.. ربما.. حسناً.. وامتلك زمام نفسه ومسح وجهه بمنديله وتظاهر بأنه يضحك وأردف: "نعم، ياللعجب، كل العوالم مختلفة عن بعضها البعض حقاً.. ثم مشى إلى باب حجراته وقال: "أذهب يا فتى والعب كما تشاء".

انصفق الباب وأصبحت القاعة خالية بعد دخول السيد (كوبرمان) في حجراته.. وهز (دوجلاس) كتفيه وسارع بتحريك اللوح من جديد وقال متلهلاً: "ياها!.. كل شيء الآن بنفسجي اللون!".

بعد نصف ساعة وأثناء لعبه فى صندوق الرمل الخاص به  
وراء المنزل، سمع (دوجلاس) صوت اصطدام وتحطم أو كسر..  
وثب واقفاً لتوه.

بعد لحظة ظهرت جدته فى المدخل المسقوف الخلفى للمنزل وهى  
ممسكة فى يدها المهترزة بشاحذة قديمة للأمواس وصاحت قائلة:  
(دوجلاس)!.. لقد قلت لك أكثر من مرة ألا تقذف كرة السلة التى معك  
على المنزل!.. يا إلهى!.. لماذا تضطرنى إلى الصراخ هكذا دائماً!..

قال محتجاً: "لقد كنت جالساً فى مكانى هذا".

- "تعال لترى ما الذى فعلته أيها الولد الشرير!"

كان فتات اللوحين الزجاجيين الضخمين الملونين منتشراً على  
منبسط الدرج فى فوضى بكل ألوان الطيف.. وكرة سلة جاثمة وسط  
هذا الحطام.

وقبل أن يتمكن حتى من إثبات براءته، فوجئ (دوجلاس) بجدته  
وهى تضربه اثنتى عشرة ضربة موجعة على مؤخرته.. وكان كلما وقع  
وهو يبكى تلقى ضربة من الشاحذ مرة أخرى. بعد ذلك وضع (دوجلاس)  
رأسه فى كومة الرمل كالنعامة لكى يستريح من آلامه الشديدة.. وكان  
يعرف من الذى قذف الكرة على النافذة.. رجل له قبعة من القش  
ومظلة جامدة وحجرة باردة كنيبة.. نعم، نعم، نعم.. وتساقطت دموعه  
وقال فى نفسه: "انتظر.. فقط انتظر".



سمع جدته وهى تكنس الزجاج المكسور، ثم أخذتها وألقته فى صندوق المهملات.. ألفت فيه مجموعة من قطع الزجاج الزرقاء والوردية والصفراء.. فلما انتهت، هب (دوجلاس) وقام يجر نفسه وهو يتأوه واحتفظ بثلاث قطع من هذا الزجاج العجيب اللون.. فقد كان السيد (كوبرمان) يكره الزجاج بالتأكيد، ولذلك فسوف تكون هذه القطع - وأخذ يصلصل بها بين أصابعه - ذات قيمة كبيرة!

كان جده يصل من مكتب جريدته كل ليلة قبل وصول المقيمين الآخرين بوقت قليل فى الخامسة عصراً.. وعندما يسمع (دوجلاس) وقع خطوات ثقيلة فى الصالة وقرقرة عصا ماهوجانى<sup>(٥)</sup> ثقيلة على حاملتها بالحائط، فإنه يجرى لى يحضن البطن الكبير ويجلس على ركبتى جده بينما يقرأ الأخير جريدته المسائية.

"مرحباً يا جدى.. مرحباً اجلس هنا!"

- "جدتى قطعت دجاجة اليوم من جديد.. لقد استمتعت بملاحظتها وهى تقوم بذلك".

لم يرد جده فواصل حديثه: "إنها الدجاجة الثانية هذا الأسبوع.. يبدو أنها تحب الدجاج كثيراً.. فقال جده: "إذن أنت تحب رؤيتها وهى تقطع الدجاج.. إيه!.. يالأعصابك الباردة أيها المشاكس كثير الأسئلة!"

---

(٥) خشب بنى محمر متين. (المترجم).

إننى فقط محب للاستطلاع كما تعرف.. فقال جده وهو عابس الوجه قليلاً: "أتذكر ذلك اليوم الذى قُتلت فيه السيدة الشابة بمحطة القطار؟.. لقد تحركت إليها ونظرت إليها وهى ملطخة بالدماء"، وضحك وأردف: "يا لك من ولد عجيب.. ولكن لا بأس لتبقى هكذا، ولا تخش شيئاً طوال حياتك.. أظن أنك أخذت تلك الصفة من والدك الذى كان - كما تعرف - رجلاً عسكرياً وكنت قريباً جداً منه قبل مجيئك لتعيش معنا هنا فى العام الأخير" ثم استأنف الجد قراءة جريدته.

بعد فترة من الصمت قال (دوجلاس): "جدى، ماذا يحدث لو لم يكن للمرء قلب أو رنتان، أو معدة وفى نفس الوقت نراه يتحرك فى كل مكان حياً.. فقال جده: "هذه تكون معجزة يا بنى".

- "لا أقصد معجزة، أقصد ما هو الموقف لو كان مختلفاً من الداخل.. أى ليس مثلى!".

- "حسناً، لن يكون هذا الشخص بشرياً عندئذ.. أليس كذلك يا بنى؟".

- "لا أعتقد ذلك يا جدى.. لكن هل لديك يا جدى قلب ورنتان؟".

قهقه جده وقال: "فى الحقيقة لا أعرف يا ولدى.. إذ لم أرهما قط.. كما أنتى لم أعمل أية أشعة قط ولم أذهب إلى طبيب بالمرّة.. لا أدرى ربما أكون محشواً من الداخل بشيء ما".

- "ولكن هل لدى أنا معدة يا جدى؟".

صاحت جدته وهى قادمة من البهو: "نعم لديك بالطبع، فأنا أطعمك كل يوم!.. إذن أين يذهب طعامك، ولديك رتقان لأنك تصرخ بصوت عال يكفى لإيقاظ الموتى.. ولديك يدان قذرتان وعليك أن تغسلهما فوراً!.. طعام الغداء جاهز.. هيا أيها الرجل العجوز وأنت يا (دوجلاس)، هيا".

أراد الجد أن يطرح على (دوجلاس) بعض الأسئلة بشأن حديثهما العجيب ولكنه وجد أن فرصته لتناول الطعام سوف تضيع.. إذ سمع اندفاع النزلاء إلى الطابق السفلى، وأنه لو تأخر عن ميعاد تناول الغداء للحظة واحدة، فإن الجدة والبطاطس سوف يتعجنان فى نفس الوقت!

كان النزلاء يضحكون ويتحدثون على مائدة الطعام - غير أن السيد (كوبرمان) كان صامتاً وعابساً بينهم - إلا أنهم صمتوا عندما تنحنج الجد وبدأ يتحدث فى السياسة لبضع دقائق ثم انتقل إلى موضوع حالات الموت الغريبة الحديثة الغامضة التى أثارت البلدة بأكملها.

قال الجد وهو ينظر إليهم جميعاً: "إن ذلك يكفى لجعل محرر قديم بالجريدة يصغى باهتمام شديد إليك.. الأنسة الشابة (لارسن) عاشت فى الجانب الآخر من الوادى الصغير الضيق.. وجدناها ميتة منذ ثلاثة أيام دون أى سبب أو ميرر.. فقط وجدنا بعض الأوشام الغريبة على جسمها كله.. وعلى وجهها تعبير يجعل الشاعر (دانتي)<sup>(٦)</sup> يصاب بالهلع..

---

(٦) دانتي أليجيرى (١٢٦٥-١٣٢١) شاعر إيطالى مشهور، مصنف ملحمة الكوميديا الإلهية. (المترجم).



واتك السيدة الشابة الأخرى، ماذا كان اسمها؟ .. (وايتلى)؟ .. لقد اختفت ولم تعد إلى منزلها قط.

قال السيد (بليتز) ميكانيكى الجراج، وهو يمضغ العلكة، موضحاً: ثم حدث الكثير من الأمور طول الوقت.. هل بحث أحدكم عن الناس المختفين بسجلات مكتب المفقودين؟ .. إنها قائمة طويلة حقاً.. هل تعرفون ما حدث لأكثرهم؟.

وفى أثناء ذلك قالت الجدة وهى تغرف كميات كبيرة من حشو باطن الدجاج: "هل يريد أحد المزيد من حشو الدجاج؟" .. ولاحظ (بوجلاس) ذلك وهو يفكر فى أن للدجاج نوعين من الأحشاء: نوع طبيعى من صنع الله ونوع صناعى من صنع الإنسان.

"حسناً، وماذا بشأن أنواع الأحشاء الثلاثة..؟" يا؟ " .. ولم لا؟".

استمرت المناقشات حول حالات الموت الغامضة لفلان وفلان.. ثم.. أوه.. نعم.. تذكر منذ أسبوع مضى.. (ماريون بارسوميان) ماتت بالسكتة القلبية.. لكن لعله لا توجد أية رابطة بين كل ذلك؟.. أو ربما توجد؟.. أنت مجنون!.. انس ذلك.. لماذا تتكلم عن ذلك على مائدة الطعام؟.. بهذه الطريقة!

قال السيد (بليتز): "إنك لا تستطيع أن تعرف حقيقة ما حدث.. لعل أحد مصاصى الدماء يسكن بلدتنا".

توقف السيد (كوبرمان) عن تناول الطعام، وقالت الجدة: "فى عام ١٩٢٧.. مصاص دماء؟.. ما أعجب هذا.. ولكن هل هذا صحيح؟".

قال السيد (بليتز): "بالطبع.. ويمكننا قتلهم برصاصات فضية.. أى شىء فضى يصلح لذلك الغرض.. مصاصو الدماء يكرهون الفضة.. لقد قرأت ذلك فى كتاب بمكان ما.. نعم بالتأكيد قرأت ذلك ذات مرة".

نظر (دوجلاس) إلى السيد (كوبرمان) وهو يأكل بملاعق وشوك خشبية ولا يحمل فى جيبه سوى عملات نحاسية.

قال الجد: "إن هذا حكم خاطئ.. أن نسمى أى شىء باسم ما لا نفهمه.. مثلاً لا أحد منا يعرف بالضبط ما هو الغول أو البعبع أو مصاص الدماء أو المارد.. أى منها يمكن أن يكون كائنات كثيرة.. أنت لا تستطيع أن تحصرها فى مراتب تحددها وتعطى لكل منها اسماً ما وتقول إنها ستتصرف بشكل أو آخر.. إن كل ذلك حماقة وجهل.. إنهم ناس، هم بشر.. هم بشر يفعلون أشياء معينة.. نعم هذه هى الطريقة الصحيحة للنظر إليهم، هم بشر يفعلون أشياء معينة".

قال السيد (كوبرمان): "المعذرة" ثم انتصب واقفاً إلى عمله المسائى.

ها هى ذى النجوم لامعة والقمر بازغ والرياح تهب والمنبه يتك باستمرار وأجراس الكنيسة تدق بمرور الساعات فى غبشة الفجر.. ثم تشرق الشمس وها هو ذا نهار جديد ويوم جديد.. والآن السيد (كوبرمان) يسير فوق الرصيف عائداً من عمله اليومى.. ووقف

(دوجلاس) مثل آلية صغيرة تطن وهو يراقب ما يحدث بعينه  
المجهريتين الحذرتين.

وعند الظهر توجهت الجدة إلى المخزن لشراء احتياجاتها من البقالة،  
وكعادته فى كل يوم عندما تذهب جدته، وقف (دوجلاس) يصرخ خارج  
باب حجرة السيد (كوبرمان) طوال ثلاث دقائق.. وعندما - كالعادة - لم  
يحصل على أى رد.. جرى إلى الطابق العلوى وأحضر المفتاح العمومى  
وشوكة فضية والقطع الثلاث من الزجاج الملون التى احتفظ بها من النافذة  
المحطمة.. ثم أدخل المفتاح فى القفل وفتح الباب ببطء شديد.

كانت الحجرة نصف مضاءة وستائر النوافذ مسدلة ولكن الرؤية  
واضحة فيها.. كان السيد (كوبرمان) ممدداً فوق أغطية سريره مرتدياً  
ملابس النوم ويتنفس بضعف إلى أعلى وإلى أسفل.. لم يبد أى حركة،  
وكان وجهه جامداً وساكنًا تماماً.

- "مرحباً يا سيد (كوبرمان).. كيف حالك؟".

رددت الجدران الشاحبة صدى تنفسه المنتظم.

- "مرحباً يا سيد (كوبرمان).. كيف حالك؟.. هل أنت بخير؟".

ضرب (دوجلاس) كرة الجواف فى الأرض فارتدت إلى أعلى  
ثم تقدم وصاح بصوت عال: "سيد (كوبرمان)!" لكن بدون أن يحصل  
على أية إجابة.



انحنى (دوجلاس) على السيد (كوبرمان) وحز بأفروع الشجرة  
الفضية فى وجه الرجل النائم.

جفل السيد (كوبرمان) واستدار وتأوه بمرارة.. وعموماً كانت  
الاستجابة جيدة ولا بأس بها.

أخرج (دوجلاس) قطعة زجاجية زرقاء من جيبه ونظر من خلالها  
فوجد نفسه فى حجرة زرقاء.. فى عالم أزرق مختلف عن العالم الذى  
يعرفه.. وكذلك كان مختلفاً عن العالم الأحمر.. ها هو ذا الأثاث أزرق  
والفرش أزرق والسقف والجدران زرقاء.. وهناك أطباق طعام خشبية  
زرقاء فوق مكتب أزرق.. وها هو ذا الوجه الكئيب للسيد (كوبرمان)  
وذراعاه الزرقاوان، وصدره الأزرق يرتفع وينخفض.. وأيضاً....

كانت عينا (كوبرمان) متسعيتين تماماً وتحققان فيه فى ظلام مطبق.  
ارتد (دوجلاس) إلى الوراء ونزع الزجاجاة الزرقاء من على عينيه..  
وفى تلك اللحظة انغلقت عينا السيد (كوبرمان).

وضع الزجاجاة الزرقاء على عينه من جديد.. انفتحت عينا الرجل.  
نزع الزجاجاة الزرقاء من على عينه.. انقلبت العينان، ومرة أخرى وضعهما  
على عينيه.. انفتحتا، ثم نزع الزجاجاة.. انقلبتا مرة أخرى.. وكان ذلك  
شيئاً عجيباً ومثيراً فى نفس الوقت، وقد جرب (دوجلاس) بنفسه وهو  
يرتعد، فمن خلال الزجاج بدت عينا (كوبرمان) تحققان باهتمام وجدة  
من وراء جفنيه المغلقين.. ولكن بدون الزجاج بدتا مقفلتين تماماً!

لكن الأعجب من ذلك كان ما تبقى من جسم السيد (كوبرمان)..  
فقد تلاشت الملاءات والبطاطين من تحت جسمه.. وكان للزجاجة الزرقاء  
علاقة بذلك.. أو لعلها كانت تلك الملابس التي يرتديها السيد (كوبرمان)..  
فما كان (دوجلاس) إلا أنه صرخ متعجباً!

كان يحدق من خلال جدار معدة السيد (كوبرمان) إلى أحشائه  
التي بداخلها!.. كان جسم السيد (كوبرمان) مصمتاً وليس مجوّفاً بالمرّة..  
أو كان هكذا تقريباً.. كانت هناك أشياء بأشكال وأحجام غريبة  
داخل جسمه!

لا بد أن (دوجلاس) وقف هناك فاعراً فاه من فرط الدهشة لنحو  
خمس دقائق، يفكر في تلك العوالم الزرقاء والعوالم الحمراء والعوالم  
الصفراء جنباً إلى جنب وهي تتعايش مع بعضها البعض كألواح الزجاج  
بنافذة الدرج البيضاء الكبيرة.. وربما قال السيد (كوبرمان) لنفسه من  
قبل: "جنباً إلى جنب.. الألواح الزجاجية الملونة.. العوالم المختلفة".

"سيد (كوبرمان).. استيقظ من فضلك لا إجابة".

- سيد (كوبرمان).. هلا أخبرتنى أين تعمل في المساء؟..  
سيد (كوبرمان) أين مقر عملك؟.

وهنا حركت نسمة رقيقة ظل النافذة الزرقاء.

- "هل تعمل في عالم أحمر أم أخضر أم أزرق؟".

ران صمت عميق بلون الزجاج الأزرق على كل شيء في الغرفة.

وقال (دوجلاس): "انتظر، سوف أعود سريعاً".

نزل إلى المطبخ وفتح الدرج الكبير الذى يُصدر صريراً حاداً منه أكبر وأخذ سكيناً.. وبهدوء شديد دلف إلى القاعة وصعد على الدرج وفتح من جديد باب حجرة السيد (كوبرمان) ودخل وأغلق الباب وراءه وهو ممسك بالسكين الحاد فى إحدى يديه.

كانت الجدة مشغولة بمسح قشرة فطيرة بأصابعها فى وعاء طبخ عندما دخل (دوجلاس) المطبخ ووضع شيئاً ما على المنضدة.. وقال: "يا جدتى.. ما هذا؟".

حملت قليلاً فى هذا الشيء من وراء نظارتها وقالت: "لا أدري".  
كان جسماً مربعاً ومرناً كعلبية.. وكان لونه برتقالياً زاهياً.. وكان متصلاً به أربع أنابيب لونها أزرق.. وكانت رائحته غريبة.  
"هل رأيت شيئاً كهذا من قبل يا جدتى؟".. فقالت له: "لا".  
- "هذا ما اعتقدته فعلاً".

وترك (دوجلاس) هذا الشيء فى مكانه وانصرف من المطبخ.. وبعد خمس دقائق عاد ومعه شيء آخر وقال لها: "وما رأيك فى هذا أيضاً؟".  
وضع على المنضدة سلسلة وردية لامعة فى أحد طرفيها مثلث قرمزي اللون.

قالت له جدته: "تضيع وقتى أكثر من ذلك.. إنها ليست أكثر من سلسلة".



فى المرة الثالثة رجع وىداه ممتلئتان .. طوق ومربع ومثلث وهرم  
ومستطيل .. وىضعة أشكال أخرى .. وكلها أشياء طرية ومرنة وىبدو أنها  
مصنوعة من مادة هلامية.

قال (بوجلاس) وهو ىضع تلك الأشياء فوق المنضدة: "هذه لىست  
كلها .. فهناك الكثير منها فى المكان الذى أحضرتها منه".

قالت جدته وهى مشغولة بصوت كئنه قادم من بعيد جداً: "نعم،  
نعم".

- "لقد كنت مخطئة يا جدتى".

- "عن ماذا؟".

- "عن أن كل الناس متشابهون فى داخل أجسامهم".

- "توقف عن هذا الهراء السخيف".

- "أىن حصالتى التى تشبه الخنزير الصغير؟".

- "على رف المدفأة حيث تركتها بالضبط".

- "شكراً لك يا جدتى الحبيبة".

دلف إلى الردهة ومد يده للوصول إلى حصالته، وفى تلك اللحظة  
عاد جده من مكتبه فى تمام الخامسة مساءً.

- "جدى، أرجوك اصعد إلى الطابق الأعلى".

- "بالطبع يا بنى .. ولكن لماذا؟".

- "لدى شىء أحب أن أريك إياه.. إنه ليس جميلاً ولكنه ممتع ومثير".

قهقهه جده وتبع أقدام حفيده إلى أعلى حيث توجد حجرة السيد (كوبرمان).

قال (دوجلاس): "يجب أن تعرف جدتى ذلك.. ولو أنى متأكد أنها لن تحبه بالمرة.. ثم فتح باب الحجرة على آخره وتمتم "هناك".. وفى الحال شهق جده.

طفق (دوجلاس) يتذكر الساعات القليلة التالية طوال ما تبقى له من العمر.. فقد كان المحقق الجانى ومساعدته واقفين بجوار جثة السيد (كوبرمان) العارية. وفى الطابق الأسفل كانت جدته تسأل شخصاً ما: "ما الذى يحدث هناك بأعلى؟". وكان جده يقول وجسده يرتعد: "سوف آخذ (دوجلاس) معى فى أجازة طويلة لعله ينسى كل هذا الموضوع المرعب.. حقيقة إنه حادث رهيب فعلاً".

قال (دوجلاس): "ولماذا تراه شيئاً هكذا؟.. أنا لا أرى فيه شيئاً سيئاً.. كما أننى لا أشعر بسوء أو خوف".

ارتعد جسد المحقق الجنائى وهو يقول: "(كوبرمان) قد مات.. هذا أمر مؤكد". وتصيب العرق من جسم مساعدته وقال: "هل رأيتم تلك الأشياء الموجودة فى أحواض الماء وفى ورق التغليف؟".

- "أوه، يا إلهى.. يا إلهى، نعم لقد رأيته".

- "يا إله السماوات!"

انحنى المحقق الجنائي على جثة السيد (كوبرمان) من جديد..  
وقال: "الأفضل أن يظل هذا سرّاً بيننا يا رفاق.. إن هذه ليست جريمة  
قتل.. لقد كان تصرف الصبي رحيماً به.. ولا يعلم سوى الله ما الذى  
كان يمكن أن يحدث لو لم يفعل ذلك".

- "ولكن ماذا كان (كوبرمان)؟.. هل كان مصاص دماء أم وحش  
أم ماذا؟".

قال المحقق: "ربما.. لا أعرف بالضبط.. شئ ما غير بشرى..  
ومر بيده بحذر على خيوط الجراحة.

كان (دوجلاس) فخوراً بما فعله.. فقد كلفه ذلك الكثير من المشقة..  
كان يراقب جدته بانتباه وتذكر.. دائماً فى يدها الإبرة والخيط..  
وعموماً فقد كان السيد (كوبرمان) مثله مثل أى دجاجة دخلت الجحيم  
بواسطة جدته.

- "لقد سمعت الصبي يقول إن (كوبرمان) عاش حتى بعد أن أخذ  
هذه الأشياء من جسمه".

ونظر المحقق إلى المثلثات والسلاسل والأهرامات الطافية فى  
أحواض الماء وغمغم: "يا الله!.. إنها مازالت تعيش".

- "هل قال الفتى ذلك؟".



- "نعم، قاله".

- "إذن، قل لى بربك ما الذى قتل (كوبرمان)؟".

سحب المحقق بضع جداول من خيط الحياكة فى المفروشات  
وقال: "هذه".

ومض ضوء الشمس الخافت بالقرب من كنز نفيس تم اكتشافه  
نصفه.. ما قيمته ستة دولارات وستون سنتًا من الدايمات الفضية  
الموجودة داخل صدر السيد (كوبرمان).

قال المحقق الجنائى وهو يخطط اللحم فوق "الحشو" الداخلى  
بسرعة: "أعتقد أن الفتى (دوجلاس) قام باستثمار صائب".

## المسوس بالنيران

وقفا تحت ضوء الشمس المتوهجة لفترة طويلة ينظران إلى الأسطح  
اللامعة لساعات الجيب العتيقة التي يحملونها، بينما انحنت الظلال  
أسفل منهم وهي تتمايل.. تساقط العرق تحت قبعاتهم الصيفية  
المسامية. وعندما كشفوا رؤوسهم لمسح حواجبهم المرسومة والوردية،  
انفصح شعرهم الأبيض المبلل كشئ ظل بعيداً عن الضوء لسنوات. وعلق  
أحد الرجلين بأن حذاءيه يبدوان كـرغيفي خبز محمصين، وأضاف وهو  
يتلهف بارتياح: "هل أنت متأكد أن هذا هو المبنى الصحيح؟".

هز الرجل العجوز الثاني، واسمه (فوكس)، رأسه كما لو أن أى  
حركة سريعة سوف تشعل فيه النار بالاحتكاك فقط وقال: "لقد رأيت تلك  
المرأة كل يوم طوال ثلاث سنوات.. وسوف تظهر الآن.. طبعاً إذا كانت  
لا تزال على قيد الحياة.. انتظر يا (شو) حتى تراها.. يا إلهي!، يا لها  
من قضية".

قال (شو): "هذه عملية غريبة.. لو عرف الناس أنه بوسعهم  
الاعتقاد أننا نخلس النظر إلى النساء العاريات أو أننا مجموعة من

المسنين الحمقى المرتعشين، يا إلهي، إننى أشعر بأننى شخص خجول واقف هنا.

استند (فوكس) على عصاه وقال: "دعنى أتكلم فى كل شىء إذا..... انتظرا!.. ها هى ذى!.. وخفض صوته وأردف: "انظر إليها ببطء وهى تخرج".

انفتح الباب الأمامى للمنزل وانصفق بعنف.. ووقفت امرأة قصيرة وبدينة بأعلى سلم المدخل ذى الثلاث عشرة درجة تنلفت هنا وهناك بعينيها الغاضبتين المتحركتين بسرعة. أدخلت يدها الممتلئة فى كيسها وأمسكت ببعض الدولارات المتفضضة وهبطت على السلم بكبرياء وغرور وسارت فى الشارع فى طريقها، وخلفها حديق عدد كبير من الرؤوس من النوافذ العليا إثر صفقها لباب شقتها.

همس (فوكس): "تعال، سوف نذهب إلى الجزار". وفتحت المرأة باب محل الجزاره واندفعت بداخله. ورأى الرجلان العجوزان فمًا ملونًا بأحمر الشفافة. كان حاجباها كشارين فوق عينيها المرتابتين اللتين تنظران شذراً. وأمام محل الجزاره سمعا صوت صراخها بالداخل. "أريد قطعة لحم جيدة.. دعينا نرى ما الذى تخفيه لتأخذه إلى منزلنا!".

وقف الجزار صامتًا فى مربلته المملوطة بالدماء ويداه فارغتان.. دخل الرجلان العجوزان خلف المرأة وتظاهرا بالإعجاب بكتلة لحم حمراء من خاصرة البقرة.



صاحت المرأة: "شريحة لحم الحمل هذه تبدو سيئة!.. ما هو سعر المخ؟".

فأجابها الجزار بصوت منخفض.

قالت المرأة: "حسناً زن لى رطلاً من الكبد!.. وابعد إيهاميك عنه!..  
وزن لها الجزار ما تريده بتؤدة.. وصاحت المرأة: "أسرع قليلاً!..  
واقف الآن الجزار ويداه مختلفيتان تحت الطاولة.

همس (فوكس): "انظر".. ومال (شو) إلى الوراء قليلاً ليحقق من  
تحت الحاجز. فى إحدى يدي الجزار المملختين بالدماء والفارغتين منذ  
قليل يوجد الآن ساطور قطع اللحم وهو قابض عليه بقوة ثم استرخاء..  
بقوة ثم استرخاء.. كانت عينا الجزار زرقاوين وهادئتين وتتسمان  
بالخطورة فوق الطاولة الخزفية البيضاء، بينما كانت المرأة تصرخ فى  
هاتين العينين والوجه الأحمر رابط الجأش.

همس (فوكس): "الآن، هل تصدقنى؟.. إنها تحتاج مساعدتنا  
بالتأكيد".

حدقا فى مكعبات اللحم الطازجة لفترة طويلة ولاحظا كل النقر  
والعلامات الموجود بها من جراء ضربها عشرات المرات بالمطرقة الفولاذية.  
استمرت الأصوات المزعجة عند محل البقالة ومحل الأدوات  
والخردوات الرخيصة.

وتبعها الرجلان العجوزان من على مسافة كبيرة.

قال السيد (فوكس) بهدوء: "هذه هي السيدة الراغبة فى الموت.. إن هذا يشبه مشاهدتنا لطفل فى الثانية من عمره وهو يركض هارباً من ساحة قتال.. وأنت تقول فى كل لحظة: إنها سوف تصطدم بلغم، يوم!.. اللعنة!.. ابحث عن درجة الحرارة الآن لتجد أن الرطوبة عالية جداً وكل الناس متضايقون ويعرقون كثيراً ويتوترون.. وعندئذ سوف تأتى هذه السيدة الناعمة وهى تنتحب وتصرخ.. وبالتالى مع السلامة.. حسناً، هل سنبدأ العمل الآن يا (شو)؟"

ذهل (شو) من اقتراحه ذاته وقال: "تعنى أن تسير مباشرة إليها؟.. أوه!.. ولكننا لن نفعل ذلك بالطبع، أليس كذلك؟.. لقد ظننت فقط أن هذا نوع من الهوايات، فأنت تعرف أن الناس لهم هوايات وعادات وممارسات... إلخ.. لقد كان الأمر مبهجاً.. ولكن هذا خلط فى...؟.. عموماً، هناك بالقطع أشياء أفضل لنعلمها".

قال (فوكس): "هل هذا صحيح؟.. وأوماً برأسه إلى الشارع بأسفل، حيث كانت المرأة تهزول أمام السيارات وتضطربها إلى الوقوف بعد الضغط على الفرامل بقوة هائلة وضرب النفير والسب واللعن وأردف: "هل نحن مسيحيون حقاً؟.. هل نترك تلك المرأة لكى تقدم نفسها لا شعورياً طعاماً للأسود؟.. أم هل تهديها؟"

"تهديها؟.. ماذا تعنى بالضبط؟"

"تهديها إلى الحب وصفاء النفس.. تهديها إلى حياة أطول وأفضل.. انظر إليها.. ألا تريد أن تعيش لمدة أطول؟.. هناك أمور تؤدى إلى تفاقم

الحالة السيئة للناس.. وفى يوم ما سيقدم أحدهم لها خدمة ويضربها  
بمطرقة ثقيلة أو يعطيها مادة (الاستركنين)<sup>(١)</sup> القاتلة.. وعندما تغرق  
وتوشك على الهلاك، تضطرب وتتشبث بأى إنسان وتصرخ بشدة.. والآن  
دعنا نتناول طعام الغداء ونساعدها.. أليس كذلك؟.. وإلا فإن ضحيتنا  
سوف توصل الركض حتى تقابل قاتلها".

نهض (شو) بينما ارتفعت الشمس فى كبد السماء ودفعته لى  
يسير فى ممر جانبي أبيض ساخن.. وبدأ للحظة أن الشارع ينحدر  
رأسياً إلى الأمام، بحيث ينتهى بهاوية سقطت فيها المرأة باتجاه السماء  
المتقدة.. وأخيراً هز رأسه وقال: "أنت على حق.. لا أريد أن يثقل أمرها  
على ضميرى".

كانت الشمس قد حرقت الطلاء الذى يكسو واجهة المنزل وطمست  
لون الهواء وأحالت مياه البالوعات إلى بخار قبيل منتصف النهار..  
عندما وقف العجوزان فى ضعف ولا مبالاة وهمود بسبب الحر فى الممر  
الأوسط بمنزل يتم فيه توجه هواء الفرن من الأمام إلى الخلف فى تيار  
لافح.. وعندما تكلما كان حديثهما عبارة عن حديث خافت ومكتوم فى  
حجرات ممتلئة بالبخار، نائية تماماً ومضجرة بشكل غير عادى.

انفتح الباب الأمامى، وأوقف (فوكس) صبيّاً يحمل رغيفاً مقطوعاً وقال  
له: "يا بنى، نحن نبحث عن المرأة التى تصفق الباب بشدة عندما تخرج".

(١) مادة سامة تستخدم للقضاء على القوارض والحشرات. (المترجم).



قال الصبى وهو يجرى صاعداً إلى الطابق الأعلى ويصيح: "أوه!.. المرأة.. إنها السيدة (شرايك)".

أمسك (فوكس) بذراع (شو) وقال: "يا إله السماوات!.. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً!.. وقال (شو): "أريد أن أذهب إلى المنزل".

رد (فوكس) وهو غير مصدق ويدق بعصاه على سجل الحجرات فى البهو: "ولكن ها هي ذى!.. السيد والسيدة (البرت شرايك)، حجرة ٢٣١ بأعلى!.. الزوج يعمل فى تفريغ وتحميل المراكب، وهو شخص متوحش ضخيم الجسم ويأتى دائماً إلى المنزل قذراً.. وشوهدا يوم الأحد وهما يخرجان، وهى ثرثارة تتكلم فى أى شىء وهو لا يتكلم ولا ينظر إليها أبداً.. أوه!.. تعال يا (شو)".

قال (شو): "لا فائدة.. لا يمكنك مساعدة أناس مثلها إلا إذا أرادوا أن تساعدكم.. هذا هو القانون الأول فى مجال السلامة العقلية.. وأنت تعرف ذلك بالطبع.. وإذا تطلعت عليها فسوف ترد عليك بقوة وقظاظه.. لا تكن أحمق يا رجل".

"ولكن من هو الذى سيتكلم معها - أقصد مع أناس مثلها؟.. أو حتى مع زوجها؟.. وأصدقائها؟.. أو مع البقال أو الجزار؟.. إنهم كلهم سوف يرقصون بعد انصرافها!.. ترى هل سيخبرونها أنها تحتاج إلى طبيب نفسى؟.. وهل تدرك هى ذلك؟.. لا.. ومن يعرف ذلك؟، نحن نعرف.. حسناً!.. والآن أنت لن تحجب معلومات جوهرية كهذه عن الضحية، أليس كذلك؟".

خلع (شو) قبعته وحقق فيها باكتئاب ثم قال: ذات مرة فى حصة علم الأحياء منذ زمن طويل سألتنا مدرستنا عما إذا كنا نفكر فى إزالة الجهاز العصبى لضفدعة بواسطة مشروط.. مع المحافظة عليه سليماً تماماً.. أى أن نخرج قرون الاستشعار الدقيقة كلها ومعها جميع الأشواك ذات اللون الأحمر الوردى والعقدات العصبية نصف المخفية.. بالطبع كان ذلك مستحيلاً.. فالجهاز العصبى جزء لا يتجزأ من الضفدعة، بحيث لا توجد طريقة أبداً لسحبه منها كما تسحب يدك مثلاً من قفازك الأخضر.. لأنك عندئذ سوف تدمر الضفدعة كلها.

"حسناً، ها هى ذى السيدة (شرايك).. لا توجد طريقة ما للتعامل مع عقدها العصبية الفاسدة.. وهناك إفراز الصفراء فى السائل الزجاجى لعينيها اللعينتين الصغيرتين الجاحظتين اللتين تشبهان عين الغيل.. ويمكنك أن تحصل على كل لعابها من فمها إلى الأبد بدون توقف.. إن ذلك مؤسف حقاً، ولكننى أعتقد أننا قد ذهبنا بالفعل إلى مدى بعيد جداً".

قال (فوكس) بآثاء واهتمام وهو يهز رأسه: "هذا صحيح.. ولكن كل ما أريد أن أقوله هو توجيه إنذار لها.. أن ألقى بذرة صغيرة فى عقلها الباطن.. ثم أقول لها: "أنت مقتولة.. أنت ضحية تبحثن عن مكان وقوع الجريمة.. أنا أريد زرع بذرة صغيرة جداً فى رأسها ثم أتمنى أن تنبت تلك البذرة وتزدهر هناك.. إنه أمل ضئيل للغاية، قبل أن يفوت الأوان، أن تجمع شجاعته وتذهب من تلقاء نفسها إلى طبيب نفسى!".

إن الجو ساخن للغاية بما يحول دون التكلم معها".

بل إن هذا ادعى للتصرف بسرعة!.. فكثير من الجرائم يتم ارتكابها في درجات حرارة ٩٢ درجة فهرنهايت أكثر من أية درجات أخرى.. أما أكثر من ١٠٠ درجة فهرنهايت<sup>(٢)</sup> فالناس لا يتحركون بسبب شدة القيظ.. أما أقل من ٩٠ درجة، فدرجة الحرارة تكون باردة بما يسمح ببقاء المرء على قيد الحياة.. ولكن عند درجة حرارة ٩٢ درجة فهرنهايت تكون ذروة التهيج والتوتر عند أكثر الناس.

"وكل شيء يكون وقتئذ مثيراً ومسبباً للتوتر وسقوط الشعر والعرق وطهي لحم الخنزير.. والعقل يصبح عندئذ كفأراً مندفع في متاهة جديدة عليه.. أقل شيء يحدث للمرء، مثل كلمة تقال له أو نظرة إليه أو صوت يسمعه أو سقوط شعرة من رأسه، يؤدي إلى وقوع جريمة متهورة.. وبالطبع تعبير (جريمة متهورة) مروع لك.

"والآن انظر إلى مقياس الحرارة الذي في القاعة، تجده يقرأ ٨٩ درجة فهرنهايت، وفي نفس الوقت يتحرك حثيثاً تجاه ٩٠ درجة.. ومعنى ذلك أنه يزحف ببطء وإصرار باتجاه ٩١ درجة بعد ساعة من الآن، حيث يزداد القلق والتوتر ثم يواصل الزحف إلى ٩٢ درجة بعد ساعتين من الآن.. إذن هذه هي مجموعات درجات السلم.. حيث يمكننا أن نستريح على كل منبسط.. والآن سنبدأ الصعود على الدرج!"

---

(٢) مقياس حرارة تكون فيه درجة التجمد ٣٢ والغليان ٢١٢ مقارنة بنظام المقياس المئوي. والتحويل من فهرنهايت إلى مئوي يطرح ٣٢ ثم يقسم الناتج على ١,٨. (المترجم).



تحرك الرجلان العجوزان وسط ظلام الطابق الثالث.. وقال (فوكس):  
لا تقرأ أرقام الغرف، ودعنا نخمن أية غرفة هي غرفتها.. ووراء آخر  
باب في الطابق انبعث صوت مدو من جهاز راديو، وتناثر الطلاء القديم  
من فوق الجدار المتهاك وتطايرت أجزاؤه وشظاياها بهدوء على البساط  
المساكن تحت أقدامهما.. ولاحظ الرجلان الباب بأكمله وهو يرتج من  
تأثير الاهتزازات التي حدثت في شقوقه.

نظر الرجلان إلى بعضهما البعض وهز رأسيهما في صمت..  
ثم تبع ذلك صوت حاد يشبه صوت فأس وهو يقطع في ألواح خشبية..  
كان لامرأة تصرخ في شخص ما عبر البلدة في هاتف تتحدث منه.  
"ليس ضرورياً أن تستخدم هاتفاً.. إذ يكفيها أن تفتح نافذتها  
وتنادي منها!"

غمغم (فوكس) بضع كلمات تصديقاً له.. ثم تصاعد صوت  
الراديو ببقية أغنيته، ودوى صوته عالياً.. وغمغم (فوكس) مرة أخرى، ثم  
درب فتح مقبض الباب. وشعر بالذعر عندما تحرر الباب من قبضته  
وانفتح بسرعة إلى الداخل، تاركاً إياهما كممثلين فاجأتهما ستارة  
السرور بالارتفاع مبكراً عن مواعدها.

صرخ (فوكس): "أوه!.. لا.. هذا غير ممكن!".. إذ سرعان ما غرقا  
في شلال من الأصوات.. كانا كالواقفين في قناة تصريف الماء الفائض  
من سد ويجذبان عتلة فتح البوابة.. وغريزياً رفع الرجلان أيديهما

وغمرًا بأعينهما كما لو أن الصوت مجرد ضوء الشمس المتقدة الذي يحرق أعينهما .

كانت المرأة "وهى بالفعل السيدة (شرايك)!" واقفة عند هاتف حائطي واللعب يتساقط من فمها بمعدل هائل.. وظهرت كل أسنانها الضخمة البيضاء التي تجزئ حديثها الطويل الممل، ومنخاريها الواسعتين.. وفى جبهتها عرق نابض بارز إلى أعلى، ويدها غير المسكة بالسמاعة تنقبض وتنقرد باستمرار.. وكانت عيناها مقفلتين تمامًا وهى تصرخ قائلا: "قل لابن زوجى اللعين إننى لن أراه، فهو متشرد كسول!".

وفجأة وسعت المرأة من عينيها، كما لو أن غريزة حيوانية لديها أحست، أكثر منها سمعت أو رأت، متفلقين عليها.. استمرت تصرخ فى الهاتف، وفى نفس الوقت تحدج زائريها بنظرة حديدية باردة.. واستمرت تصرخ لحوالى دقيقة كاملة، ثم ألقت بالسמاعة بعنف وقالت بدون أن تأخذ نفسها: "حسنًا، ما الأمر؟".

تحرك الرجلان معًا ضمائمًا لسلامتها، وبدأت شفاهما تتحرك، وصاحت فيهما المرأة: "تكلما بحق السماء!".. فقال (فوكس): "هل تسمحين بغلق جهاز الراديو؟".

فهمت كلمة "راديو" من قراءة شفاههما.. وقامت - وهى لا تزال تحقق فيهما بوجهها الذى لوحته الشمس بلون يرونزى - بلطم الراديو بدون أن تنظر إليه، مثلما يلطم المرء طفله الذى يواصل الصراخ طوال اليوم وأصبح هذا نمطه فى الحياة اليومية، وخمد صوت الراديو تمامًا.

"أنا لا أريد شراء أى شئ!"

أخرجت رزمة بالية بها مجموعة من السجائر الرخيصة، كما لو كانت تخرج عظمة بها قطعة من اللحم، وخطفت سيجارة منها ووضعتها في فمها الملطخ وأشعلتها.. وأخذت تسحب أنفاسها بنهم وتطلقها من مخاريبها الرفيعين حتى أصبحت كأنها تنين تارى يواجههما وسط حجرة يملؤها الدخان.. ثم قالت في برود: "إن لدى عملاً أؤديه.. هل أفصحتما عما تريدان؟"

نظرا إلى المجلات المنثورة على مشمعات الأرض كحصيلة صيد هائلة من أسماك زاهية الألوان.. وقدرح قهوة متسخ ملق بالقرب من كرسي هزاز.. مصابيح كهربائية مائلة دهنية الملمس وعليها علامات لأصابع.. ألواح زجاج النوافذ الملطخة.. الأطباق المكومة في الحوض وفوقها حنفية يقطر منها الماء باستمرار.. أنسجة العناكب العائمة في أركان السقف كجلود حيوانات ميتة.. وفوق كل ذلك الرائحة الواضحة لحياة استمرت طويلاً جداً بالمكان.. ونافذة مفتوحة..

رأيا مقياس الحرارة فوق الجدار وكانت درجة الحرارة المسجلة به: ٩٠ درجة فهرنهايت.. ونظر كلاهما إلى الآخر نظرة نصف هالعة.. وأخيراً قال (فوكس): "أنا السيد (فوكس) وهذا السيد (شو).. نحن بانغا وثائق تأمين متقاعدان.. ولكن مارلنا نبيع الوثائق من وقت إلى آخر لزيادة دخلنا من التقاعد.. بيد أننا في معظم الأوقات نعيش حياتنا ببساطة كما يحلو لنا و....."



قالت: "إذن أنتما تحاولان بيع وثيقة تأمين لي!" .. ورفعت يدها تجاههما بينما الدخان يتصاعد من سيجارتها .. فقالا لها: "ولكنك لست مطالبة بدفع أية أموال في هذه الوثيقة، مطلقاً" .. فقالت: "استمرا في حديثك ما".

قال أحدهما: "لا أعرف كيف أبدأ بالضبط.. هلا جلسنا لبعض الوقت؟" .. ونظر حوله غير أنه لم يجد في الحجرة شيئاً يمكنه الوثوق بالجلوس عليه وقال "لا بأس" .. ثم رأى أنها على وشك أن تجار بالكلام الجارح فواصل بسرعة: "لقد تقاعدنا بعد ٤٠ عاماً في التعامل مع أناس يمكنك أن تقولي إن أعمارهم تتراوح من وقت فترة الحضانة إلى باب المقبرة .. وخلال تلك الفترة الطويلة تشكلت لدينا آراء معينة ..

"ففي العام الماضي كنا نجلس في منتزه نتحدث، وهناك استعرضنا الحقائق المتوفرة وتوصلنا إلى استنتاجات عامة .. أدركنا أن الناس لا يموتون كلهم صفاراً .. وبتعبير آخر يمكن بالاستقصاء والبحث الصحيحين الوصول إلى نوع جديد من المعلومات الخاصة بالعملاء كخط إضافي تستفيد منه شركات التأمين والعملاء و...".

قالت المرأة: "ولكنني لست مريضة فما قولكما؟" .. فصاح السيد (فوكس): "ولكنك مريضة بالفعل يا سيدتي!" .. ولكنه سرعان ما وضع إصبعين على فمه في رعب .. فصرخت فيه: "أنت لست الشخص الذي يقول لي ماذا أكون!" ..

واصل (فوكس) حديثه مباشرة: "أرجوك اتركيني أوضح لك حقيقة الأمر.. الناس يموتون كل يوم، طبعاً من وجهة نظر علم النفس.. جزء من أجسامهم يتعب أو يتدهور جداً.. وهذا الجزء الصغير يحاول قتل الإنسان كله.. مثلاً.. وتلفت حوله وبدأ يستعرض أول دليل يؤدي إلى ارتياح كبير: "ها هو ذا!!.. هذا المصباح الكهربائي في حمامك، إنه مركب فوق البانيو وأسلاكه متهرئة ومكشوفة.. ويوما ما سوف تتزحلقي وتمسكين بشيء ما ثم.. بووف!.."

حدقت السيدة (ألبرت شرايك) هنيهة في المصباح الكهربائي في حمامها وغمغمت: "هكذا؟" فواصل السيد (فوكس) كلامه: "الناس...". وبدأ حديثه المفعم بالحيوية والحماس، بينما تلمل السيد (شو) في عصبية وأخذ وجهه يتورد فترة ثم يشحب فترة أخرى، وسار ببطء باتجاه الباب.. وواصل: "الناس مثل السيارات يحتاجون إلى اختبار سلامة الفرامل.. فرامل عواطفهم.. هل أنت معي؟.. أضواؤهم، بطارياتهم الكهربائية، اتجاهاتهم في الحياة وردود فعلهم تجاهها.."

زمجرت السيدة (شرايك) قائلة: "لقد انتهت دقيقتكما.. وحتى الآن لم أفهم أى شيء لعين منكما.."

نظر السيد (فوكس) بطرف عينه أولاً إليها ثم إلى الشمس اللافحة بلا رحمة التي تلهبهم أشعتها من خلال زجاج النافذة المتربة.. وكان العرق ينساب في خطوط على وجهه.. ثم رمق مقياس الحرارة فوق الجدار بنظرة خاطفة وهمس كمن يحدث نفسه: "٩١ درجة.."

فقلت فى دهشة: "ماذا دهاك يا رجل؟" .. فقال: "أستمحك عذراً يا سيدتى" .. ثم حلق فى انبهار فى خيط الزئبق الساخن وهو يرتفع فى الزجاجة الصغيرة فى الجانب المقابل من الغرفة.

أردف: "أحياناً .. أحياناً نفعل، أو تحدث لنا كلنا، أشياء خاطئة تماماً .. مثلاً اختيار أزواجنا أو زوجاتنا .. اختيار مهنة غير مناسبة .. فقدان أموالنا .. الإصابة بالأمراض .. مثلاً الإصابة بصدا ع نصفى فى الرأس أو قصور وظائف الغدد ... إلخ .. عشرات من الأشياء الصغيرة المزعجة الضارة .. ولكن قبل أن تدركيها، فإنك تنقلينها إلى كل شخص تقابلينه فى أى مكان".

كانت تراقب فمه كما لو كان يتحدث بلغة أجنبية لا تفهمها .. ثم قطبت حاجبيها ونظرت بطرف عينيها وأمالت رأسها، بينما سيجارتها تحترق مطلقاً دخانها فى يدها المكتنزة لهما.

واصل (فوكس) بعد أن ابتلع لعابه ونظر بعيداً عنها: "إننا ننتقل هنا وهناك ونحن نصرخ ونتكلم بهستيريا ونصنع الكثير من الأعداء .. ونحن نعمل على جعل الناس يريدون رؤيتنا .. مثلاً بإصابتهم بالأمراض أو الموت أو المشاكل ... إلخ .. غير أن الناس يريدون ضربتنا أو طرحنا أرضاً أو إطلاق النار علينا .. ولكن كل ذلك بالطبع يحدث لا إرادياً .. ألسنت معى فى ذلك يا سيدتى؟".

وقال فى نفسه إن الجو حار جداً .. لو كانت هناك نافذة واحدة مفتوحة لتحسن الأمر كثيراً .. وفى تلك اللحظة اتسعت حدقتا عيني



السيدة (شرايك)، بما يسمح بالطبع بكل الاحتمالات.. فواصل حديثه بسرعة: "بعض الناس ليسوا فقط عرضة للإصابة في حوادث بما يعنى أنهم يريدون معاقبة أنفسهم بدنياً لارتكابهم خطأ أو جريمة ما، عادة ما تكون عملاً لا أخلاقى صغيراً نسوه من زمن طويل.. وإنما يضعهم عقلهم الباطن في مواقف خطيرة، تجعلهم يعبرون الطريق في اتجاه مخالف أو تجعلهم...". وتردد للحظة حيث كان العرق يتقاطر ساقطاً من ذقنه وواصل: "جعلهم يتجاهلون الأسلاك الكهربائية المتهرثة فوق بانىو الاستحمام بحماماتهم.. وهذا معناه أنهم ضحايا محتملون.. إن هذا معلوم على وجوههم بخطوط خفية - مثلاً الوشم أو شيء من هذا القبيل.. من داخل أجسامهم وليس خارج جلودهم! - وعند مرور أحد القتلة، من أولئك الذين يتمنون موت الغير، بأحد هؤلاء المعرضين للحوادث، فسوف يرون تلك العلامات الخفية وعلى الفور يستديرون ويتجهون إليهم لا يهربون ويطارقونهم إلى أقرب شارع يسيرون فيه.

"وبقليل من الحظ يمكن للضحية المحتملة التي نعيشها ألا تعترض طريق هذا القاتل المحتمل طوال خمسين عاماً.. ثم في ظهيرة أحد الأيام ينقذ القدر مخططه!.. هؤلاء الناس المعرضون للصوت يثيرون أسوأ الأحاسيس السيئة لدى أعصاب الأغراب المارين بهم.. إنه يمسون الجريمة بطريقة ما كما تفهم عقولنا".

دعكت السيدة (شرايك) سيجارتها بهدوء في طبق قذر.. وهنا نقل (فوكس) عصاه من يده المرتعدة إلى اليد الأخرى وأردف: "وهكذا فإنه

من عام تقريباً قررنا العثور على الناس الذين يحتاجون مساعدة.. هؤلاء دائماً أشخاص لا يعرفون أنهم بحاجة لمساعدة، ولا يحملون أبداً بالذهاب إلى طبيب أمراض نفسية وعصبية.. الحقيقة أنني في البداية قلت إننا سوف نقوم بتجربة استطلاعية، وكان (شو) دائماً ضد تلك الفكرة، فيما عدا اعتبارها هواية، أي مجرد شيء بسيط صغير غير ضار يحدث بيننا نحن الاثنين..

أظن أنك ستقولين إننا رجلان أحمقان، ومع ذلك فقد أكملنا عاماً كاملاً من التجارب، وخلالهما راقبنا رجلين ودرسنا ظروفهما البيئية وعملهما وزواجهما من على بعد طبعاً.. ربما تقولين ليس هذا من شأنكما؟.. حسناً جداً، ولكن في كل مرة حدث للرجلين نهاية سيئة.. أحدهما قتل في حانة، والآخر ألقى به شخص ما من النافذة..

وهناك امرأة درسنا حالتها قتلها سيارة في الشارع.. هل كل تلك الحوادث مصادفات؟.. وماذا تقولين في الرجل العجوز الذي تسمم عرضاً وقضى نحبه لأنه لم يطفى لمبة الحمام ليلاً؟.. ترى ماذا دار بخذه ومنعه من إطفاء اللمبة وقتئذ؟.. ما الذي جعله يسير في الظلام ويشرب الدواء في الظلام ويموت بالمستشفى في اليوم التالي، علماً بأنه قال إنه كان يريد أن يعيش؟..

إن لدينا دلائل، أكثر من دليل واحد.. اثنتا عشرة حالة.. نعوش دقت مساميرها على أناس نصفهم مات في وقت قصير جداً.. والآن لن نجرى المزيد من التجارب، لقد حان وقت العمل.. يجب أن نستخدم

المعلومات المتوفرة لنا في حماية الناس.. حان وقت العمل مع الناس وإنشاء صداقات معهم قبل أن يدخل الحانوتي من الباب الخلفي..

وقفت السيدة (شرايك) متجمدة في مكانها كما لو كان ضربها على رأسها بمطرقة، كإنسان بدين تجمد مكانه.. ثم لم تلبث شفتاها الملطختان أن انفجرتا وقالت: "وقد جئتما إلى هنا لكي...؟" فقال: "حسناً، إن...". فقالت: "هل كنتما تراقباني؟" فقال: "الواقع أننا فقط...". فقالت: "كنتما تتبعاني طوال الوقت؟" فقال: "ذلك لكي...". فصاحت فيهما: "انصرفا حالا.. اغربا عن وجهي الآن".

قال (فوكس): "ولكننا نستطيع أن...". فقالت لهما: "قلت انصرفا الآن!". فقال لها متوسلاً: "أرجوك انصتي فقط وسوف...". وهنا أقفل (شيو) عينيه وغمغم كمن يحدث نفسه: "أوه!.. لقد قلت إن هذا ما سوف يحدث.. وواصلت هي صياحها: "إنكما رجالان عجوزان قذران.. اغربا عن وجهي". فقال (فوكس): "كما قلت لك لن تدفعي أية أموال".

صرخت فيهما وهي تضم قبضتيها وتصر على أسنانها: "سوف ألقى بكما إلى الخارج.. سوف أقذف بكما إلى الخارج!.. وتلون وجهها بشكل مخيف وقالت بصياح واضح: "من أنتما أيها العجوزان القذران كي تأتيا هنا لتتجسسا على.. أيها المختلان العجوزان!.. وأمسكت بمقدمة القبعة القش التي يلبسها السيد (فوكس) الذي يادر بالصراخ، ومزقت بطانتها وهي تسب وتلعن.. وداست عليها بكعبها بعنف من منتصفها وبعد ذلك ركبتها.. وكررت: "انصرفا، انصرفا".



حذق (فوكس) فى هلع إلى القبعة وقال: "أوه!.. ولكنك تحتاجين إلينا ويجدر بك أن تقرىنى قليلاً لكى...". وفى تلك اللحظة كانت تسبهما بلغة وألفاظ مفرعة تتفجر غضباً وتتطلق فى الهواء كشعلة نار متقدة.. كانت المرأة تعرف كل اللغات وكل كلمة فى كل لغة!.. كانت تتحدث كشخص فقد عقله وبدأ يطلق ناراً أو دخاناً أو متفجرات!..

قالت: "من تظنان نفسيكما أيها اللعيتان؟.. يا إلهى؟.. الله والروح القدس!.. تتطفلان على الناس وتتدخلان فى حياتهم وتتجسسان عليهم.. أيها العجوزان الغبيان متخلفا العقل!.. أنتماء، أنتماء...". ثم أطلقت عليهما وابلاً جديداً من السياب أجبرتهما على التراجع إلى الباب فى قرع..

والواقع أنها لم تيخل عليهما بقائمة طويلة من أقدار الشيطان دون أن تتوقف لحظة لالتقاط أنفاسها... ثم توقفت وأخذت أنفاساً متتابعة وارتعدت واستنشقت كمية هائلة من الهواء النقى ثم واصلت قائمتها بإضافة عشرات النعوت القذرة الجديدة التى كانت حقيقة أسوأ من سابقتها!

قال (فوكس) وقد تخشب جسمه: "انصتى إلىّ يا سيدتى!..". بينما كان (شو) فى تلك اللحظة قد خرج بالفعل من باب الغرفة طلباً للسلامة وتوسل إلى شريكه لكى يلحق به.. كان الموقف أكبر من طاقتهما على التحمل، وكان فى الحقيقة كما توقعنا... ثبت بالفعل أنهما أحمقان وصدقت عليهما كل الكلمات التى قالتها لهما.. كم كان الموقف مريباً وقاسياً ومفرعاً!..

صاحت المرأة: "أيها اللعينان!".. فقال لها (فوكس): "سوف نقدرك ونحترمك لو كان لسانك أكثر تهذيباً من هذا!".. فكررت: "أيها اللعينان.. أيها اللعينان القذران الشاذان جنسياً!".. وكان ذلك إلى حد ما أسوأ من كل القائمة التي سبقته. وترنح (فوكس) وأخذ فمه ينفتح وينقفل كما لو أن جاثاً ركبه وصاح قائلاً: "أيها المرأة القذرة.. أيها المرأة الشاذة!".. ووجد (فوكس) أنه في ورطة لا يحسد عليها.

كانت الغرفة قد أصبحت قطعة من الجحيم تكاد تطبق على عنق (فوكس).. وبدا أن قطع الأثاث تتزحزح من مكانها وتنطلق على غير هدى.. وأشعة الشمس الملتهبة تنفذ من النوافذ المقفلة بإحكام لدرجة أن الغبار اتقد وأخذ يقفز من السجادة في ثبات أو شرارات غاضبة.. وانفجعت نبابة تطن وترتفع حلزونياً من لا مكان وقمها الأحمر المخيف يلحق الهواء بكل البذاعات والأقذار التي تراكت في عمر بأكمله.. وخلفها على ورق الحائط البنى القاتم قبع مقياس الحرارة وهو يسجل القراءة ٩٢ درجة، ثم قرأ مرة ثانية فإذا هي فعلاً ٩٢ درجة فهرنهايت.. وما زالت المرأة تنعق وترعق كصوت تزييق عجلات القطار وهو ينطلق فوق خط السكة الحديدية في منحني صعب.. أو كمن يخربش بأظافر أصابعه على لوحة خشبية أو يجر أداة حديدية على قطعة من الرخام.. وواصلت المرأة: "أيها اللعينان.. أيها اللعينان القذران الشاذان!".. وهنا سحب (فوكس) ذراعه إلى الخلف وأمسك عصاه بقوة ورفعها عالياً جداً وبدأ يضرب. وصرخ (شو) وهو في مدخل الحجرة: "لا، لا تفعل بالله عليك".

بيد أن المرأة ترنحت وانزلقت وسقطت جانباً وهي تقمغم بكلمات غير مفهومة وتتشبث بأظافرهما في الأرضية.. ووقف (فوكس) فوقها وبدأت على وجهه نظرة هلع وعدم تصديق لما يحدث.. ونظر إلى ذراعه ومعصمه ويده وأصابعه بالتتابع من خلال جدار بللورى خفى شديد السخونة يحيط به تماماً.. ونظر إلى عصاه كما لو كانت علامة تعجب واضحة وغير مفهومة جاءت من لا مكان إلى منتصف الغرفة.. وبقي فمه مفتوحاً.. بينما سقط الغبار كجمرات صامته لا حياة فيها.. وشعر بالدم يسيل من وجهه كما لو أن باباً صغيراً انفتح على مصراعيه مصطدماً بمعدته بقوة.. وصاح: "أنا..".

خرج الزيت من فمها.. وأخذت المرأة تخربش بأصابعها فى أى شىء حولها، وبدأ أن كل جزء منها عبارة عن حيوان منفصل بذاته.. ذراعاها وساقاها ورأسها ويدها كانت كأطراف لحيوان مفترس يستجمع قواه ولكنه لا يعرف بالضبط أفضل طريقة لتحقيق ذلك.. وما زال فمها يطلق بذاءاتها وسوءاتها فى شكل كلمات وأصوات خافتة وغير واضحة.. وكان واضحاً أن ذلك كله كان محبوساً داخلها منذ وقت طويل مضى.. وحقق (فوكس) فيها جيداً وهو فى حالة من الصدمة والفرع المروعين.. وقبل ذلك اليوم كانت تطلق سمها هنا وهناك وفى أى مكان.

لكنه الآن فقد إحساسه بسير الحياة وشعر بالخطر من أن يفرق ويهلك فى هذا المكان.. وشعر بشخص ما يجذبه من سترته.. ورأى عتبات الباب تتحرك فى كلا الاتجاهين، وسمع صوت العصا وهي تهوى



وتقع كصوت سقوط عظمة كبيرة بعيداً عن يده التي بدا أن دبوراً  
هائلاً خفياً قد لسعها.

سرعان ما وجد نفسه بالخارج ويسير ألياً خلال المبنى المحترق،  
بين جدران احترقت وشاطت من النيران.. وبوى صوت المرأة كصوت  
انقضاض المقصلة وهما يهبطان على السلم: "انصرفا، انصرفا،  
انصرفا!.. ثم تدد الصوت كلية كعويل شخص ما سقط في بئر مفتوحة  
تؤدي إلى ظلام تام في الأعماق.

عندما وصلا إلى أسفل السلم بالقرب من بوابة الشارع، حرر  
(فوكس) نفسه من قبضة الرجل الآخر، وظل لفترة طويلة مسنداً إلى  
الجدار وعيناه مبللتان بالدموع ولا يمكنه عمل شيء سوى الأنين  
والنحيب.. وخلال ذلك تحركت يداه وسط الهواء بحثاً عن عصاه المفقودة،  
ثم مسحت على رأسه ولمست جفنيه الرطبين وهو مندهش زائع النظر  
محطم الأعصاب.

جلسا على آخر سلمة عند مدخل المبنى لمدة عشر دقائق في صمت  
تام، في محاولة منهما لإدخال الهواء والسكينة على نفسيهما مع كل هبة  
هواء يتنفسانها.. وأخيراً نظر السيد (فوكس) إلى السيد (شو) الذي  
كان يحدق فيه بدهشة وفزع طوال تلك الدقائق العشر.

وقال وهو يهز رأسه: "هل رأيت ما فعلته لتوى؟.. أوه، أوه، إنه كان  
شيئاً رهيباً مروعاً.. إنتى أحرق ومغفل.. هذه المرأة البائسة كانت على  
حق.. نعم، كانت على صواب" فقال (شو): "لكن ليس أمامنا الآن شيء

لنقطه.. فقال (فوكس): "نعم أرى ذلك الآن.. كان لابد أن يحدث ذلك لي".

"والآن امسح وجهك بهذا المنديل.. نعم، هذا أفضل بكثير".  
"هل تعتقد أنها ستخبر السيد (شرايك) بما حدث منا اليوم؟".  
"لا، لا أظن ذلك".

"ولكنك هل تعتقد أنه بمقدورنا أن....".

"عموماً يمكنك أن تتحدث إليه فيما بعد وتشرح له الظروف كلها".

اتفق الرجلان على ذلك وهما رأسيهما وفتحا البوابة الأمامية ووقتها اندفع طوفان من حرارة متقدة وكادا يقعان عندما خطا رجل ضخمة الجثة بينما هو يدخل إلى المنزل.. وصاح الرجل: "هل نظرتما إلى أين تسيران؟". واستدارا ليريا الرجل يتهادى بشكل أخرق وسط ظلام تام.. ويصعد مترنحاً سلمة وراء الأخرى حتى يصل إلى شقته.

كان شخصاً له أضلاع كأضلاع الماستودون<sup>(٢)</sup> ورأس كراس أسد برى ضخمة وقرعاه صخمتان قويتان، كثيف الشعر وقد لفحته الشمس بسمرة شديدة.. وكان الوجه الذي رأياه يصطدم بهما لتوهما يشبه وجه خنزير برى أرهقه العمل وقرحته الشمس الملتهبه.. وتحت عينيهِ قطيرات

---

(٢) حيوان ثديي منقرض يشبه الفيل. (المترجم).

ملحية تتساقط من ذقنه.. وهناك لطخات كبيرة من العرق تلتصق بإبطيه  
مسببة تلون قميصه ذي الكمين القصيرين حتى وسطه.

أغلقا بوابة المنزل بلطف وعلى الفور قال (فوكس): "هذه هو.. زوج  
المرأة!.. ووقفاً أمام متجر صغير في الجانب المقابل للمنزل بالشارع..  
كانت الساعة الخامسة والنصف، والشمس تبدأ في رحلة أوقولها بالسما..  
وللال ألوان عنب الصيف الساخن تتراقص تحت الأشجار القليلة  
النادرة وفي الأزقة الجانبية.

"تري ما كان هذا الشيء البارز من الجيب الخلفى لسروال  
الزوج؟".

"لا ريب إنه خطاف رجل يعمل في تفريغ السفن وتحميلها بالبضائع..  
من الفولاذ على ما أعتقد.. وهو حاد جداً وثقيل الوزن.. مثل تلك  
المخالب التي اعتاد الإنسان وحيد الفراع على لبسها بعد بقر ذراعه  
منذ سنوات مضت".

لم يتكلم السيد (فوكس)، لكنه سأل السيد (شو) بعد دقيقة واحدة،  
كما لو كان متعباً للغاية بحيث لا يمكنه أن يدير رأسه ليراها بنفسه:  
"ما هي درجة الحرارة الآن؟".

مقياس الحرارة بالمتجر مازال يقرأ ٩٢ درجة فهرنهايت.. نعم،  
٩٢ درجة بالضبط.



جلس (فوكس) على صندوق شحن وهو يبذل أقل مجهود ممكن  
لكي يمسك بزجاجة من شراب البرتقال بأصابعه، وقال: "هذه لكي  
تهذا أعصابي.. نعم، فأنا الآن محتاج بشدة إلى شراب البرتقال  
لترويق دمي".

جلسا هناك في الجو الملتهب وهما ينظران إلى نافذة معينة بالمنزل  
الذي أمامهما وأخذا ينتظران لفترة طويلة للغاية..

## المبعوث

كان (مارتن) يعلم أن الخريف قد أتى من جديد، إذ إن الكلب (دوج) أخذ يركض في داخل المنزل، جالِباً معه الريح والصقيع<sup>(١)</sup> ورائحة التفاح الذي تحول إلى عصير تحت الأشجار. كما أحضر الكلب معه من الخارج - بين الطيات الداكنة لفرائه التي تشبه زئبركات الساعة - بعضاً من نبات "عصا الذهب"<sup>(٢)</sup>، وتربة الصيف الراحل، وقشور ثمار البلوط وشعيرات من فراء السنجاب، وريشة من "أبي الحناء"<sup>(٣)</sup> المهاجر، ونشارة خشب من حطب مقطع حديثاً ومكس، وأوراق أشجار ذات لون رمادي مائل للسواد - تشبه رقائق من الكربون - التي تساقطت من شجرة قيقب<sup>(٤)</sup> متوجهة بضوء الشمس، قفز (دوج)، ففتاثر من فرائه الكثيف وابل من أبواغ نبات السرخس<sup>(٥)</sup> الهش، وأجزاء دقيقة من كرمة

---

(١) ندى أو بخار متجمد. (المترجم).

(٢) نبات موطنه أمريكا الشمالية له عناقيد من الزهور الصفراء ويزهو في أواخر الصيف أو أوائل الخريف. (المترجم).

(٣) طائر مفرد يوجد في أمريكا الشمالية يتميز بصدرة الأحمر البني. (المترجم).

(٤) شجرة نقضية ذات أوراق تشبه راحة اليد. (المترجم).

(٥) نبات ليس له أزهار أو بذور ويتكاثر بالأبواغ. (المترجم).

شجرة توت العليق، وقطع من أعشاب المستنقعات ، فوق فراش (مارتن)،  
الذى راح يصيح "لا شك. لا شك بالمرّة فى هذا الأمر، إن هذا الكلب  
العجيب يحمل بشائر شهر أكتوبر!

هتف (مارتن) قائلاً "تعال، يا بنى، تعالى هنا".

اقترب الكلب (دوج) من (مارتن) ليدفئ جسمه، بكل التوهجات  
والتألقات الرقيقة للموسم، ولكى يملأ غرفة النوم بالروائح الناعمة أو النفاذة،  
الرطبة أو الجافة للراجلين بعيداً. وفى الربيع، تفوح من الكلب (دوج)،  
رائحة زهور الزنبق<sup>(٦)</sup> والسوسن<sup>(٧)</sup> وأعشاب المرجة الخضراء التى تم  
قطعها بالمحصد. وفى الصيف، تفوح منه رائحة الجيلاتى الذى يلطخ به  
شواربه، ويأتى على فرائه أثار من الألعاب النارية و"الشعلة الرومانية"<sup>(٨)</sup>  
و"دولاب النار"<sup>(٩)</sup>، هذا بالإضافة إلى ما يتعرض له من أشعة الشمس  
الحارقة. ولكن الخريف! يا له من فصل مناخى هذا الخريف!

همس (مارتن) قائلاً: "(دوج)! ما الأحوال فى الخارج؟".

وأخبره (دوج) عن أحوال الطقس، كما اعتاد أن يخبره دائماً من  
قبل. فقد كان (مارتن) راقداً فوق فراشه يعانى من المرض، وكان يجد

---

(٦) نبات يتميز بأزهاره العطرية ذات اللون الأرجوانى أو الأبيض. (المترجم).

(٧) نبات له أوراق سيفية الشكل وأزهار ذات ألوان مختلفة. (المترجم).

(٨) ألعاب نارية أسطوانية تصدر كرات نارية وابلأ من الشرر. (المترجم).

(٩) ألعاب نارية تدور عندما تشتعل. (المترجم).



الخريف مماثلاً لما كان عليه في الأيام الخوالي، قبل أن يداهمه المرض، ويجعله يستلقى شاحباً فوق سريره، غير قادر على التحرك.

ها هو ذا الكلب (دوج) - وسيلته السريعة للاتصال بالبيئة الخارجية - يمكنه أن يحمل إليه كل شيء موجود بالخارج، إنه كجزء من نفسه، يرسله بأمر منه، لكي يركض إلى خارج المنزل، يستكشف ويبحث ويتشمم ويجمع ثم يعود إلى (مارتن) محملاً في فرائه بأثار من أنحاء مختلفة من المدينة والريف والجدول والمستنقع والقناة والنهر والبحيرة والمراعى والطوايق العليا من المباني والحمامات وصناديق تخزين الأشياء. وكَم من عشرات المرات في اليوم، عاد الكلب (دوج) وفراؤه مرصع ببذور نبات "عباد الشمس"<sup>(١٠)</sup>، وشراب التفاح وجذور "السبيغ"<sup>(١١)</sup> ونبات "الكستناء البرية" والرائحة النفاذة لنبات "القرع". ومن خلال الرحلات المكوكية للكلب (دوج) في العالم الخارجى، كان التقرير مكتوباً على فرائه وبين طياته. إذا شاهدته ووضعت يدك عليه، سوف تعرف كل شيء عن البيئة الخارجية.

تسأل (مارتن) قائلاً: "أين ذهبت يا (دوج) هذا الصباح؟".

ولكنه كان يعمل، دون أن يجيب (دوج)، عن الأماكن التى كان يسير فيها أسفل التل، حيث يكمن الخريف فى تجعد النباتات الحبية<sup>(١٢)</sup>، وحيث

---

(١٠) نبات يتميز بأزهاره الصفراء التى تنتج بذوراً صالحة للأكل. (المترجم).

(١١) نبات عشبي له عصارة بيضاء كالحليب. (المترجم).

(١٢) كل نبات كالنرة يعطى حباً نشويماً يستخدم طعاماً. (المترجم).

يرقد الأطفال على المحارق الجنائزية<sup>(١٣)</sup>، وفوق أكوام أوراق النباتات المكسدة التي تحدث حريقاً، وتلك التي مدفونة تحت الثرى، بينما (دوج) ومعه العالم برمته يتجولان بلا كلل.

أصاب (مارتن) رجدة، عندما أخذت أصابعه المرهفة تتحسس بحنان قراء الكلب (دوج)، تحاول أن تقرأ في شياها تفاصيل الرحلة الطويلة، التي قام بها، لقد جاس عبر الحقول التي بها جذم<sup>(١٤)</sup> الزرع، وفوق ألق الجداول التي تتدفق في الأودية الصغيرة الضيقة شديدة الانحدار، وإلى أسفل حيث الساحة الممتدة الأطراف للمداخن الرخامية، وخلال الغابات، في ذلك الفصل المناخي العظيم للتوايل والبخور النادر.

وأخذ (مارتن) يتحسس قراء الكلب (دوج) مبعوثه إلى العالم الخارجي، حيث يتجول ويجمع المعلومات ثم يعود إلى المنزل!

عندئذ انفتح باب غرفة النوم ودخلت الأم. وبادرته قائلة "مارتن! إن كلبك يثير المشاكل من جديد".

وقد أحضرت الأم صينية عليها فاكهة متنوعة وشراب الكاكاو وخبز محمص، وكانت عيناها الزرقاوان تلمعان.

قال (مارتن) "أمي...".

---

(١٣) ركام من الحطب لحرق جثة كطقس جنازى، يتبع في بعض البلاد كالهند. (المترجم).

(١٤) ما يبقى من الزرع بعد الحصاد. (المترجم).

قاطعته أمه قائلة: "إنه دائماً يحفر فى الحقائق. لقد حفر حفرة فى حديقة الأنسة (تاركين) هذا الصباح. مما جعلها تفقد أعصابها تماماً. إذ إن هذه هى الحفرة الرابعة التى حفرها فى غضون هذا الأسبوع!"

رد (مارتن) بقوله: "ربما كان يبحث عن شيء ما".

قالت الأم بحدة "هراء! إنه فقط محب للاستطلاع بشكل غير طبيعي! وإذا لم يتصرف بطريقة لائقة، فسوف أربطه".

حذق (مارتن) فى وجه أمه، وكأنما ينتظر إلى شخص غريب، وقال "أوه، إنك لن تفعل ذلك! إذ كيف سوف أحصل على معلومات عن أى شيء؟"

وكيف أكتف الأشياء، إذا لم يبلغنى عنها (دوج)؟".

قالت الأم وقد أصبح صوتها أكثر هدوءاً: "هل هذا كل ما يفعله، ويتركك عن الأشياء؟".

أجابها (مارتن) قائلاً "لا يوجد شيء لا يمكننى اكتشافه، إذا ذهب (دوج) إلى الخارج وتجول ثم عاد بالمعلومات".

جلسا ينظران إلى (دوج) وفتات الطين الجاف والبذور فوق أهداف الفراش.

قالت الأم "حسناً، إذا توقفت عن حفر الحفر فى كل مكان بالحدائق، فربما أنه أن يذهب إلى حيث يشاء".



قال (مارتن) "(دوج)! تعال، تعال هنا".

وثبت (مارتن) رقعة صغيرة من القصدير في طوق عنق الكلب مدوناً عليها الملاحظة التالية:

"الكي هو (مارتن سميث) - عمره عشر سنوات - مريض وطريح الفراش - الزوار مرحب بهم".

تبع الكلب (دوج).. وفتحت الأم الباب المغضى إلى الطابق السفلى وتركته يخرج منه.

جلس (مارتن) يصغى إلى من حوله.. ويعيداً بالخارج كان يمكنك أن تسمع الكلب (دوج) وهو يركض وسط ذلك المطر الخريفى الهادئ، الذى يسقط الآن.. ويمكنك أيضاً سماع النباح والجلجلة يخفتان ثم يرتفعان ثم يختفيان مرة أخرى، بينما يقوم الكلب بالعدو على الممرات وفوق المروج، باحثاً عن السيد "هولوواي"، والرائحة المعدنية الزيتية المميزة للساعات الدقيقة المليئة بكسفات الثلج التى أصلحها فى ورشته المنزلية.

أو لعله سيحضر السيد (جاكوب) البقال التى تمتلىء ملابسها بالخبس وزيت الكرفس والطماطم والرائحة الخفية المعلقة السحرية المختومة من علب لحم الخنزير المفروم ماركة "الشياطين الحمر".. وعادة ما كان السيد (جاكوب) وشياطينه الخفية من اللحم الوردى يلوحون من الساحة بأسفل.. أو لعل الكلب (دوج) أحضر السيد (جاكسون)

أو السيدة (جيليبيسى) أو السيد (سميث) أو السيدة (هولمز) أو أى صديق أو أشبه صديق قابله أو أحرق به أو قوسل إليه أو سحبه بأستنانه وأخيراً ساقه إلى المنزل لتناول طعام الغداء أو تناول الشاي مع البسكوت والحلوى!.

جلس (مارتن) يصغى السمع فسمع صوت الكلب (دوج) بأسفل وأيضاً وقع أقدام تتحرك على خلفية مطر خفيف وراءه.. ودق الجرس عند مدخل السلم بأسفل وفتحت الأم الباب وسمع جلبة غمغمة أصوات ضافئة.. جلس (مارتن) فى الأمام ووجهه متألق.. وارتفع صوت صرير درجات السلم.. وضحكت امرأة شابة فى هدوء.. إنها بالطبع الأنسة (هايت) معلمته بالمدرسة!

وفجأة انفتح باب غرفة النوم على مصراعيه.. أصبح لـ(مارتن) صحبة.

تعاقب على الكلب (دوج) كل من الصباح والظهر والمساء والفجر والغسق والشمس والقمر.. وهو يسجل بأمانة ودقة درجات حرارة عشب المرج والهواء، ولون الأرض والأشجار، وقوام الضباب أو المطر.. ولكن الأهم من كل ذلك أنه أحضر مراراً وتكراراً الأنسة (هايت).

قامت فى أيام السبت والأحد والاثنين بخبز كعكات صغيرة بقطع يرتقال مثلجة فى قوالب من أجل (مارتن) كما استعارت له كتباً من المكتبة عن الديناصورات ورجال الكهوف البدائيين.. وفى أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس فإنه انتصر عليها فى لعبة الدومينو، ويشكل ما فإنها

خسرت أيضاً فى لعبة الداما.. ولكن عندما هزمها فى الشطرنج بجدارة،  
فإنها بكت بكاء شديداً!

وفى أيام الجمعة والسبت والأحد تحدثا ولم يتوقفا عن الكلام قط،  
وكانت جميلة ولطيفة وفى ريعان شبابها وتضحك كثيراً وكان شعرها  
ناعماً ورانعاً ولونه بنى زاه كموسم الربيع كما يشاهد خارج النافذة..  
وكانت تمشى بخفة ورشاقة وسرعة.. وسمع دقات قلبها الدافئة وسط جو  
بعد الظهيرة القائظ.. وفوق كل ذلك كان لها قدرة على فهم اللغة السرية،  
بحيث تقرأ وتفسر إشارات وحركات الكلب (دوج)، وكذا آثار البيئة  
الخارجية التى عثرت عليها واقتلعتها من فروة الكلب بأصابعها البالغة  
الرقّة وهى بعينيها نصف المغمضتين وضحكاتهما الناعمة وصوتها  
الخافت، وقد مارست الكهانة والعرافة من واقع الكتوز التى بين يديها.  
وفى وقت العصر من يوم الاثنين قضت الأنسة (هايت) نحبها.

انتصب (مارتن) جالساً على سريره بتؤدة وهمس قائلاً: "ماتت؟"..  
نعم، قالت أمه لقد ماتت.. قتلت فى حادث سيارة على مسافة كيلو مترين  
خارج البلدة.. ماتت؟، نعم ماتت.. وكان هذا يعنى لـ(مارتن) الحزن  
والغم، ويعنى الصمت والسكون وغياب الجمال وحضور الشتاء كثيراً قبل  
ميعاده.. يعنى موت، صمت، حزن، قبح.. ودارت الأفكار فى رأسه حتى  
كاد ينفجر، ثم هدأ وأخذ يهمس إلى نفسه.

أمسك (مارتن) بالكلب (دوج) وأخذ يفكر ثم استدار إلى جدار  
حجرة النوم.. السيدة ذات الشعر خريفى اللون.. السيدة ذات الضحكات



الرفيقة التي لا تسخر من شيء أبداً.. العينان اللتان تراقبان فمك لتعرف  
جيداً كل شيء قلته.. سيدة النصف الآخر من الخريف، التي تقول لك  
ما لم يقله الكلب (بوج) عن العالم الخارجي.. ضربات القلب في ذروة  
وقت ما بعد الظهر.. غير أن ضربات القلب تلاشت الآن....

"أمي.. ماذا يفعلون في المقبرة تحت الأرض؟.. هل فقط يضعون  
الجثة هناك؟"

"نعم إنهم يضعون الجثة هناك.."

"ولكن ما معنى يضعونها هناك؟.. وهل هذا كل ما يفعلونه؟..  
إن هذا أمر كئيب جداً.."

"يا إله السماوات!.. إن هذا الأمر لا يقصد به أي مرح على  
أية حال.."

"ولكن لماذا لا يقفزون من مرقدهم ويفرون إلى أي مكان مرة واحدة  
إذا تعبوا من تمدهم هناك؟.. أي حكمة في هذا.."

"(مارتن)!.. اصمت فوراً، لا يصح أن تتكلم هكذا أبداً.."

"حسناً.. أنت تعتقدين إذن أنه يمكن أن يعامل الناس بطريقة  
الأسفل من التمدد هكذا إلى الأبد.. هذا مستحيل.. لا يستطيع أحد أن  
يفعل ذلك!.. لقد حاولت ذلك ذات مرة، والكلب (بوج) حاول أيضاً.. وقلت  
له "أنت كلب ميت!.. وعندئذ مثل أنه ميت لفترة ما ثم مرض وتعب وأخذ  
بهذه ذيله أو يفتح إحدى عينيه وينظر إلى في شجرة.. يا إلهي، أراهن أن

أولئك القوم ساكنى المقابر يفعلون أحياناً نفس الشيء.. هاه.. ألسنت  
معى يا كلبى العزيز؟.

حذق الكلب (دوج) فيه ملياً ثم نبج.. وقالت الأم: "توقف عن مثل  
هذا الكلام الفارغ!".. بيد أن كل ما فعله (مارتن) هو النظر إلى الفضاء،  
ثم قال: "لكن هذا بالضبط ما يفعلونه".

فى موسم الخريف أصبحت الأشجار جرداء وكأن حريقاً شب فيها،  
وأخذ الكلب (دوج) يركض هنا وهناك بسرعة أكبر.. وخاض فى الجدول  
وطاف خلسة فى المقبرة كعادته، ثم عاد فى الغسق ليبدأ سلسلة من  
النباح التى تهز النوافذ حيثما وجد.

وفى أواخر أيام شهر أكتوبر بدأ الكلب (دوج) فى التصرف كما لو  
أن الرياح تغيرت وبدأت تهب من دولة غريبة.. وهو الآن واقف ويرتعد  
عند مدخل المنزل.. وانتحب وعيناه ثابتتان على الأرض الخالية وراء البلدة..  
لم يعد يحضر زواراً لـ (مارتن).. واعتاد على الوقوف كل يوم لساعات  
كما لو كان مربوطاً ويرتعد جسده، ثم لا يلبث أن يندفع فى خط مستقيم  
كما لو أن شخصاً ما ناداه.. كان يعود كل ليلة متأخراً وليس معه أحد..  
وكل ليلة كان (مارتن) يفوص أكثر وأكثر فى وسادته الوثيرة.

قالت أمه: "الواقع أن الناس مشغولون.. ليس لديهم الوقت لملاحظة  
الرقعة التى يحملها الكلب (دوج).. وربما يتوون القيدوم لزيارتنا  
ثم ينسون".

لكن كان وراء الأكمة ما وراءها.. الضياء المحموم فى عيني الكلب (دوج)، وتقلصات المقتربة بالآنين متأخراً كل ليلة فى بعض أحلامه الخاصة.. ارتعاد جسمه فى الظلام تحت السرير.. الطريقة التى يقف بها أحياناً طيلة نصف الليل ناظراً إلى (مارتن) كما لو أن لديه سرا كبيرا ومستحيلا وهو لا يعرف طريقة لسبر غوره إلا بضرب ذيله بقسوة أو اللف فى دوائر مغلقة لا نهاية لها.. لا ينام أبداً، فقط يدور حول نفسه مراراً وتكراراً.

وفى اليوم الثالث عشر من أكتوبر هرب الكلب (دوج) ولم يعد قط، حتى عندما سمع (مارتن) بعد العشاء والديه يناديان ويناديان عليه.. وأصبح الوقت متأخراً جداً، وخلت الشوارع والطرق الجانبية من المارة تماماً.. وأصبح الهواء حول المنزل بارداً ولا يمكن رؤية أى شىء على الإطلاق.

وبعد منتصف الليل بكثير، تمدد (مارتن) فى سريره وهو يراقب العالم من وراء النافذة الزجاجية الشفافة الباردة.. لم يكن هناك حتى الخريف، لأن الكلب (دوج) لم يكن هناك لإحضاره.. ولن يكون هناك شتاء، إذ من الذى يمكنه جعل الجليد يذوب فى يديك؟.. الأب، الأم؟.. ليسا نفس الشىء.. لا يمكنهما لعب نفس اللعبة بأسرارها وقواعدها السحرية وينفس أصواتها وإشاراتهما وإيماءاتها..

لم يعد هناك المزيد من الفصول المناخية أو الزمن.. والمبعوث تاه فى خضم الحشود المروعة للحضارة، لعله تسمم أو سرق أو صدمته سيارة



أو ألقى به في مكان ما بمأسورة مجارى.. وأدار (مارتن) وجهه إلى  
وسادته وهو يبكي.. كان العالم مجرد صورة تحت الزجاج لا يمكن  
المساس به.. لقد مات العالم!

انتهى (مارتن) في فراشه.. وطوال ثلاثة أيام كانت قرعات الاحتفال  
بعيد جميع القديسين<sup>(١٥)</sup> قد تعفنت في صفائح القمامة.. الجماجم  
والساحرات المصنوعة من الورق المقسى<sup>(١٦)</sup> تم إحراقها في نيران الخلاء،  
وتراكمت على الأرفف الظلال جنباً إلى جنب مع الملابس والبياضات  
الكتانية المخزنة حتى يحين العام القادم<sup>(١٧)</sup>.

لم يكن عيد جميع القديسين يعني لـ (مارتن) أكثر من كونها ليلة  
تنطلق فيها الأبواق النحاسية تحت نجوم فصل الخريف الباردة..  
والأطفال ينطلقون كأوراق من الجن على طول الممرات والشوارع الوعرة  
المرصوفة بالصوان وهم يطوحون أذرعهم أو ثمار الكرنب أمام مداخل  
المنازل ويكتبون بالصابون أسماءهم أو أية رموز سحرية مماثلة على  
النوافذ المكسوة بالجليد.

كان كل ذلك كعرض كابوسي مروع بعيد ومتعذر الفهم للدمى  
المتحركة يرى من على بعد كيلو مترات كثيرة، ليس له صوت أو معنى..

---

(١٥) عشية يوم ٣١ أكتوبر من كل عام. (المترجم).

(١٦) مادة مصنوعة من لب الورق يضاف إليها الصمغ حتى يمكن تشكيلها وهي مبللة  
وتصبح قاسية عندما تجف. (المترجم).

(١٧) من طقوس الاحتفال بعيد جميع القديسين. (المترجم).

وطلوال ثلاثة أيام من شهر نوفمبر، رأى (مارتن) تغيرات متتابعة للظلال والنور عبر سقف غرفته.. كان مهرجان الألعاب النارية قد انتهى إلى الأبد، والخريف لفظ أنفاسه الأخيرة.. غاص (مارتن) أكثر في وسادته وأكثر في طبقات فراشه الوثيرة، وقبع هكذا ساكناً ومرهقاً أذنيه باستمرار لسماع أى شىء..

فى مساء يوم الاثنين قبله والداه وقالاه له: "تصبح على خير"، ثم خرجا من المنزل متجهين إلى الكاتدرائية وسط جو ساكن تماماً لحضور عرض فيلم سينمائى.. بينما ظلت الأنسة (تاركين) من المنزل المجاور فى البهو بأسفل عندما نادى عليها (مارتن) بأنه نعلان وعلى وشك النوم، وعندئذ أخذت الملابس التى تحيكها إلى خارج المنزل.

تعدد (مارتن) فى فراشه صامتاً وأخذ يتتبع حركات النجوم فى السماء الصافية المضاءة بنور القمر، وتذكر ليالى مثل تلك الليلة انطلق فيها فى كل أرجاء البلدة بصحبة الكلب (دوج) شرقاً وغرباً وهو يتتبع الهوة الجبلية المكسوة بالنباتات الخضراء ويحضن الجداول النائمة لبنية اللون بتأثير ضوء القمر المكتمل بدرأ.. ويقفز على شواهد أضرحة القبور، بينما يهمس بأسماء البليات التى يلعب بها.. ويتقدم إلى الأمام خلال المروج الذابلة التى لا ترى فيها حركة سوى اهتزاز النجوم يمينا ويساراً.. إلى الشوارع حيث لا تبعد الظلال جانبياً وإنما تزدهم عبر كل الأرضفة الجانبية لمسافة كيلو مترات وكيلو مترات.. أركض الآن، أركض.. لتطارده ويطاردك الدخان والضباب والرياح والأرواح الشريرة والخوف من الذكريات والمنزل والأمان والدفء والنوم..

الساعة الآن التاسعة.. صوت دقات موسيقية.. ساعة الحائط  
النائمة فى مدخل السلم بأسفل تدق.. أيها الكلب (بوج) عد إلى المنزل  
لكى أجرى وأجوب العالم معك.. أحضر إلى يا كلبى العزيز نباتاً شوكياً  
مكسواً بالجليد.. أو أحضر شيئاً آخر ما عدا الريح.. أين أنت الآن  
يا كلبى؟.. أوه، اصغ إلى الآن وسوف أنادى عليك.

حبس (مارتن) أنفاسه، فقد سمع صوتاً من مكان ما بعيد جداً..  
نهض (مارتن) وهو يرتعد.. ثم سمع نفس الصوت مرة أخرى.. صوت  
خافت جداً مثل سن ابرة حاد يلامس السماء من مسافة كيلو مترات  
كثيرة وكثيرة.. إنه صوت صدى حالم لكلب ينبج.

إنه صوت كلب يعبر الحقول والمزارع والطرق القرايبية ومسارات  
الأرانب.. كلب يجرى ويجرى مطلقاً نباحات عالية تشق ظلام وسكون  
الليل.. صوت كلب يعلو فى دائرة، بحيث يجىء ويذهب، يعلو صوته  
ويخفت، يصيح ويصمت، يتحرك إلى الأمام ثم إلى الخلف.. كما لو كان  
هناك شخص ما يمسكه بسلسلة طويلة جداً.. كما لو أن الكلب كان يعدو  
ثم صفر له شخص ما واقف تحت أشجار الكستناء فى ظلال فطريات  
العفن أو ظلال الأشجار أو ظلال القمر ثم تحرك وبالتالي أخذ الكلب  
يتراجع ويتقافز مرة تلو أخرى باتجاه المنزل..

حدث (مارتن) نفسه قائلاً: "الكلب (بوج)!".. أوه، تعال يا صغيرى!..  
أنصت إلى!.. أنصت جيداً.. أين كنت بالضبط؟.. الآن تعال يا صغيرى..  
هيا، تحرك بسرعة!"



مرت خمس، عشر، خمس عشرة دقيقة، واقترب الصوت أكثر فأكثر.. نعم، النباح أو الصوت.. صرخ (مارتن) وقفز من على سريرته واتجه إلى النافذة و مال عليها.. وهتف: "الكلب (دوج)!!.. أتصت، هذا صغيرى!!.. كلبى، كلبى!!..".

وظل يكرر ذلك مراراً وتكراراً.. وأردف: "كلبى، كلبى!!.. أيها الكلب الشرير تهرب منى وتختفى كل تلك الأيام!!.. إنك كلب سيئ، لا بل كلب طيب.. المهم تعال الآن يا صغيرى إلى المنزل وأحضر معك كل ما تستطيع التقاطه!".

الآن اقترب أكثر وها هو ذا ينطلق فى الشارع ينبج ويقرع صوته الألواح الخشبية بمقدمة المنازل.. وتدور ديكة الرياح الحديدية بأعلى أسقف المنازل فى ضوء القمر.. إنه يقفز قفزات هائلة.. كلبى الصغير العزيز!!.. لقد وصل الآن أسفل المنزل..

ارتعد جسم (مارتن).. وقال لنفسه: "هل أجرى الآن وأفتح له الباب أم أنتظر ماما وبابا؟.. أنتظر؟.. أوه، حسناً، إذن سأنتظر؟.. ولكن ألا يمكن أن يجرى الكلب ويهرب مرة أخرى؟.. لا، لقد عاد إلى المنزل، وها هو ذا يخريش فى الباب وينبج.. إذأ أسحب الكلب إلى داخل المنزل ثم أسعد إلى الطابق العلوى بسرعة وأنا أضحك وأصرخ وأمسك الكلب بقوة و...".

توقف الكلب عن النباح.. فصرخ (مارتن): "ههى!!.. وكاد يكسر نافذة حجرته ويقفز منها.. وساد سكون تام.. كما لو أن شخصاً ما أمر

الكلب بالصمت كلية الآن.. ومرت دقيقة كاملة.. عندئذ ضم (مارتن) قبضتي يديه.

وفى الأسفل، انبعث صوت نشيج متقطع..

ثم فتح ببطء الباب الأمامى للدور السفلى. لقد قام شخص ما طيب القلب بفتح الباب للكلب (دوج) لكى يدخل. ولا بد أنه أحضر معه السيد (جاكوب) أو السيد (جيليبسى) أو الأنسة (تاركين) أو.. أى شخص آخر!

وأغلق باب الطابق السفلى.

وانطلق الكلب (دوج) يصعد الدرج إلى الطابق العلوى بسرعة، منتحياً بخفوت ثم ألقى بنفسه فوق سرير (مارتن).

قال (مارتن) بسعادة " (دوج)، (دوج)، أين كنت بحق السماء، وما الذى فعلته خلال كل هذه المدة! (دوج)، يا عزيزى (دوج)!".

وضم إليه (دوج) بقوة، وأخذ ينشج بالبكاء، مردداً " (دوج)! (دوج)! لقد أوحشتنى!". ثم راح يضحك ويصيح " (دوج)! ولكن فجأة - بعد دقائق فقط - توقف عن الضحك والصياح. وأمسك بالكلب وتطلع إليه وعيناه متسعتان.

لقد كانت رائحة (دوج) مختلفة، وكأنها تفوح من أرض غريبة. كانت رائحة ليل يتداخل فى ليل آخر، رائحة حفر عميق فى مظل من الشمس، خلال الأرض التى تتكى بوجنتها متلاصقة مع أشياء متقوضه

ومختفية منذ عصور موعلة في القدم، ويصدر عن التربة رائحة  
كريهة وزنخ وهي تتساقط في فتات جاف متحلل من خطم<sup>(١٨)</sup>  
ومخالب الكلب (دوج).

لقد حفر (دوج) عميقاً في الأرض، بل عميق جداً في واقع الأمر.  
هذه هي الحقيقة، أليس كذلك يا (دوج)!

ما طبيعة الرسالة التي يود (دوج) أن يبعث بها إليه؟ وما الذي  
يعنيه مثل هذه الرسالة؟ الرائحة النتنة ومصدرها وتلك الأرض المخيفة  
المخصصة للمقابر.

إن (دوج) كلب سيئ الخلق، إذ إنه يحفر في الأماكن التي يجب  
ألا يحفر فيها. ومن ناحية أخرى، إن (دوج) كلب لطيف، لأنه دائماً  
يكتسب أصدقاء جدداً، لأنه يحب الناس ويجلبهم إلى المنزل، ليؤنسوا  
وحدة (مارتن).

عندئذ سمع (مارتن) - من حين لآخر - صوت خطوات ترتقي سلم  
الردهة المظلم، خطوة تلو الأخرى، دؤوية ولكنها بطيئة إلى حد بعيد.

ارتعد الكلب (دوج)، وتساقط على سرير (مارتن) زخات حالكة من  
إبل أرضى مدلهم، أحدثت اضطراباً وتهيجاً وإثارة وأخذت تتحرك  
بعنف وتزبد.

---

(١٨) الجزء الثاني الأمامي من الوجه ويتضمن الفم والأنف والفك. (المترجم).



واستدار (دوج) فى فزع..  
وانفتح باب غرفة النوم على مصراعيه..  
وأصبح (مارتن) ينعم بالصحة والرفقة..  
حتى لو كانت مع الهياكل العظمية للموتى!

## الجرة

كان ذلك أحد تلك الأشياء التي يحفظها الناس في جرة موجودة داخل خيمة الاستعراضات بسيرك مقام على مشارف بلدة صغيرة وادعة نفسانة.. إنه أحد تلك الأشياء التي تنساب في بلازما الكحول.. شيء ما يظل يحلم ويدور إلى الأبد، وعيناه المسلوختان الميقتان تحدقان فيك ولكن لا تريانك أبداً، واقترن ذلك بالسكون التام الذي يسود في أواخر الليل، بحيث لا يسمع المرء سوى سقسقة صراصير الحقل ونشيج الضفادع ونقيقها في المستنقعات الوحلة الرطبة.. ثمّة أحد تلك الأشياء موجود في جرة زجاجية كبيرة بحيث تسبب رؤيتك له غثيان معدتك، كما لو أنك رأيت ذراعاً بشرية محفوفة في حوض حفظ بأحد المختبرات!

حذق (تشارلي) فيه لفترة طويلة.. ولفترة طويلة ظل هذا الشيء الضخم ذو اليدين المسلوختين كثيفاً الشعر من أعلاه يقبض بقوة على الحبل الذي يحجز الناس الفضوليين.. وكان قد دفع عملة نقدية صغيرة للدخول إلى السيرك، وها هو ذا يحذق الآن باهتمام في هذا الشيء المجهول.

بدأ الوقت يتأخر.. والأرجوحة ذات المقاعد الدوارة تناقصت سرعتها إلى مجرد صرير ميكانيكى بطيء.. وعمال تثبيت أوتاد الخيام قابعون بمؤخرة الخيمة يدخنون ويطلقون السباب أثناء أداء لعبة البوكر.. انطفأت الأضواء وخيمت أجواء قاتمة على الكرنفال، واندفع الناس إلى منازلهم فى مجموعات وصفوف طويلة.. ومن مكان ما انطلق ضجيج من المذيع.. ثم توقف فجأة تاركاً سماء ولاية لويزيانا الفسيحة ساكنة بنجومها الكثيرة المتلألئة.

لم يكن فى العالم كله شىء يهم (تشارلى) سوى هذا الشىء الشاحب المحبوس فى عالمه من مصل الدم.. وقبع (تشارلى) فاغراً فاه المتدلى إلى أسفل من فرط الإثارة والمتعة.. وظهرت أسنانه البيضاء، ونطقت عيناه بالحيرة والدهشة والانبهار والتعجب.

شخص ما دلف إلى داخل الظلال من خلفه.. شخص صغير الحجم بالنسبة إلى (تشارلى) النحيل وطويل القامة.. وسرعان ما نطق الشبح بمجرد أن دخل فى دائرة الضوء المتوهج للمصباح المضئ: "أوه.. أمارلت هنا يا صديقى؟"

قال (تشارلى) بشروء ذهن كرجل نائم: "نعم".

قدر مدير الملاهى المتنقلة اهتمام وفضول (تشارلى).. وأوماً برأسه إلى صديقه القديم القابع فى الجرة الزجاجية: "كل إنسان مثل هذا المخلوق، أقصد بشكل ما من الأشكال".



حك (تشارلى) بيده عظمة فكه الكبيرة وقال: "أنت.. أوه.. هل..  
هل فكرت فى بيعه؟".

اتسعت حدقتا عينى مدير الملاهى ثم ضاقتا.. وزمجر وهو  
يقول: "لا.. إنه يجلب الزبائن لنا.. إنهم يحبون رؤية أشياء كهذا.. نعم  
هذه هى الحقيقة".

بدا (تشارلى) محبطاً وغمغم: "أوه!".

فكر مدير الملاهى قليلاً وقال: "حسناً.. إذا كان شخص ما لديه  
الكثير من المال، فربما...".

"كم من المال بالضبط؟".

"إذا كان لدى هذا الشخص...". وأخذ يعد على أصابعه ويراقب  
(تشارلى) باهتمام وهو ينتقل فى العد من إصبع إلى آخر.. وأردف:  
ربما ٧ أو ٨ دولارات".

أخذ (تشارلى) يحرك رأسه مع كل حركة لإصبع المدير وهو ينتظر  
فى ترقب.. وإثر رؤية ذلك، زاد مدير الملاهى من تقديره وأضاف:  
ربما ١٠ دولارات أو ١٥ دولاراً".

عبس (تشارلى) وشعر بالقلق.. وتراجع مدير الملاهى قليلاً فى  
رأيه وقال: "لنقل ١٢ دولاراً مثلاً....".

ابتسم (تشارلى) ابتسامة عريضة. وأنهى مدير الملاهى كلامه  
قائلاً: "لكن لماذا بحق السماء يشتري أحد ذلك الشئ فى الجرة؟".

قال (تشارلى): "هذا شىء غريب ومضحك.. إن معى ١٢ دولاراً فقط فى جيب سروالى هذا.. لقد كنت أفكر كيف سيكون منظرى فى أعين الجميع لو عدت إلى منزلى فى وادى ويلدر ومعى شىء كهذا لأضعه على الرف الموجود فوق طاولة المنزل.. لا شك أن رفاقى عندئذ سوف يحترمونى كثيراً، أراهن على ذلك".

وهكذا اكتملت عملية البيع، ووضع (تشارلى) الجرة الزجاجية على المقعد الخلفى لعربته المقفلة، وعندما رأى الحصان الجرة العجيبة وثب ودق على حوافره بقوة وصهل بعنف.

حدق رئيس حديقة الملاهى إلى أعلى، بينما ارتسم على وجهه تعبير ينم عن الارتياح وقال: "لقد سئمت من تكرار رؤية كل تلك الأشياء اللعينة من حولى.. ولا تشكرنى.. فقد كنت أفكر مؤخراً فى هذا الأمر.. أفكر فى أشياء مضحكة ومسلية.. ولكن يا إله السماوات!.. إننى ثرثار جداً.. أراك قريباً أيها الفلاح.. مع السلامة".

انطلق (تشارلى) بالعربة ذات الأربع عجلات التى يجرها الحصان، وأخذت مصابيح الإضاءة الزرقاء المكشوفة تتراجع كالنجوم المتداعبة.. وانتشر ليل الريف المعتم فى لويزيانا ولف فى عباة العربة والحصان.. لم يكن موجوداً سوى (تشارلى) والحصان، الذى يدق بحوافره دقات، إيقاعية، وصراصير الحقول.

وخلفه على المقعد العالى توجد الجرة.. التى أخذت تهتز إلى الأمام والخلف، وكان بها قليل من الماء.. والشىء الرمادى الكثيب جاثم فى

حالة نعاس على الزجاج الشفاف للجرة من الداخل وينظر إلى الخارج  
مدهشاً ولكنه فى الحقيقة لا يرى شيئاً!

مال (تشارلى) إلى الخلف ليربت على الغطاء.. ولكن بعدما شم  
رائحة غريبة تنبعث من الجرة، سحب يده وهو يشعر بالإثارة والبرودة  
وبرعدة تسرى فى جسمه.. قال لنفسه: نعم يا سيدى!.. نعم يا سيدى!..  
وسمع صوت الارتجاج: سلوش.. سلوش.. سلوش!

وفى المنخفض، ألقت الفوانيس الخضراء والحمراء ضوءاً معتماً  
مغبراً على مجموعة من الرجال الجائمين وهم يغمغمون ويصقون  
ويجلسون على أثاث المتجر العمومى، كانوا يعرفون صوت الصرير  
المتقطع لعربة (تشارلى)، ولم يحرك أحد منهم رأسه بشعرها الأسمر  
الخشن عندما ارتجت عربته وهو يوقفها كعادتها.. وكانت سجاثرهم  
هى حشرات الحباحب المضيئة وأصواتهم هى غمغمة ونقيق الضفادع  
فى تلك الليلة من ليالى الصيف الحارة.

انحنى (تشارلى) إلى أسفل يتلهف وقال: "مرحباً، كليم.. مرحباً،  
مليت!".

غمغما: "مرحباً، (تشارلى)"، "مرحباً (تشارلى)".. واستمر الصراع  
بينهما، غير أن (تشارلى) أنهاه تماماً:

"معى هنا شىء بالغ الأهمية. شىء لا شك أنكم تريدون  
رؤيته!"



برقت عينا (توم كارمودي) بلون أخضر في ضوء المصباح القادم من المدخل المسقوف للمتجر العمومي.. وبدأ لـ (تشارلي) أن (توم كارمودي) يقف دائماً في ظل المداخل المسقوفة أو تحت ظل الأشجار.. أو إذا كان في حجرة فإنه يجثم في أقصى كوة في الحائط وعيناه تبرقان وتنظران إليك من جوف الظلام.. لا يمكنك أبداً أن تعرف تعبيرات وجهه، بينما تهزأ عيناه دائماً منك.. وكلما نظرنا إليك فإنهما تضحكان بشكل مختلف.

”لا أظن لديك يا عزيزي شيئاً يهمنا رؤيته“.

ضم (تشارلي) قبضته ونظر إلى الجرة وقال: ”أبداً.. هناك شيء ما فعلاً في هذه الجرة.. شيء يشبه الدماغ.. أو يشبه قنديل البحر المخلل.. حسناً، تعال وانظر بنفسك!“.

ألقى أحدهم سيجاراً في كومة من الرماد وسار بضع خطوات لكي يرى.. ورفع (تشارلي) غطاء الجرة تدريجياً.. وفي ضوء الفانوس الضعيف تغير وجه الرجل وهاهنا: ”هيه!.. ما هذا بحق الجحيم؟“.

كان ذلك أول فترة دافئة في الليلة.. بينما وقف الآخرون بتكاسل وانحنوا إلى الأمام ودفعتهم الجاذبية إلى السير.. لم يبذلوا أي مجهود سوى وضع حذاء أمام الآخر حتى لا يقعوا على وجوههم غير العادية.. ودوروا الجرة بمحتوياتها فيما بينهم جميعاً.. ولأول مرة في حياته نفذ (تشارلي) خطوة خفية وحطم غطاء الجرة وهو يقفله. وقال من قبيل الكرم: ”إذا أردتم رؤية المزيد، تعالوا إلى منزلي وسوف تجدونه هناك“.

بصق (توم كارمودى) وهو جاثم فى وكرة وغمغم: "هاه!".

وصاح (جراميز ميدكنوف): "دعنى أرى هذا الشئ مرة أخرى.. هل هو أخطبوط؟".

حرر (تشارلى) اللجام، وعلى الفور بدأ الحصان سيره.. وصاح: "تعالوا إلى منزلى.. مرحباً بكم جميعاً".

لكن ماذا ستقول زوجتك؟".

لعلها ستطلق عليها لسانها".

لكن (تشارلى) والعربة كانا قد انطلقا فوق التل.. ووقف الرجال جميعهم صامتين ويحملقون فى الطريق وسط الظلام.. وأطلق (توم كارمودى) لعناته من المدخل المسقوف.

تسلق (تشارلى) سلم كوخه وحمل الجرة إلى مكان متميز بحجرة المعيشة، واعتقد أنه منذ ذلك الوقت سوف يكون الكوخ هو المكان الشهير الذى يعيش فيه ذلك "الإمبراطور".. نعم إن هذه هى الكلمة الصحيحة لوصفه.. ذلك الكائن الغامض الأبيض الواهن الذى يتحرك فى حوضه الخاص العالى فوق رف موضوع على منضدة متداعية تكاد تسقط.. ولاحظ أن الجرة قد بددت الضباب البارد الجاثم على هذا المكان المقام على حافة المستنقع..

"ما هذا الذى أحضرته؟".

أخرجه صوت (تيدى) الندى الحاد من حالة خوفه.. وقفت فى باب  
حجرة النوم تحقق فى الخارج، وهى ترتدى فوق جسمها النحيل رداء  
قطنياً أزرق باهتاً، وشعرها مربوط بعقدة سمراء خلف أذنيها.. وعيناها  
باهتان مثل لباسها القطنى.. وكررت كلامها: "حسناً.. ما هذا؟".  
"ماذا تبدو لك يا (تيدى)؟".

خطت خطوة صغيرة إلى الأمام وحركت مؤخرتها ببطء وكسل،  
وعيناها مركبتان على الجرة.. وشفتاها منفرجتان وتكشفان عن أسنان  
لبنية حادة.. وكان الشئ الشاحب الميت عالقاً فى مصله السائلى.  
حدقت فى (تيدى) بنظرة قاسية باردة إلى (تشارلى).. ثم إلى  
الجرة، ومرة أخرى إلى (تشارلى)، ثم إلى الجرة.. ثم دارت حول نفسها  
وقال: "إنه يبدو.. يبدو مثلك تماماً يا (تشارلى)!".. وانقفل باب حجرة  
النوم بقوة.

لم تؤثر ردود الفعل هذه على محتويات الجرة أو تزعجها..  
ولكن (تشارلى) وقف هناك وهو يتوق إلى زوجته وقلبه يدق بقوة..  
وعندما تباطأت دقات قلبه بعد فترة سار إلى الشئ الموجود بالجرة.  
"إننى أعمل فى الأراضى المنخفضة حتى نهاية الموسم فى كل عام،  
بينما هى تقبض المال وتهرع إلى زيارة أقاربها لمدة تسعة شهور  
باستمرار.. إننى لا أستطيع السيطرة عليها.. هى والرجال الذين يعملون  
بالمتجر يسخرون منى.. إننى أشعر بالضيق لأننى لا أستطيع السيطرة  
عليها.. اللعنة.. لكننى أحاول!".



لم ترد عليه محتويات الجرة أو تنصحه بشيء.

”(تشارلى)؟“.

كان هناك شخص واقف فى الباب الأمامى.. واستدار (تشارلى) وهو مندهش ثم ابتسم ابتسامة واسعة.. كان أحد الرجال من المتجر العمومى.

أوه - (تشارلى) - نحن - اعتقدنا أن - حسناً - لقد حضرنا لكى نلقى نظرة على - هذا الشيء - الذى وضعته فى تلك الجرة.

مضى شهر يوليو وأقبل شهر أغسطس.. وللمرة الأولى منذ سنوات، كان (تشارلى) سعيداً مثل نبات ذرة طويل نما بعد فترة جفاف.. وكان يكفيه فى تلك الليلة سماع وقع خطوات الناس وهم يطانون النباتات الطويلة.. وصوت الرجال وهم يبصقون فى الخندق قبل وصولهم إلى المدخل المسقوف.. وصوت أجسام ثقيلة وهى تتحرك على الألواح الخشبية وتصدر صريراً.. وصوت أنات المنزل كلما ارتكز كتف شخص آخر على إطار الباب.. ثم سمع صوتاً مزعجاً آخر عندما دقت يد فظة على الباب:

”هل يمكننى أن أدخل؟“.

ويلا مبالاة شديدة دعا (تشارلى) الوافدين إلى الدخول.. وهناك مقاعد أو صناديق صابون تكفى للجميع.. أو على الأقل سجاجيد ليقبعوا

عليها.. وفى الوقت الذى أخذت فيه صراصير الحقل تقرص أرجلهم وتطن فى وقت الصيف.. وأخذت الضفادع منتفخات الحنجرة، مثل السيدات المصابات بتضخم رقابهن بسبب مرض الغدة الدرقية، تنق طوال الليل.. وعمّا قريب سوف تمتلئ الحجرة تماماً بأناس يعملون فى الأراضي المنخفضة.

فى البداية لم يقل أحد شيئاً.. نصف الساعة الأولى من تلك الأمسية - بينما جاء الناس واحتلوا أماكن جلوس لهم - انقضت فى لف السجائر بحرص.. وضع التبغ بعناية فى الورق الأسمر الخفيف ولفها ودكها.. كأنه يعبر عن تحميلهم ولفهم للأفكار والمخاوف المحدقة بهم فى تلك الليلة.. وأعطى لهم ذلك بعض الوقت.. وبوسعك أن ترى عقولهم وهى تعمل خلف أعينهم وهم يجهزون السجائر لكى يدخنوها.

كان هذا الجمع يشبه اجتماعاً تحضيرياً فى الكنيسة.. جلسوا وهم جاثمين على الأرض أو مستنديين على الحوائط الجصية.. وأخذ كل واحد منهم يحدق فى الجرة الموجودة على الرف بشيء من الرهبة والتبجيل.

لم يركزوا نظرهم على الجرة.. وبدلاً من ذلك بدوا كمن يجولون بنظرهم فى أرجاء الحجرة ثم تبحث أعينهم عن أى شيء قديم بجوارهم فى الحجرة.. ثم فجأة - وبالصدف طبعاً - تتجه أبصارهم كلهم إلى نفس المكان.. بعد برهة تتجه إلى كل الأنظار إلى الجرة وتثبت عليه، كالديابيس التى تثبت فى وسادة الديابيس المألوفة والصوت الوحيد الذى يمكنك سماعه هو صوت شخص ما يمص فى كوز ذرة.. أو أصوات

دبيب الأقدام العارية للأطفال على الألواح الخشبية بمدخل المنزل..  
ولعل بعض أصوات النساء تصل إلى السمع: آيها الأولاد اذهبوا بعيداً..  
الآن.. هيا اذهبوا.. ويصاحب ذلك ضحكات أو قهقهات مثل ماء عذب  
جارٍ، وعندئذ تَعْدُو الأقدام العارية ولا تلبث أن تخيف الضفادع الكبيرة.

بالطبع (تشارلي) كان في المقدمة.. جالساً على كرسي هزان..  
واضعاً وسادة مربعة تحت مؤخرته النحيلة.. ويهز نفسه ببطء..  
متمتعاً بالشهرة التي هبطت عليه من جراء وجود الجرة المدهشة  
في حوزته.

وكانت (تيدي) جالسة في مؤخرة الحجرة ضمن مجموعة من النسوة  
الهادئات اللاتي يرتدين ملابساً رمادية وينتظرن أزواجهن.

كانت (تيدي) تبدو على وشك الصراخ من فرط الغيرة.. لكنها لم  
تتفوه بكلمة.. فقط راقبت الرجال وهم يطنون حجرة معيشتها ويجلسون  
تحت قدمي (تشارلي) ويحدقون في ذلك الشيء المقدس الغامض..  
وتجمدت شفتاها ولم تنطق بأية كلمة مهذبة لأي أحد منهم.

وبعد فترة من الصمت، تمكن أحدهم، لعله (جرامبس مدكناو) العجوز،  
القادم، من "طريق كريك"، وانحنى إلى الأمام وطرده البلغم من داخل حنجرته  
وبلل شفتيه وارتعدت أصابعه المتصلبة.. وشجع ذلك كل واحد منهم على  
الاستعداد للكلام عما قريب.. وأرهف الكل آذانهم.. وانتبه الجميع مثل  
البذور المغروسة في طين دافئ بعد سقوط الأمطار.



نظر (جرامبزن) لمدة طويلة وجهز نفسه للكلام.. وأُسند ظهره كالعادة..  
ونطق بصوته الرجالي الصادح وقال:

إننى أعجب ماذا يكون هذا الشيء؟.. بل أتساءل عما إذا كان ذكراً  
أم أنثى.. أم مجرد شيء عجوز؟.. أحياناً أظل متيقظاً طوال الليل  
وأقلب على حصيرتى، وأفكر فى الجرة القابعة هنا فى الظلام الدامس..  
وأفكر فيها وهو عالق فى السائل فى هدوء وسلام كمحارة صغيرة..  
وأحياناً أوقظ "ماو" ونفكر معاً فى هذا الموضوع.

وأثناء كلامه، حرك (جرامبزن) أصابعه كمن يعبر بالإشارات..  
ولاحظ كل الموجودين إبهامه السميك وهو يتموج، بينما تتحرك أصابعه  
طويلة الأظافر حركات موجية.

.... جلسنا هناك نحن الاثنين نفكر.. وارتجف جسمانا، لعلها ليلة  
ساخنة والأشجار ترشح (وتنز)، والبعوض ساخن جداً بحيث لا يمكنه  
الطيران.. ولكننا ترتعد أيضاً بنفس القدر ونتقلب محاولين أن ننام....

عاد (جرامبزن) إلى صمته كما لو أنه تحدث بما يكفى ويريد من شخص  
آخر أن يتحدث معبراً عن دهشته، خوفه واستغرابه. ومسح (جوك مرمر)،  
من مستنقع (ويللو)، عرقه من راحتيه المطوقتين لركبتيه وقال بهدوء:  
"أتذكر عندما كنت صبياً وأنفى سائب دائماً، كان لدينا قطعة تضع طول  
الوقت صغاراً لها.. والغريب أننا كنا نلاحظ أنها تضع صغاراً فى كل مرة  
تقفز فيها من فوق أحد الأسوار وتختفى لفترة من الوقت...."

كان (جوك) يتحدث بلغة جليظة خيرة.. وواصل: "حسنًا، لقد وزعنا القطيطات الصغيرة، ولكن هذه القطيطات بالذات عندما طردناها بعيدًا، كل شخص فى المنطقة المحيطة بنا حصل على واحدة أو اثنتين منهما كهدية مجانية..

"وكانت أمى عاكفة عند المدخل الخلفى للمنزل على جرة زجاجية سعتها جالونان تملؤها بالماء حتى فمها.. وقالت أمى: "(جوك)، قم بتنظيف تلك القطيطات بتغطيسها فى الماء.. وأتذكر أننى وقفت هناك والقطيطات تموء وتجرى هنا وهناك وهى عمياء وصغيرة وعاجزة تمامًا وذات شكل جميل وممتع... كانت على وشك الإبصار وفتحت عيونها..

"نظرت إلى أمى وقلت لها: "أرجوك ليس أنا يا ماما!.. افعلنى ذلك بنفسك!.. ولكن ماما شحب وجهها وقالت: إن على عمل ذلك حيث كنت أنا الموجود أمامها.. وانصرفت هى للقيام بتقليب مرقعة اللحم وتجهيز الدجاج للطعام.. أما أنا فرفعت قطيطة واحدة وأمسكت بها.. كانت دافئة الجسم، وماعت تلك القطيطة، وما أتذكره أننى تبادرت بترك المنزل ركضًا وانتويت عدم العودة إلى المنزل!".

هز (جوك) رأسه الآن ولمعت عيناه الشابتان وبدأ كمن ينظر إلى أو يتأمل فى الماضى ويجدد ذكرياته الآن ويعبر عنه بالكلام وينطقه بسلاسة بلسانه، وواصل:

"ألقيت بالقطيطات فى الماء.. فأغلقت القطيطات أعينها وفتحت أفواهها طلبًا للهواء لتتنفسه.. وأتذكر كيف بدت أنيابها البيضاء وبرزت

ألستنها الوردية وصعدت فقاعات فى الماء فى خط رأسى حتى أعلى سطح الماء.. وأنا أعرف حتى هذا اليوم الطريقة التى عامت بها القطيطات بعد أن أنهت حمامها وهى تشق طريقها فى أى اتجاه ببطء وبدون توتر أو قلق.. وهى تنظر إلى ولا تلعننى لما فعلته لها.. ولكن فى نفس الوقت بالطبع لا تحببى أيضاً.. هاهاهاها!..

دقت القلوب بسرعة.. وتقلبت العيون ما بين جوك والجرة الموضوعة على الرف وهى مقلوبة على وجهها ثم لا تلبث أن تنعدل فوراً على نحو مقلق ومثير للخوف.. ومرت لحظة صمت تام.. وعندئذ حدثت عينا (جادو)، الرجل الأسود من مستنقع (هيرون)، وهما عينا عاجيتا اللون كتلك لمشعوذ داكن البشرة.. وانقبضت وانفردت مفصلاتته الداكنة وقال: "أتعرف ما هذا؟.. أنت تعرف، أليس كذلك؟.. أنا أقول لك.. هذا مركز أو قلب الحياة، هذا شىء مؤكد.. والله يعلم أننى صادق فيما أقول!.."

تأرجح (جادو) بشكل إيقاعى كمن يتأرجح على شجرة وطيرته ربح من المستنقع لم يرها أو يسمعها أو يحس بها إلا هو نفسه.. ودارت عيناها فى كل مكان مرة أخرى، كما لو أنها تحررت من عقالها لكى تتجول كما يحلو لها.. وتكلم بصوت ثاقب كخيوط إبرة قاتمة يثقب بها كل واحد منا من شحمة أذنه حيث يجمعنا كلنا فى كيان واحد نكاد لا نتنفس فيه قائلاً:

"تمددت على ظهري وقتئذ فى مستنقع (ميدى بامبو) الذى يموج بكل أنواع الكائنات الزاحفة.. وكلما مدت يدي، وضع هذا الشىء قدمه.."



ثم فرد لسانه ونما قرنه.. لعله أميبا صغيرة جداً.. ثم رأيت ضفدعاً  
ضخم الرقبة وله صدر علوى!.. يا إلهي!.. وطرق مفصلات أصابعه  
وأردف: "سال لعابه على مفصلاته اللزجة وكانت.. كانت بشرية!.. إن  
هذا هو مركز الخلق أو قلب المخلوقات!.. هذه هي (ثديي الميدي بامبو)  
جدنا الأكبر الذي انحدرنا كلنا منه منذ عشرة آلاف سنة.. صدقوني  
هذه هي الحقيقة!"

همس (جراننى كارنیشن) قائلاً: "منذ عشرة آلاف سنة، يا للعجب!"  
"نعم هو قديم هكذا!.. وانتظروا إليه!.. إنه لم يعد يقلق على أى شىء..  
وهو يعرف أفضل منا.. وهو جائم كشريحة لحم خنزير فى دهن المقللة..  
وله عينان يرى بهما، ولكنه لا يطرف بهما وهما تصف مفتوحتين وغير  
متغضنتين، أليس كذلك؟.. لا يا رجل!.. إنه يعرف أفضل منا.. إنه يعرف  
أننا نشأنا كلنا منه وأننا سوف نعود إليه مرة أخرى!"

"ولكن ما هو لون عينيه كما لاحظته؟"

"لونهما رمادى."

"لكنهما أصبحتا الآن خضراوين!"

"وما هو لون شعره؟.. بنى؟ أم ماذا؟"

"لونه أسود!"

"أهو أحمر؟"

"لا، إنه رمادى."

ثم جاء دور (تشارلى) لكى يدلى برأيه المفيد.. وهو فى بعض الليالى سوف يقول نفس الشئ وفى بعضها الآخر يقول غير ذلك.. لكن هذا ليس مهماً.. فعندما تقول نفس الشئ فى كل ليلة من ليالى الصيف الحارة، فإنها تبدو مختلفة عن بعضها البعض.. صراصير الحقل غيرتها.. الضفادع غيرتها.. الشئ الموجود فى الجرة غيرها.. وقال (تشارلى):

”ماذا يحدث لو عاد رجل عجوز، أو - لنقل - شاب صغير، إلى المستنقع وطاف هناك لستوات وسنوات هائماً على وجهه فى تلك المنطقة اللعينة.. وعاش فى الطرق الوعرة الجرداء والأخاديد الموحشة، والوديان الضيقة والهوات السحيقة فى الليالى الباردة.. لا ريب أن جلده سيتحول إلى اللون الشاحب ويبدأ جسمه يرتعد من البرودة.

ولأنه بعيد عن الشمس فإنه يضعف ويزوى وفى النهاية يغوص فى حفرة وحلة قذرة، حيث يرقد فى فراش من النفائات كالحشرة التى تتربص بالبرقات وترقد فى مياه مجرور أو مستنقع.. ما أعجب هذا، إذ نستطيع القول: إن هذا قد يكون شخصاً نعرفه!.. شخص ما تبادلنا الحديث معه ذات مرة فى وقت ما.. إذ حسب ما نعلم....”

انطلق صوت هسيس من مجموعة النساء فى الظلال الخلفية.. امرأة كانت واقفة، سوداء العينين، نطقت بضع كلمات.. كان اسمها السيدة (تريدين) حيث غمغمت قائلة: ”الكثير من الأطفال الصغار يجرون إلى المستنقع وهم عرايا تماماً كل عام، وهم يهيمنون هناك لفترة ثم

يرجعون.. أنا نفسى كدت أتوه هناك.. كما أتنى فقدت ابنتى (فولى) بتلك الطريقة.. أنتم، أنتم لا تعتقدون أن...!..

سحب الجميع أنفاساً متلاحقة ومحبوسة ومتوترة.. واستدارت الأفواه من كل الأماكن.. وهى مقفلة من جراء تشنج عضلاتها.. والتفتت الرؤوس فوق أعناق من سيقان الكرّفس، وقرأت العيون رعبها وأملها.. كان جسم السيدة (تريدين) المشدود كالسلك مسنداً إلى الحائط الموجود خلفها وأصابعها متييسة.. وهمست قائلة بأنفاس لاهثة: "طفلى.. طفلى.. (فولى)، (فولى)!!.. هل هذا أنت؟.. (فولى).. (فولى)!!.. أخبرنى يا بنتى هل هذا أنت؟.."

حبس الجميع أنفاسهم والتفتوا لرؤية الجرة.

لم يقل الشئ الموضوع فى الجرة شيئاً.. فقط ظل يحدق - بدون أن يرى شيئاً - فى المجتمعين.. وداخل أجسام الجميع النحيلة سرت "عصارة الخوف"، مثل نويان الثلج المنهمر فى الربيع.. وتمكنت تلك العصارة من ابتلاع هذوئهم الشديد ويقينهم وخضوعهم السهل، ثم ذابت مشكلة شلالاً!!.. وصاح أحدهم:

"لقد تحرك هذا الشئ!!.."

"لا، لا.. لم يتحرك.. لا بد أن عينيك خدعتك!!.."

صاح (جوك): "لكن هذا حقيقى.. لقد رأيته يتحرك ببطء كقطعة تلفظ أنفاسها الأخيرة!!.."



”اصمتوا جميعاً.. لقد مات هذا الشيء منذ زمن بعيد جداً..  
ولعله مات قبل أن تولدوا جميعاً!”.

صرخت السيدة (تريدين) قائلة: ”لقد أعطانا علامة!.. إنه ابني الأحق!”..  
نعم، لا بد أنه كان هناك!.. لقد ذهب من ثلاث سنوات!.. لقد ضاع ابني  
بعد أن ذهب إلى المستنقع!.. ثم خفت بكاؤها ونشيجها قليلاً.

اهدئي الآن يا سيدة (تريدين).. نعم الآن.. فقط اجلسي في هدوء  
وتوقفي عن الكلام.. ليس لدى أحد معلومات عنه.. هناك قى ذلك  
المستنقع اللعين.

إحدى النساء أمسكت بيدها وساعدتها على التوقف تماماً عن  
النشيج ولكن أصبح تنفسها متقطعاً وشفثاتها ترتجفان وتختلجان  
بسرعة.. وهبت عليهم نسمة من الهواء المشوب بالترقب!.

عندما هدا الجميع، سحبت (جراني كارنيشن)، وهي تضع ورده  
حمراء في شعرها الرمادي الممتد بعرض كتفها، نفساً من الغليون  
الموجود بفمها الكبير وهزت رأسها لكي يرقص شعرها في الضوء  
وتحدثت إلى من حولها:

”ما كل هذا الحديث والكلمات الاستعراضية.. كما لو كنا لن  
نكتشف أبداً حقيقة هذا الشيء أو نعرف ما هو.. كما لو كنا عندما نعرف  
ما نريده فسوف نريد ألا نكون عرفناه!.. إن هذا يشبه الألعاب السحرية  
للسحرة في عروضهم العجيبة.. فيمجرد أن يكتشف المرء الخدعة في

اللعبة السحرية، فإن تلك الألعاب تفقد جاذبيتها وسحرها.. إننا نحضر ونجتمع هنا كل عشرة أيام أو نحو ذلك.. مجرد تلاق اجتماعي لسبب أو أمر ما أو لمجرد الحديث.. والحقيقة أننا لو اكتشفنا حقيقة هذا الشيء اللعين، فلن نجد بعد ذلك شيئاً تلوكه ألسنتنا.

دمدم صوت جهورى: "حسناً ليذهب كل ذلك إلى الجحيم.. ولكننى لا أعتقد أن ذلك لا شيء!.. لم يكن ذلك سوى صوت (توم كرمودى).

وقف (توم كرمودى) كعادته فى الظل.. بعيداً فى المدخل المسقوف.. كانت عيناه تحدقان وشفثاه تضحكان عليك بفتور وتسخران منك.. وكان وقع ضحكه لى (تشارلى) كلدغة دمور.. كانت (زيدى) تغريه وتشجعه على ذلك، فقد كانت تحاول تحطيم حياة (تشارلى) الجديدة.

كرر (كرمودى) كلامه بجفاء: "ليس هناك شيء فى هذه الجرة سوى كتلة من قنديل بحر عجوز مأخوذة من مغارة بحرية.. وهى كتلة متعفنة ومنتنة تشبه تلك التى لجرى مشوه لعين!..

سأله (تشارلى) بهدوء: "لعلك لست غيوراً يا ابن عمى (كرمودى)؟"

زمجر (كرمودى) وقال: "ياللعجب.. لقد حضرت لتوى لأراك تخرس الأقواه الغبية وتدعى أن ذلك الشيء لا شيء.. وأنت ترى أننى لم أدخل إلى هنا أو أشرت فى أى حوار.. وسوف أذهب إلى منزلى على الفور.. هل يريد أحد أن يذهب معى؟"

لم يتلق أى عرض من الموجودين .. فضحك مرة أخرى، كما لو أن هذا كان نكتة، إذ يذهب معظم أولئك إلى أماكن بعيدة جداً .. ووقفت (زيدى) تحك كفيها بأظافر أصابعها وهى واقفة بعيداً فى ركن الغرفة .. ورأى (تشارلى) فمها يختلج فى برود ولا يستطيع أن يتكلم.

دق (كرمودى)، وهو ما زال يضحك، أرضية المدخل المسقوف بحذائيه الطويلين ذى الكعبين العاليتين، واستحوذت صراصير الحقول على انتباهه.

سحبت (جرانى كرنيشن) أنفاساً من غليونها وقالت: "مثلما كنت أقول قبل العاصفة، هذا الشيء الموجود على الرف، لماذا لا يكون نوعاً من جميع الأشياء؟ أى أشياء كثيرة مع بعضها البعض .. ويتضمن جميع أنواع الحياة والموت، لا أعرف .. خلطة تضم المطر والشمس والسماد الحيوانى والهلام، كل ذلك معاً .. أو خلطة الأعشاب والأفاعى والأطفال والضباب وكل الليالى والأيام فى أدغال الخيزران أو القصب الميته .. لماذا يجب أن يكون شيئاً واحداً فقط؟ .. لعله أشياء كثيرة مختلطة ببعضها بعضاً .."

استمر بعد ذلك الحديث هادئاً وخافتاً لساعة أخرى، وانسلت (زيدى) إلى هواء الليل على إثر (توم كرمودى) .. وبدأ (تشارلى) يتصبب عرقاً. كان هذان الاثنان على وشك عمل شيء ما .. كانا يخططان لأمر ما .. وظل (تشارلى) يعرق عرقاً دافئاً طوال الجزء المتبقى من الليلة.



انتهى الاجتماع متأخراً، وذهب (تشارلى) إلى فراشه وعواطفه  
تشتتت فى كل اتجاه، لقد انتهى الاجتماع على خير حال، ولكن ماذا  
بشأن (زيدى) و(توم)؟.

وفى أواخر الليل، بينما كانت مجموعات من النجوم تتحرك فى  
وداعة فى السماء محددة الوقت بما بعد منتصف الليل، سمع (تشارلى)  
خفيف الأعشاب الطويلة وهى تفترق عن بعضها عندما مرت مؤخرة  
(زيدى) المتأرجحة من خلالها.. وأقبل كعباها يتهايان عبر المدخل  
المسقوف إلى داخل المنزل ثم إلى داخل غرفة النوم.

رقدت فى سكون على السرير وعيناها تحديقان فيه.. لم يستطع  
رؤيتهما ولكنه شعر بهما تحديقان فيه ونادته: "(تشارلى)؟" .. أنتظر قليلاً  
ثم قال: "أنا مستيقظ" .. وانتظرت هى قليلاً ثم قال: "أنا مستيقظ" ..  
وانتظرت هى قليلاً ثم قالت: "(تشارلى)؟" .. فقال: "ماذا؟".

"لكنك لا تعرف أين كنت.. أراهن أنك لا تعرف أين كنت؟".

وكان هذا أجمل بيت شعرى ساخر فى تلك الليلة.. وانتظر هو قليلاً  
وكذلك هى.. بيد أنها لم تطق الانتظار أكثر من ذلك وأردفت: "لقد كنت  
فى الكرنفال هناك فى مدينة كيب.. توم كرمودى أخذنى فى سيارته إلى  
هناك.. وتحديثنا نحن الاثنين مع مدير السيرك.. لقد فعلناها يا  
(تشارلى) .. نعم لقد فعلناها!".

وضحكت سرّاً فى نفسها.

ظل (تشارلى) بارداً كالثلج، وتقلب جانبياً على كوعه.. وقالت  
هى بشكل فيه تلميح: "لقد عرفنا ما هو الشيء الموجود فى الجرة  
التي أحضرتها يا (تشارلى)".

ارتقى (تشارلى) على وجهه ويداه على أذنيه وصاح: "لا أريد أن  
أسمع شيئاً".

قالت بصوت يشبه الفحيح: "أوه، ولكنك يجب أن تسمع  
يا (تشارلى).. إنها نكتة جميلة.. إنها دعابة نادرة يا (تشارلى)".  
فقال لها: "أذهبى الآن".

أوه، لا.. لا يا سيدى (تشارلى).. لا يا عزيزى (تشارلى).. لا تتم  
قبل أن أخبرك بكل شيء!.. فقال: "آيتها البلهاء!".

"دعنى أخبرك!.. لقد تحدثنا إلى مدير الكرنفال هذا، وكاد الرجل  
يموت من الضحك.. وقال إنه باع الجرة وما فيها إلى شخص ما..  
مغفل، باثنى عشر دولاراً.. بينما أنه لا يستحق أكثر من دولارين على  
أكثر تقدير..

انطلقت فى الظلام الضحكات مباشرة من فمها.. نوع مروع من  
الضحكات.. وانتهت بسرعة منها وأردفت بحدة: "إنها شيء لا قيمة له يا  
(تشارلى)!.. كتلة من المطاط والورق المقوى والحرير والقطن وحامض  
البوريك!.. هذا كل ما فى الأمر!.. ثم إن بداخله إطاراً معدنياً مركباً كل  
شيء به!.. هذا كل ما فى الأمر يا (تشارلى).. إنها مجرد خردة..  
هذا كل شيء!..

صاح: "لا!.. ووقف مسرعاً وأخذ يعزق الأوراق بأصابعه الضخمة وأردف: "لا أريد أن أسمع شيئاً!.. لن أسمع شيئاً آخر!.. وأخذ يردد ذلك بصوت جهورى.

قالت: "انتظر حتى يعرف الجميع هذه الخدعة!.. ترى ألن يضحكوا عليها كثيراً!.. ألن يتنفسوا الصعداء!..

أمسك بمعصمها وقال: "إنك لن تخبريهم، أليس كذلك؟".

"هل تريد أن يقولوا على كذابة يا (تشارلى)؟" .. فأبعدها عنه وصاح: "اتركينى وشائى.. أيتها القذرة، أيتها الغيورة القذرة من كل شىء أفعله.. لقد تهللت أساريك عندما أحضرت هذه الجرة إلى المنزل.. إنك لم تنامى إلا بعد أن أفسدت كل شىء!..

ضحكت وقالت: "إذن لن أقول شيئاً لأحد" .. فحرق فيها وقال: "لقد أفسدت فرحتى.. هذا كل ما حدث.. أنا لا أبالى إذا ما أخبرت الآخرين.. أنا أعرف، وإن أفرح بعد ذلك.. أنت و(توم كرمودى) .. أتمنى أن أمنعه من الضحك.. لقد ضحك على سنوات طويلة!.. حسناً!، اذهبى وأخبرى الآخرين الآن.. ولعله حان دورك لتفرحى الآن!..

سار مسرعاً وهو غاضب وأمسك بالجرة بقوة، مما أدى إلى انسكاب بعض السائل منها.. وكان على وشك إلقيائها على الأرض.. لكنه توقف فجأة عن الارتعاش ووضعها برفق على المنضدة العالية الرقيقة. انحنى فوقها وهو يبكي، فلو فقد هذه الجرة فإنه يكون قد فقد العالم كله!..



كما أنه يفقد الآن زيدى أيضاً.. ففي كل شهر مضى كانت تتباعد تدريجياً عنه وتسخر منه وتضحك عليه. ولسنوات طويلة كانت مؤخرتها هى البندول الذى يعرف به كيفية وتوقيت حياتها.. غير أن رجالاً آخرين، (توم كرمودى) مثلاً، كانوا يقدرّون الوقت من نفس المصدر!

وقفت زيدى تنتظره أن يكسر الجرة، ولكن بدلاً من ذلك خضن الجرة وربت عليها وهدأت نفسه معها. وفكر فى الأمسيات الجميلة والطويلة فى الشهور الماضية، وتلك الأمسيات الثرية بالحديث والأصدقاء، وهم يتحركون فى كل مكان بالغرفة.. هذا على الأقل كان جيداً، طالما ليس هناك شيء آخر.

استدار ببطء باتجاه زيدى التى كان قد فقدوها إلى الأبد، وقال لها "زيدى، هل ذهبت إلى الكرنفال؟" فقالت: "نعم، ذهبت إليه".

قال بهدوء: "أنت تكذّبين"، فقالت: "لا، أنا لا أكذب".

"هذه.. هذه الجرة بداخلها شيء ما.. شيء آخر غير الخرقة التى تقصدينها.. كثير من الناس يعتقدون أن بها شيئاً ما.. زيدى، أنت لا تستطيعين تغيير ذلك.. ومدير السيرك الذى قابلتماه كاذب.. وأخذ (تشارلى) نفساً عميقاً وتابع: "تعالى هنا يا زيدى".

ردت وهى تسأله مكتئبة: "ماذا تريد منى؟" وأخذ خطوة باتجاهها وقال: "تعالى هنا".

"ابتعد عني يا (تشارلى)؟"

”أنا أريد أن أريك شيئاً ما يا زيدى“ .. وتهدج صوته وواصل بصوت خافت : ”تعالى هنا يا قطتى .. قطتى الحبيبية .. تعالى يا قطتى!“ .

فى ليلة أخرى بعد أسبوع جاء (جرامبر مدنوى) و(جرانى كرنيشن) ولحق بهما (جوك) الشاب والسيدة (تريدين) و(جاده) الزنجى ثم كل الآخرين الصغار والكبار .. الطيبين والحاquدين .. وأخذوا يصدرون صريرا بمقاعدهم، وكل منهم سارح فى أفكاره وأماله ومخاوفه .. وكلهم لا ينظرون إلى الجرة المقدسة وإنما يرحبون فقط بـ (تشارلى) .

انتظروا حتى حضر كل الباقين .. ومن البريق الذى لمع فى أعينهم يمكن للمرء أن يعرف أن لكل منهم فكرة مختلفة عن الجرة .. فكرة تتعلق بالحياة الأولى والحياة الغامضة اللاحقة .. الحياة فى الموت والموت فى الحياة .. لكل منهم قصته وخبراته وعلاقاته القديمة والحديثة .. وجلس تشارلى وحيداً .

دلف شخص إلى غرفة النوم الخالية وقال: ”أهلاً ومرحباً يا (تشارلى) .. لا بد أن زوجتك ذهبت مرة أخرى لزيارة أهلها، أليس كذلك؟“ .

”نعم، ذهبت غالى (تنيسى) .. وسوف تعود بعد أسبوعين .. إنها أسرع واحدة فى الانطلاق، أنت تعرف زيدى“ .

”نعم، إنها امرأة لا تضيع وقتها وتذهب دائماً هنا وهناك“ .

كان الجميع يتكلمون بأصوات هادئة ويثرثرون .. ثم فجأة رأوا فى المدخل المظلم المسقوف توم كرمودى وعيناه لامعتان وتحديقان فى الجميع .. ووقف توم كرمودى فى الخارج وركبته تكادان ألا تحمله

وجسمه يرتجف وذرعاها ترتعدان بجانب جسمه.. وأخذ يحدق إلى داخل الحجرة.

لم يجرؤ توم كرمودى أن يدخل الحجرة كان مفتوح الفم ولكنه لم يكن يبتسم، كانت شفثاه رطبة ومتدلية، ولكنهم لم يفترا عن ابتسامة، كان وجهه أبيض شاحباً وكأنما كان مريضاً لمدة طويلة، تطلع جرامز إلى الجرة وتنحنح وقال لم أنفوس من قبل فى هذا الشئ.

إن عينيه زرقاوان. رد كدانى كارنيشن، لقد كانت عيناه دائماً زرقاوين. قال جرافز "كلا لم تكونا زرقاوين بل كانتا بنيتين"، كان هذا فى آخر مرة شاهد هذا الشئ، ثم طرف بعينه، واستطرد قائلاً: وثمة شئ آخر إن شعره بنى ولم يكن شعره بنياً من قبل، تنهدت السيدة تريدين وقالت: نعم نعم إن شعره بنى.

كلا إنه لم يكن بنياً.

أو كذلك أن شعره كان بنياً.

ارتجت توم كرمودى فى هذه الليلة من الصيف، بينما كان يحدق فى الجرة تطلع (تشارلى) إلى الجرة بينما كان يلف سيجارة بلا مبالاة، كان هادئاً وغير متفعل وواثقاً إلى حد كبير فى حياته وأفكاره وكان توم كرمودى فقط يريد الأشياء عن الجرة لم يرها من قبل، وكان كل شخص يرى ما يريده هو أن يراه كانت كل الأفكار تنهمر كالأمطار السريعة.

همست السيدة تريدين "ابنى الصغير".

فكر جرامز "لعله فحاً" حرك الرجل الأسود أصابعه.



زم صياد السمك شفّتيه، لعله قنديل بحر!

كانت أفكار جوك تفرق في عينيه، وهو يقول: "قطعة يا قطتي أيتها القطعة تعالى".

كل شيء وأى شيء!

الليل والمستنقع والموت والأشياء الشاحبة والمبللة من البحر! ساد الصمت ثم همس جرامز "إننى أتعجب هل هذا الشيء ذكر أم أنثى أم مجرد حيوان بدائى بسيط؟".

تطلع (تشارلى) إلى أعلى وهو راضٍ.

وأخذ يحشو سيجارته بالتبغ ويهيئها لكى يدخنها ثم نظر إلى توم كرمودى، الذى لم يبتسم قط من جديد وهو يقف عند الباب "أعتقد أننا لن نعرف ذلك أبداً، أنا متأكد من ذلك".

عندئذ هز (تشارلى) رأسه وجلس ليتحدث مع ضيوفه ويتلفت كأنه يبحث عن شيء ما.

كان ذلك أحد تلك الأشياء التى يحفظها الناس فى جرة موجودة داخل خيمة الاستعراضات بسيرك مقام على مشارف بلدة صفية وادعة نعسانة.. إنه أحد تلك الأشياء التى تنساب فى بلازما الكحول.. شيء ما سوف يظل يحلم ويدور إلى الأبد، وعيناه المسلوختان الميتتان تحرقان شيك ولكنهما لن تريا ك أبداً.

## السفاح الصغير

بمجرد أن داهمتها الفكرة المروعة بأن هناك من يريد قتلها، أصيبت بحالة من الذهول ولم تستطع أن تتخذ أى قرار. وكانت لديها شكوكها على مر الشهر الماضى، بعد أن لاحظت إشارات مأكرة وخبيثة، كانت عميقة فى داخلها وكأنها مد البحر الذى أخذ يتطلع إلى الامتداد الهادئ للغاية، للمياه الاستوائية، ويتعنى أن يسبح فى لجته ليكتشف أمراً ما، وبينما كان المد يسحب جسمك إلى الأسفل، حيث تسكن الوحوش مباشرة تحت السطح، وأشياء أخرى خفية، منتفخة ذات أذرع متعددة، وزعانف حادة، إن نواياها خبيثة وشريرة ولا مهرب منها.. كانت الحجرة تطفو حولها فى تموجات هستيرية. ومعدات حادة قاطعة تحوم فى فضائها، وثمة أصوات لا تدري مصدرها، وأناس يرتدون أقنعة بيضاء معقمة يروحون ويجيئون.

أخذت تقذح زناد فكرها "اسمى! ما هو اسمى؟".

وفجأة نفضت عنها غبار النسيان، إن اسمى (أليس ليبير) زوجة (ديفيد ليبير). ولكن هذا لم يمنحها الراحة التى هى فى أشد الحاجة إليها، لقد كانت وحيدة مع هؤلاء الأناس الصامتين أو الذين يهمسون،

ويرتدون الأقنعة والملابس البيضاء. وكانت تشعر بألم ممرض في داخلها  
وشعور بالغثيان وإحساس بالخوف من الموت.

وأخذت تفكر "إننى أقتل أمام أعينهم، هؤلاء الأطباء والممرضون  
والمرضات لا يدركون أن ثمة شيئاً مختبئاً قد حدث لى، حتى (ديفيد) لا  
يعرف، لا أحد يعرف إلا أنا و... القاتل، المجرم الضئيل الحجم، السفاح  
الصغير.

إننى أموت، ولكنى لا أستطيع أن أخبرهم الآن، سوف يسخرون  
منى ويضحكون، ويقولون عنى إننى أعانى هذيان الحمى، سوف  
يشاهدون القاتل ويمسكون به، ولكنهم لن يشكوا أبداً، بأنه مسئول عن  
موتى.. وهأنذا أموت فى حضرة الله جل جلاله وأمام الإنسان. لا أحد  
يصدق حكايتى إذ يتتابهم الشك فيما أقول، ويحاولون إدخال السكينة  
إلى نفسى بسرد الأكاذيب، ويغرقوننى فى دياجير الجهل المطبق،  
ينوحون على وينقذون حياة من كان السبب فى قتلى عمداً. عندئذ  
تساءلت فى نفسها "أين (ديفيد)؟ لعله فى حجرة الانتظار يدخل سيجارة  
أو الأخرى، وينصت إلى الدقات الطويلة للساعة المعلقة على الجدار،  
التي تسير عقاربها ببطء شديد".

تصيب العرق فجأة من كل أجزاء جسمها، وصاحبه صرخة تنم عن  
الم مبرح، الآن، الآن! حاول أن تقتلنى، وتعال صرخاتها، حاول، حاول،  
لكننى لن أموت! لن أموت!.



شعرت بأن داخلها أصبح مجوفاً وفارغاً ، وبغثة توقف الألم .  
وانتابها إحساس بالإعياء الشديد وجاء الغسق وأحاط بها ، لقد انتهى  
الأمر ، يا إلهي !

فوق فراشها ، ومدت يدها قلم تلمس شيئاً ، بل مجرد ظلمة وعدم  
والمزيد من الظلمة والعدم ، هكذا بلا نهاية ..

سمعت وقع أقدام رقيقة وثيدة ، أخذت تقترب رويداً ، ومن بعيد  
جاءها صوت يقول : "إنها نائمة ، لا تزعجوها" ، وشمّت رائحة "التويد"<sup>(١)</sup> ،  
وتبع غليون ، وكولونيا معينة لبعد الخلاقة ، إذن (ديفيد) يقف بجانب  
فراشها . وخلفه الرائحة المميزة للدكتور (جيفرز) .

لم تفتح عينيها ، بل قالت بهدوء : "إننى مستيقظة . لقد كانت  
بالنسبة إليها مفاجأة وفرجاً لأنها استطاعت الكلام ، ومن ثم فهي  
ليست ميتة .

قال شخص ما "أليس" وعلى الرغم من أن عينيها مغمضتان ،  
فإنها عرفت أنه (ديفيد) ، خصوصاً بعد أن أمسك بيديها المرهقتين .

فكرت فى نفسها " (ديفيد) ، أتريد أن تقابل القاتل؟" لقد سمعت  
صوتك وأنت تطلب رؤيته ، إذن ليس أمامى سوى أن أريك إياه .

---

(١) نسيج صوفى خشن تصنع منه البذل والسترات . (المترجم) .

كان (ديفيد) لا يزال يقف بجانب فراشها يطل عليها، فتحت عينيها. وأصبحت الحجرة فى بؤرة بصرها. حركت يديها الضعيفة المرتعدة، وأزاحت غطاء الفراش إلى جانب.

تطلع القاتل إلى (ديفيد ليبر) بوجهه الصغير المشرب بالحمرة وعينه الزرقاوين الهادئتين. كانت عيناه غائرتين ومتألفتين. صاح (ديفيد ليبر) وهو يبتسم: "يا إلهى! كم هو طفل جميل!".

كان الدكتور (جيفرز) ينتظر (ديفيد ليبر) فى اليوم الذى جاء فيه ليأخذ زوجته وطفله الرضيع المولود حديثاً، إلى منزلهم، أشار إلى (ليبر) يجلس فوق أحد المقاعد، وأعطاه سيجاراً وأشعل لنفسه واحداً وجلس على حافة مكتبه، ينفخ الدخان بوقار لمدة طويلة. ثم تنحنح، وهدق فى (ديفيد ليبر) بشكل مباشر وقال "(ديف)! إن زوجتك لا تحب ابنك!".

بوغت (ليبر) وصاح "ماذا؟".

"لقد كان الأمر صعباً بالنسبة إليها، ومن ثم فهى فى حاجة إلى قدر كبير من الحب فى خلال العام القادم. إننى لم أتحدث كثيراً عن هذا الموضوع فى ذلك الوقت.

بيد أنها كانت فى حالة هستيرية داخل حجرة الولادة، وأخذت تهذى بكلمات غريبة (... إننى لن أكرر هذا أبداً)، كل ما يمكننى قوله، أنها تشعر بالاغتراب عن هذا الطفل الذى ولدته. والآن، ربما كان هذا - ببساطة - أمراً يمكننا سبر غوره، بالإجابة عن سؤال أو سؤالين".

وسحب نفساً عميقاً من سيجاره وصمت لبرهة ثم أردف قائلاً: (ديف) هل هذا الطفل كان "مرغوباً" فيه؟.

اندهش (ديفيد) وقال "لماذا تسأل؟".

"إنه سؤال جوهري".

"أجل، إنه طفل "مرغوب" فيه واتفقنا على إنجابه. لقد خططنا معاً لهذا الأمر. كانت (آليس) فى قمة سعادتها منذ عام مضى، عندما...".

قاطعته الدكتور (جيفرز) قائلاً: "إن هذا يجعل الأمر أكثر صعوبة، لأنه إذا كان الطفل غير مرغوب فى إنجابه، فسوف تكون هذه مجرد حالة لامرأة تكره فكرة الأمومة. ولكن هذا لا ينطبق على (آليس)".

أبعد السيجار عن شفتيه، وأخذ يحك فكه بيده ثم قال: "إذن لابد أنه أمر آخر. لعله شيء مترسب داخلها منذ أيام طفولتها، وقد ظهر الآن. أو ربما كان السبب ذلك الروح المؤقت البسيط والمحنة، التى تعاني منها كل أم أثناء الولادة، بالإضافة إلى الألم الممض الخارق المألوف والإحساس بقرب الموت، وذلك ما كانت تتعرض له (آليس). وإذا كان هذا الاعتقاد صحيحاً، فإن قليلاً من الوقت، سوف يكون كفيلاً بشفائها. ومع هذا، أرى أننى يجب أن أخبرك بشيء ما، يا (ديف) إن مما يساعد كثيراً فى هذه الحالة، أن تكون هادئاً متحكماً فى أعصابك، متسامحاً وصبوراً مع (آليس)، خصوصاً إذا قالت أى شيء عن..



”حسنًا.. عن أنها كان تتمنى أن يولد الطفل ميتًا! وإذا لم تسر الأمور  
كما ينبغي، فعليكم بزيارتى، إذ أكون بالفعل سعيدًا دائمًا برؤية  
الأصدقاء القدامى. والآن، خذ سيجارًا آخر معك، احتفالاً بقدوم الطفل.  
كان بعد الظهر الربيعي مشرقًا، وانطلقت سيارتهم بسرعة عبر  
ممر عريضة تحفها الأشجار من الجانبين. وكانت السماء زرقاء صافية،  
والزهور ناضرة، والرياح دافئة منعشة، ثرثر (ديفيد) كثيرًا، وأشعل  
سيجاره ثم استمر فى حديثه دون انقطاع. كانت إجابات (أليس)  
سريعة دون أية موارد، كانت تتحدث برقة وهدوء، وشعرت بأنها  
تسترخى أكثر قليلًا، كلما اقتربت من منزلها! لكنها لم تحتضن الطفل  
بقوة أو بحنان أو بأومئة، بما يكفى لكى تخفف من ذلك الصداع الغريب  
الذى فى عقل (ديفيد)!

بدا وكأنها تحمل - بدلاً من طفل - تمثالاً من الخزف.

اقترب ثغره عن ابتسامة وقال أخيراً ”حسنًا. ما الاسم الذى سوف  
نطلقه عليه؟“.

حدقت (أليس) فى الأشجار الخضراء، وهى تتدافع حولهم، ثم قالت  
”دعنا لا نقرر هذا الآن. والأفضل أن ننتظر حتى نختار اسماً استثنائياً  
له وأرجو ألا تنفث دخان السيجار فى وجهه“.

قالت كل هذه الجمل بنبرة واحدة لا تتغير. أما الجملة الأخيرة فلم  
تحمل أى تأنيب، أمى.. ولا أى اهتمام أو ضيق.. فقط نطقها وهذا كل  
ما فى الأمر.

ألقي زوجها القلق سيجاره من نافذة السيارة وقال بهدوء: "آسف".  
وارتاح الطفل الرضيع بين ذراعي أمه بينما تبادلت الشمس وظل الشجر  
المرور على وجهه.. وانفتحت عيناه الزرقاوان كزهود الربيع الزرقاء  
النضرة.. وانطلقت من فمه الوردى الدقيق المرن همهمات جميلة.

نظرت (آليس) إلى طفلها نظرة سريعة، وشعر بها زوجها ترتجف  
وهى ملامسة له.. وسألها: "إن جسمك بارد". فقالت: "لا يا عزيزى، إنها  
مجرد قشعريرة، ولكن يستحسن أن ترفع زجاج النافذة يا (ديفيد)".

كان الأمر أكثر من مجرد قشعريرة.. بيد أن الرجل رفع زجاج  
النافذة ببطء.

وفى وقت العشاء كان (ديفيد) قد أحضر الطفل من حجرته وأراحه  
بزاوية صغيرة على بضع وسائد فى مقعده العالى الجديد.. ورأت  
(آليس) سكينها وشوكتها يتحركان فقالت: "إن هذا المقعد ليس من  
المقاس الكبير".

قال (ديفيد) وهو يشعر بالارتياح: "على أى حال من الممتع وجوده  
هنا بيننا.. والأمور كلها على ما يرام، وحتى فى المكتب أيضاً، فالطلبات  
تكاثر تغرقنا.. وإذا اهتممت بما يكفى، فسوف أحقق هذا العام أرباحاً تبلغ  
خمسة عشر ألف دولار.. والآن اهتمى بهذا الصغير.. إن لعبه يسيل  
حتى ذقنه". وأسرع بمد يده إلى فم الطفل بمنشفة.. ومن ركن عينيه  
أدرك أن (آليس) لم تكن تراقبهما قط.. وأنهى مسح فم الطفل.

عاد إلى تناول طعامه وقال: "أعتقد أن ذلك لم يكن مثيراً بما  
يكفى.. ولكن على المرء أن يعتقد أن الأم لابد من أن تهتم بقدر ما  
يطلقها الرضيع!".

رفعت (آليس) ذقنها إلى أعلى وقالت بعتاب: "لا تتكلم يا حبيبى  
بهذه الطريقة.. ليس أمام الطفل!.. على الأقل فيما بعد إذا كان لابد من  
ذلك".

صاح قائلاً: "فيما بعد؟.. أمام الطفل أو من ورائه، ما الفرق؟.  
وسرعان ما هدأ وابتلع لعابه وتأسف قائلاً: "لا بأس.. نعم.. أعرف جيداً  
هذا".

بعد العشاء سمحت له بحمل الطفل إلى الطابق الأعلى.. لم تطلب  
منه ذلك، وإنما سمحت له فقط.. وعندما رجع وجدها واقفة بجوار  
المذياع تنصت إلى الموسيقى ولا تسمعها.. كانت عيناها مقفلتين،  
وحالتها العامة توحى بالدهشة ومحاسبة النفس.. وبدأت فى تمالك  
نفسها عندما ظهر أمامها.

وفجأة اندفعت إليه والتصقت به.. بحركة رقيقة وسريعة.. وسرعان  
ما ضمت شفاتها شفتيه واستغرقتا فى قبلة طويلة.. واندهش لذلك..  
إذ بمجرد صعود الطفل إلى أعلى بعيداً عن الغرفة، بدأت تتنفس بارتياح  
وتعود إلى حياتها.. وأخذت تتكلم بهمسات سريعة لا تنتهى.

"شكراً لك، شكراً لك يا حبيبى.. لكونك دائماً فى أحسن حالاتك..  
أنت دائماً محل الثقة والاعتماد أجل، إننى أعتمد عليك كثيراً".



لم يجد ما يفعله سوى الضحك وقال: "أمى قالت لى "يا بنى اعتن جيداً بأسرتك".

وبتعب أراح شعرها الأسود اللامع عن عنقه وأردف: "لقد تعبت أكثر من اللازم.. أحياناً أتمنى أن نكون فى نفس الظروف التى عشناها وقت أن تزوجنا.. بدون مسئوليات أو أى شىء إلا نفسينا.. وبدون أطفال بالطبع".

ضغطت يده بقوة بين يديها وبدا وجهها شاحباً للغاية وقالت: "أوه يا (ديفيد)، فى وقت من الأوقات كنا أنا وأنت فقط.. كان كل منا يحمى الآخر فقط، والآن نحمل الطفل أيضاً لكننا لا نحصل على أية حماية منه.. هل تفهمتى يا حبيبى؟!، فبينما كنت راقدة فى المستشفى كان لدى الوقت لأفكر فى الكثير من الأشياء.. مثلاً نحن نعيش فى عالم شرير..". فقال لها زوجها: "هل تعتقدين ذلك؟".

"نعم هو كذلك.. غير أن القوانين توفر لنا الحماية المطلوبة.. وعندما لا توجد قوانين فإن الحب هو الذى يقوم بحمايتنا.. فحبى لك يحميك من أى ضرر يأتىك من ناحيتى.. فأنت ضعيف أمامى وسريع التأثر بى من دون كل الناس، ولكن الحب هو الذى يحميك.. وأنا لا أشعر بأى خوف من ناحيتك، لأن الحب يخمّد كل مضايقاتك ودوافعك غير الطبيعية وأيضاً أية كراهية أو تفاهات أو تصرفات غير ناضجة.. ولكن ماذا بشأن الطفل؟.. إنه أصغر من أن يعرف الحب أو قانون الحب أو أى شىء حتى نعلمه له.. وفى غضون ذلك فإننا نكون سريعى التأثر به".

ضحك بسعادة وهو يكرر ما قالت: "سريعى التائر به".

سأله قائلة: "هل يعرف الطفل الفرق بين الصواب والخطأ؟".

"لا، ولكنه سوف يتعلم مع الوقت".

قالت: "ولكن الطفل غرض للغاية ولا يعرف أية أخلاقيات أو مسؤوليات كما أنه لا معنى للضمير عنده" .. وتوقفت وأبعدت ذراعيها عنه واستدارت مسرعة قائلة: "ما هذه الضوضاء؟ هل سمعت شيئاً؟".

نظر (ليبر) فى أرجاء الغرفة وغمغم: "لم أسمع..".

حدقت فى باب المكتبة وقالت بهدوء: "شئ ما هناك".

عبر (ليبر) الغرفة وفتح الباب وأثار ضوء المكتبة ثم أطفأه وقال: "لا يوجد شئ هنا"، وعاد إليها وأردف: "إنك منهكة للغاية، هيا بنا فوراً إلى السرير لننام ونرتاح".

أطفأ الأنوار معاً وتحركا ببطء إلى أعلى سلالم القاعة الساكنة صامتين.. وعند قمة السلالم اعتذرت له بقولها: "لقد تكلمت ببعض كلمات جافة، يا حبيبى سامحنى.. أنا مرهقة للغاية".

فهم ما تقصده وقال ما يعبر عن ذلك:

تمهلت قليلاً أمام باب حجرة الطفل وهى لا تدري ما تريده.. ثم لفت المقبض النحاسى بقوة ودلفت إلى داخل الحجرة.. ولا حظها وهى تقترب من مهد الطفل يحذر شديد وتتنظر إليه ثم تبيس جسمها كما لو أنها رأت شيئاً عجباً صدمها وصاحت: "(ديفيد)!".

خطا (ليبر) مسرعاً إلى الأمام ووصل إلى المهد.. ووجد أن وجه  
الطفل أحمر قان ورطب للغاية.. وفمه الوردى الصغير ينفتح وينقفل..  
من الحمى.. عيناه محتدمتان ويداه مرفوعتان فى الهواء..

قال (ديفيد): "يا..! لقد كان يصرخ منذ بعض الوقت".

أمسكت (أليس ليبر) بأعمدة المهد لتوازن نفسها وقالت: "أهذا ما  
حدث؟.. أنا لم أسمعه".

ذلك لأن الباب كان مقفلاً.

"هل هذا هو سبب تنفسه بصعوبة هكذا؟.. ولماذا وجهه أحمر  
بهذا الشكل؟".

"نعم، هذا طبيعى، فالطفل المسكين صغير جداً وهو يبكى وحيداً  
فى الظلام.. ولذلك يجب أن ينام فى حجرتنا الليلة تحسباً لأى صراخ  
يصدر منه".

قالت زوجته: "إنك سوف تفسده بالتدليل الزائد".

تابعت (أليس ليبر) زوجها بنظراتها وهو ينقل المهد إلى حجرتهما..  
ثم خلع ملابسه فى صمت وجلس على حافة السرير.. وفجأة رفع رأسه،  
وقال مؤكداً بصوت هامس وهو يضم قبضته: "اللجنة!.. لقد نسيت أن  
أخبرك أنه على أن أطيّر إلى شيكاغو يوم الجمعة القادم".

قالت: "آه يا (ديفيد)" ثم تبدد صوتها فى أرجاء الغرفة.



إننى أخرت هذه الرحلة لمدة شهرين.. والآن لم يعد أمامى سوى الذهاب".

ولكننى أخشى من بقائى هنا فى المنزل بمفردى".

"سوف تحضر إلينا الطاهية الجديدة من يوم الجمعة القادم، وستبقى معك طوال فترة غيابى.. ولا تنس أننى سوف أتغيب لبضعة أيام فقط".

"ومع ذلك فأنا خائفة ولا أدري من ماذا.. ولعلك لن تصدقنى إذا قلت لك إننى أعتقد أننى قد جئت!".

بعد قليل تمدد على السرير.. وأطفأت هى نور الغرفة، وسمعها وهى تقترب من سريرها وترفع الغطاء وتنسل بجانبه على السرير.. وشم رائحتها الأنثوية الدافئة بجواره.. فقال لها: "إذا أردت أن أنتظر بضعة أيام أخرى فلعله من الممكن أن...".

قالت بشيء من الشك: "لا.. اذهب لتأدية عملك، فأنا أعرف مدى أهمية ذلك.. كل الأمر أننى أفكر كثيراً جداً فيما قلته لك.. قوانين الحب والحماية.. فالحب يحميك منى، ولكن الطفل.. وأخذت نفساً عميقاً وواصلت: "ما الذى يحميك منه يا (ديفيد)؟".

وقبل أن يجيب أو يخبرها كم هى واهمة عندما تفكر فى تلك الأفكار الواهية بشأن الأطفال الصغار والتى ليس لها أساس: أطفأ فجأة النور الموجود بجوار السرير.

قالت له وهي تشير إلى شيء ما: "انظرا".

كان الطفل مستيقظاً تماماً في مهده ومحددًا مباشرة بعينين زرقاوين حادتين.. فأضاء النور مرة أخرى.. واندفعت إلى حضنه وهي ترتعد.. فقال لها: "لا يصح أن تخافى من الطفل الذى ولدته من بطنك".

ضعفت همساتها وأصبحت أكثر حدة وقوة وسرعة وقالت: "لقد حاول قتلى!.. فبينما يرقد هناك فإنه ينصت إلى كلامنا، وهو الآن ينتظر أن تذهب لكى يحاول قتلى من جديد!.. أقسم لك على ذلك!.. ثم انخرطت فى البكاء الشديد.

ظل يقول وهو يهدئها: "من فضلك.. توقفى عن ذلك.. توقفى عن ذلك.. من فضلك".

أخذت تبكى فى الظلام لمدة طويلة.. وأخيراً استرخت وهي ترتجف فى حضنه.. وهدأ نفسها وانتظمت.. واختلج جسعها برود فعلها المنهكة، ثم خلدت إلى النوم.. أما هو فنحس قليلاً.. وقبل أن تتقل عيناه وتدفعه إلى تيارات مد وجزر أعمق وأعمق.. سمع صوتاً قصيراً غريباً ينم على وجود أو يقظة شيء ما فى الحجرة.. صوت شفتين غضبتين طريتين رطبتين صغيرتين.. إنه الطفل!.. ثم راح فى نوم عميق.

وفى الصباح، أشرق الشمس واتقدت.. وابتسمت (أليس).. ودلى (ديفيد ليبر) ساعته على مهد الطفل وقال له مداعباً: "انظر يا صغيرى.. هذه شيء لامع.. هذا شيء جميل.. طبعاً.. طبعاً.. شيء لامع وجميل".

ابتسمت (آليس).. وطلبت منه أن يسير قدماً ويطير إلى (شيكاغو)..  
وسوف تكون هى غاية فى الشجاعة، وليس هناك أى داع لقلقه..  
سوف ترعى الطفل جيداً.. نعم، سوف ترعاه كما يجب.

اتجهت الطائرة شرقاً.. وشقت طريقها وسط السماء الواسعة  
والشمس المتقدة والسحب الكثيفة.. و(شيكاغو) تجرى أمامها بسرعة  
على الأفق البعيد.. وفى ذلك الوقت كان (ديفيد) منغمساً فى الطلبات  
والتخطيطات والمآدب وإجراء المحادثات الهاتفية والجدال مع من  
يحضرون مؤتمراته.. لكنه كان يكتب خطابات كل يوم ويرسل برقيات  
إلى (آليس) والطفل.

وفى مساء اليوم السادس، تلقى وهو بعيد عن منزله مكالمة هاتفية  
خارجية من (لوس أنجلوس) "(آليس؟)".. "لا يا (ديف)، أنا (جيفرز)  
أتكلم معك.." "الدكتور!"

تماسك يا بنى.. (آليس) مريضة.. الأفضل أن تتركب أول طائرة  
قادمة إلى هنا.. إنها مصابة بالتهاب رئوى، وسوف أفعل كل ما أستطيع  
لها يا بنى.. والمشكلة أنها مرضت بعد ولادة الطفل مباشرة.. إنها  
تحتاج إلى قوة وعافية..

وضع (ليبر) السماعة فى مكانها.. نهض وهو لا يشعر بقدميه  
ولا يديه ولا جسمه كله.. ورأى حجرة الفندق ضبابية ومشتتة وغمغم  
فى ذهول وهو يتجه ناحية الباب:  
"(آليس).."



دارت محركات الطائرة، التي سرعان ما أقلعت ثم هبطت، وشعر بأنه ترك وراءه الزمان والمكان.. وأحس (ديفيد) بمقبض الباب يدور في يده، وبأرض حقيقية تحت قدميه.. وحوله تنساب جدران حجرة النوم.. وفي ضوء الشمس وقت العصارى وقف الدكتور (جيفرز) واستدار من النافذة، بينما كانت (آليس) تنتظر في سريرها الذي يبدو وكأنه منحوت في كتلة من جليد الشتاء.. وأخذ الدكتور (جيفرز) يتكلم ويتكلم باستمرار ولطف، وصوته يرتفع وينخفض في ضوء المصباح الخافت، حتى يكاد يصل إلى همهمة.

"زوجتك أم صالحة فعلاً يا (ديف).. كانت قلقة على الطفل أكثر من قلقها على نفسها...".

كان ثمة شيء ما في وجه (آليس) الشاحب.. تقلص مفاجيء لم يلبث أن هدا قبل أن يدركه أحد.. ثم بدأت تتكلم ببطء وعلى شفيتها نصف ابتسامة، تكلمت كأُم عن هذا الأمر وذاك.. بكل التفاصيل الدقيقة.. كأنها تقدم تقريراً ساعة بساعة، ودقيقة بدقيقة كأُم مهتمة بصندوق لعب طفلها ودماءه وبكل تفاصيل حياته.. لكنها لم تستطع أن تتوقف.. وتغير صوتها إلى غضب وخوف ورد فعل طفيف، لكن ذلك لم يغير من التعبير المرتسم على وجه الدكتور (جيفرز).. ولكنه سارع من ضربات قلب (ديفيد) بقدر سرعة إيقاع هذا الكلام الذي لا يتوقف.

"الطفل لا ينام أبداً.. وأنا اعتقدت أنه مريض.. إنه يتمدد في مهده ويحدق فيك ثم يبكي في أواخر الليل بصوت عال.. يبكي ويبكي طوال الليل وكل ليلة.. لم أستطع تهدئته قط، وفي نفس الوقت لم أسترح قط".

أوما الدكتور (جيفرز) برأسه قليلاً وقال: "لقد قاست من التهاب  
الرئة كثيراً.. لكنها أخذت الكثير جداً من السلفا وأصبحت الآن في  
الجانب الآمن من هذا المرض اللعين".

شعر (ديف) بالغثيان، وقال: "وماذا بشأن الطفل؟".  
"هو بصحة جيدة وحالته عموماً بخير وعلى ما يرام".  
شكراً لك يا دكتور".

انصرف الطبيب وهبط على الدرج وفتح الباب الأمامي قليلاً واختفى.  
"(ديفيد)!".. وعلى الفور استدار لهمستها الملتاعة، قبضت على يده  
بقوة وقالت: "إنه الطفل مرة أخرى.. إننى أحاول خداع نفسى وأقول  
إننى حمقاء.. غير أن الطفل عرف منذ أن كنا فى المستشفى أننى  
ضعيفة، ولذلك فهو يبكى طوال الليل وكل ليلة.. وعندما لا يبكى تجده  
هادئاً للغاية!.. وكنت متأكدة أنني إذا أضأت نور الحجرة فى الليل  
فسوف أجده هنا يحدق فى!".

شعر (ديفيد) بأن جسمه يلتف حول نفسه.. وتذكر رؤية الطفل  
والإحساس بوجوده مستيقظاً فى الظلام.. مستيقظاً فى آخر الليل  
فى الوقت الذى يجب أن يكون فيه كل الأطفال نائمين.. مستيقظاً ولكنه  
لا يبكى بل يحدق من مهده.. لكنه سرعان ما نحى تلك الفكرة جانباً..  
فقد كانت فكرة مجنونة فعلاً!

واصلت (أليس) كلامها: كنت على وشك قتل الطفل.. نعم، هذا ما حدث.. بعدما ذهبت بيوم واحد فى رحلتك ذهبت إلى حجرته ووضعت يدى على رقبته ووقفت هناك لفترة طويلة أفكر وأنا خائفة.. ثم وضعت الأغشية على وجهه وأدرته على وجهه وضغطت عليه بقوة إلى أسفل.. ثم تركته هكذا وركضت خارجة من الغرفة.

حاول أن يوقفها عن الكلام لكنها استمرت تتكلم بصوت مبحوح وهى ناظرة إلى الجدار: "لا، دعنى أكمل.. عندما تركت حجرته فكرت أن الأمر بسيط.. فالأطفال يختنقون كل يوم، ولن يعرف أحد شيئاً.. ولكن عندما عدت لكى أراه ميتاً، وجدته حياً يا (ديفيد)!! نعم، حياً وراقداً على ظهره يبتسم ويتنفس!.. لم أستطع أن ألمسه بعد ذلك.. تركته هناك ولم أعد إليه حتى لإرضاعه أو النظر إليه أو لأى أمر آخر.. لعل الطاهية قد ساعدته، لا أعرف بالضبط؟ كل ما أعرفه أن بكاءه جعلنى مستيقظة، وأخذت أفكر طول الليل وأسير من حجرة إلى أخرى.. والآن أنا مريضة كما ترى."

.. وكادت الآن أن تنتهى لكنها أردفت: "الطفل قابع هناك الآن ويفكر فى قتلى!.. هذا شئ واضح لأنه يدرك أنتى أعرف الكثير عنه.. أنا لا أحبه يا (ديفيد)، ومعنى ذلك أنه لا توجد حماية لكل منا من الآخر، ولن تتوفر تلك الحماية أبداً!.."

انتهت من كلامها.. وكانت منهارة من داخلها وأخيراً راحت فى سبات عميق.. ووقف (ديفيد ليبر) طويلاً بجوارها وهو غير قادر على الحركة..



كان دمه قد تجمد فى عروقه، ولم يكن بجسمه خلية واحدة تنبض بقوة.

فى الصباح التالى كان هناك شىء واحد عليه عمله.. وقد عمله فعلاً.. ذهب إلى مكتب الدكتور (جيفرز) وأخبره بالقصة كلها، وأنصت باهتمام إلى رده:

"دعنا نحل هذا الموضوع بهدوء يا بنى.. من الطبيعى أن تكره الأمهات أطفالهن أحياناً.. ونحن لدينا مسمى لهذه الحالة: (ازدواجية العاطفة).. أى القدرة على أن تكره بينما أنت فى الحقيقة تحب.. فالأحياء يكرهون بعضهم البعض كثيراً.. وحتى الأطفال يكرهون أمهاتهم".

قاطعه (ليبر): "لكننى لم أكره أمى قط".

"أنت بالطبع لن تعترف بذلك.. الناس لا يحبون الاعتراف بكره من يحبونهم".

"إذن (أليس) تكره طفلها، أليس كذلك؟".

"الأصح أن نقول إن هناك هاجساً يطاردها.. فهى تقدمت خطوة واحدة أكثر من مجرد ازدواجية العاطفة العادية أو الطبيعية.. لقد ولد هذا الطفل بعملية قيصرية أدخلته فى عالمنا ولكن فى نفس الوقت كادت تخرج (أليس) منه.. إنها تلوم الطفل على أنها كانت ستموت بسببه، وأيضاً على الالتهاب الرئوى.. إنها تسقط متاعبها على أقرب شىء قريب منها يمكن أن توجه إليه اللوم.. كلنا نفعل ذلك.. فنحن مثلاً نتعثر فى

أحد المقاعد ثم نكيل اللوم على الأثاث وليس على إهمالنا.. وعندما نضرب ضربة جولف خاطئة؛ نلوم حشيش الملعب أو المضرب أو حتى صناعة الكرة.. وحتى إذا كسدت تجارتنا؛ فإننا نلوم السلع نفسها أو الطقس أو حظنا، وهكذا.. كل ما أستطيع أن أقوله لك هو ما قلته من قبل.. يجب أن تحب (أليس).. هذا أفضل دواء فى العالم.. عليك باتباع أية طريقة تظهر لها بها حبك واهتمامك وبأمانها.. كما أن عليك إقناعها بكل الطرق أن الطفل برىء ومسالم ولا خطر منه أبداً.. واجعلها تشعر بأن الطفل يستحق أية مخاطرة.. وبعد فترة سوف تتعافى وتستقر حالتها وتنسى موضوع الموت وتبدأ فى حب طفلها من جديد.. أما إذا لم تتحسن حالتها خلال شهر قادم أو نحو ذلك، اتصل بى.. وعندئذ سوف أحدد لك طبيباً نفسياً جيداً.. والآن يمكنك الانصراف، ولكن بعد أن تتخلص من هذه النظرة اليائسة التى على وجهك".

عندما أقبل الصيف، بدأت الأمور تستقر وأصبحت أكثر سهولة.. وأغرق (ديفيد) نفسه فى عمله وتفاصيله الكثيرة.. غير أنه كان يوفر وقتاً طويلاً لزوجته، وهى بدورها كانت تخرج وتتزهز كثيرًا، وازدادت قوتها وعافيتها وأخذت تلعب من وقت لآخر لعبة تنس الريشة.. ونادراً ما كانت تنفجر غاضبة.. وبدأت كما لو أنها تخلصت من مخاوفها.

غير أنها فى منتصف إحدى الليالى.. عندما اجتاحت رياح صيفية دافئة وسريعة مفاجئة المنزل، واهتزت الأشجار مثل كثير من الدفوف الالامعة.. استيقظت (أليس) وهى ترتجف وارتمت بين ذراعى زوجها وجعلته يواسيها.. وسألها عما يقلقها.

قالت: "يوجد فى الحجرة شىء يراقبنا".

أضاء النور، ثم قال: "أنت تحلمين مرة أخرى يا عزيزتى.. ومع ذلك أنت أفضل بكثير من ذى قبل.. فأنت لم تتعرضى لمتاعب منذ فترة طويلة".

تنهدت وهو يطفى النور، وفجأة خلدت إلى النوم.. وظل يحضنها لمدة نصف ساعة وهو يفكر كم هى رائعة وغريبة فى نفس الوقت.

سمع باب حجرة النوم يفتح فتحة صغيرة.. لكن لم ير أحداً عند الباب.. ولم يكن هناك سبب لفتح الباب، خصوصاً وأن الريح قد خمدت تماماً.

انتظر قليلاً، وتمدد فى صمت وسط الظلام لحوالى ساعة.. ثم سمع بعيداً هناك أزيزاً مثل ذاك الذى يصدر عن نيزك صغير وهو يجتاز أجواز الفضاء السحيق.. وبدأ الطفل يبكى فى حجرته.

كان صوتاً خافتاً ووحيداً وسط النجوم فى السماء والظلام فى الحجرة وأنفاس زوجته النائمة بين ذراعيه والريح التى بدأت تهب من جديد بين الأشجار.. وعد (ليبر) فى سره حتى ١٠٠ ببطء.. ولكن البكاء استمر.

أبعد بحذر ذراعى (آليس) عن عنقه وانسل من الفراش ولبس خفية روب النوم وخرج بهدوء من الحجرة.. وظن أنه سوف يهبط إلى الطابق الأرضى ويحضر كوباً من اللبن الدافئ ويحضره إلى الطفل و...



فجأة اختفى الظلام الدامس من تحته.. وانزلت قدمه فى شىء  
ووجد نفسه يندفع إلى الأمام.. فقد انزلق على شىء طرى وأخذ يندفع  
إلى فراغ أو لا شىء.. وفرد ذراعيه أمامه وأمسك بهياج بالسياج.. وتوقف  
جسمه عن السقوط.. أمسك جيداً بالسياج وأخذ يسب ويلعن..

خشخش الشىء الطرى الذى انزلت قدمه عليه وأصدر صوتاً  
مكتوماً وهو يسقط بضع درجات على السلم.. ودق قلبه ودوت أذناه  
وأحس بغصة فى حلقه وشعر بقلبه يسقط فى حلقه!

لماذا يترك الناس الكسالى الأشياء ملقاة فى كل مكان من المنزل  
هكذا؟.. تحسس جيداً بأصابعه الشىء الذى سقط وكاد أن يوقعه رأساً  
على عقب على السلالم.. لكن سرعان ما تجمدت يده وتوقف تنفسه  
ودقات قلبه.. فالشىء الذى أمسكه بيده كان لعبة.. دمية قماشية كبيرة  
وثقيلة كان اشتراها كلعبة مضحكة.. للطفل!

أقلته (أليس) فى اليوم التالى إلى عمله بالسيارة.. وفى منتصف  
الطريق إلى قلب المدينة أبطأت السيارة واقتربت بها إلى الرصيف ثم  
أوقفتها.. والتفتت من على مقعدها ونظرت إلى زوجها وقالت له: "أريد أن  
أذهب بعيداً فى أجازة.. ولا أظن أن بوسعك الحصول على أجازة من  
عملك الآن يا عزيزى.. فإذا لم تتمكن من ذلك، أرجوك دعنى أقوم بها  
بمفردى.. ويمكننا استقدام شخص ما للعناية بالطفل، أنا متأكدة من  
ذلك.. لكن المهم أننى لابد أن أذهب بعيداً لبعض الوقت.. لقد اعتقدت

أننى تخلصت من هذا .. الإحساس .. لكننى لم أتخلص منه بعد .. لن أتحمل البقاء فى حجرة واحدة معه بعد الآن .. إنه ينظر إلى كما لو كان هو أيضاً يكرهنى .. لا أستطيع أن ألمسه بإصبعى .. وعموماً كل ما أعرفه أننى يجب أن أبتعد الآن لبعض الوقت قبل أن يحدث شىء ما .

خرج من السيارة من ناحيته هو ، ولف من حول السيارة ، وأشار إليها لكى تتحرك جانبياً ، ثم دخل مكانها . وقال : " الشىء الوحيد الذى عليك أن تفعله الآن هو زيارة طبيب نفسى جيد .. وإذا اقترح هو أن تقومى بأجازة ، حسناً ، لا بأس إذن .. ولكن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر .. فقد أصبحت أعانى من اضطراب فى بطنى طوال الوقت .. ثم أدار محرك السيارة وقال : " سوف أقود بقية المسافة " .

كان رأسها مطأطأ وتحاول أن تكبت دموعها .. ونظرت إلى أعلى عندما وصلا إلى مبنى المكتب .. وقالت له : " حسناً .. حدد موعداً مع الطبيب النفسى ، إننى سوف أذهب إلى أى شخص تريد يا (ديفيد) " .

قبلها وقال لها : " الآن أنت تتكلمين بعقل راشد .. هل يمكنك أن تقودى السيارة إلى المنزل ؟ " .

" بالطبع أيها الأحمق " .

" أراك عند العشاء إذن .. قودى بحذر " .

" ألسنت كذلك دائماً ؟ .. مع السلامة " .

وقف على الرصيف يراقبها وهى تبتعد عنه والرياح تتلاعب بشعرها الطويل الأسود اللامع .. وعندما صعد إلى أعلى بعد بضع دقائق ،

اتصل هاتفياً بالدكتور (جيفرز) ورتب معه موعداً مع طبيب أمراض نفسية وعصبية موثوق به.

انتهى يوم العمل بصعوبة.. وكان الضباب يلف كل شيء.. وخلال هذا الضباب كان يرى (أليس) باستمرار ضائعة وتنادى عليه.. لقد انتقل جزء كبير من مخاوفها إليه، بل إنها نجحت في إقناعه فعلاً بأن الطفل لم يكن طبيعياً من بعض النواحي.

أملى بعض الخطابات الطويلة المملة.. وراجع بعض شحنات البضائع الموجودة بالطابق السفلى.. وطرح بعض الأسئلة على مساعديه.. وهكذا استمرت عجلة العمل. وفي نهاية يوم العمل كان منهكاً تماماً وعلى رأسه وكان سعيداً للغاية لعودته إلى المنزل.

وفي طريقه إلى أسفل في المصعد تساءل: ترى ماذا يحدث لو أخبرت (أليس) بموضوع اللعبة - الدمية القماشية - التي انزلت عليها فوق السلم الليلة الماضية؟.. يا إلهي، ألن يؤخر ذلك تحسنها؟.. لا، لن أخبرها بشيء.. وعلى أي حال فالحوادث تحدث دائماً!..

كان بصيص من ضوء النهار مازال في السماء عندما ركب تاكسي ليعود إلى المنزل. وأمام المنزل دفع الأجرة إلى السائق، وسار ببطء إلى الممر الأسمنتي متجهاً إلى أعلى، مستمتعاً بالضوء الذي مازال ينطلق من السماء والأشجار. وبدت الواجهة السكنية للمنزل صامتة بشكل غير طبيعي وليس بها أحد.. ثم لم يلبث أن تذكر أن اليوم هو الخميس والخدم الذين كانوا يستأجرونهم من وقت إلى آخر انصرفوا مبكراً إلى منازلهم.



أخذ نفساً عميقاً من الهواء النقي، وصدح طائر خلف المنزل،  
وتحركت السيارات فى الشارع الشجرى الواسع فى آخر المربع  
السكنى.. ولف المفتاح فى قفل الباب، ودار المقبض بين أصابعه  
بيسر وسكون.

انفتح الباب وخطا إلى الداخل،.. وضع قبعته على المقعد مع حقيبته..  
وبدا يخلع سترته ثم نظر إلى أعلى.

تسلل ضوء الشمس فى آخر النهار إلى داخل بئر السلم من النافذة  
القريبة من سقف الصالة.. وفى المكان الذى لامس فيه ضوء الشمس  
الأرض كانت هناك بقعة مضيئة على الدمية القماشية الملقاة  
أسفل السلم.

لم يبد اهتمامه باللعبة، كان بمقدوره فقط أن ينظر - لا أن يتحرك -  
وينظر مرة أخرى إلى (أليس).. تعددت (أليس) فى وضع غريب متكومة  
فيه على نفسها وجسمها شاحب تماماً.. بأسفل السلم، مثل دمية منقوصة  
لا تريد أن يلعب بها أحد بعد ذلك.. كانت (أليس) ميتة!

بقى المنزل ساكناً وهادئاً.. باستثناء صوت دقات قلبه.. وهى ميتة  
أمامه.. أمسك رأسها بين يديه وتحسس أصابعها.. أمسك جسدها  
وحضنها.. لكنها لن تعود إلى الحياة أبداً.. إنها حتى لم تحاول أن تعيش..  
نطق اسمها بصوت عال مرات كثيرة.. وحاول من جديد أن يحتضنها  
ويربعث فيها بعض الدفء الذى فقدته.. لكن بلا جدوى..

وقف، ولعله أجرى مكالمة هاتفية.. فهو لا يتذكر ذلك.. ووجد نفسه فجأة في الطابق العلوى.. وفتح باب حجرة الطفل وخطا إلى الداخل ووجد في المهد وهو مشدوه.. كانت معدته متقلصة.. لم يستطع الرؤية جيداً.

كانت عينا الطفل مقفلتين، ولكن وجهه أحمر ورطب من كثرة العرق.. كما لو كان قد بكى طويلاً وبشدة. قال (ليبر) للطفل: "لقد ماتت.. لقد ماتت يا بنى".

ثم بدأ يضحك بصوت واه منخفض بشكل متواصل لفترة طويلة جداً حتى دخل الدكتور (جيفرز) من الظلام خارج المنزل ولطمه على وجهه أكثر من مرة لإخراجه من هذه الحالة الهستيرية.

أنس الأمر! وتماسك..

"دكتور! لقد تعثرت في دمية من قطع القماش، وسقطت من فوق الدرج. ومنذ عدة ليال، كدت أن أنزلق أنا أيضاً عليها. والآن...".

نظر إليه الطبيب متحيراً.

قال (ديف) فى غموض "دكتور، دكتور، حدث أمر عجيب للغاية. إذ إننى توصلت أخيراً إلى اسم أطلقه على الطفل".

لم يقل الطبيب شيئاً.

وضع (ليبر) رأسه من جديد، بين يديه المرتعدين. وأفصح عن الكلمات التي كانت تجول بخاطره "سوف أعمده"<sup>(٢)</sup> يوم الأحد القادم. أتعرف ما هو الاسم الذي سأطلقه عليه؟ سوف يكون اسمه "(لوسيفر)"<sup>(٣)</sup>.

كانت الساعة الحادية عشرة ليلاً. وكان الكثيرون من الناس الغرباء قد ترددوا على المنزل ثم ذهبوا. أخذين معهم العريضة (آليس).

جلس (ديفيد ليبر) بجانب الطبيب في حجرة المكتبة.

قال (ليبر) بثؤدة "آليس) لم تكن مجنونة. لقد كان لديها سبب قوى لتخاف من الطفل".

تنهد (جيفرز) قائلاً: "لا تتأثر بأفكارها الغريبة! إنها تلوم الطفل على مرضها، والآن أنت تحمله مسئولية موتها. تذكر أنها تعثرت في دمية من قطع القماش. لا يمكنك أن تدين الطفل على ذلك".

أتعنى (لوسيفر)؟

توقف عن إطلاق هذا الاسم على الطفل.

هز (ليبر) رأسه وقال: "سمعت (آليس) أصوات أشياء تتحرك في الردهات أثناء الليل. أتريد أن تعرف ما الذي كان يحدث هذه الأصوات

---

(٢) طقس مسيحي للمواود الجديد، حيث يعطى فيه اسماً. (المترجم).

(٣) أى الشيطان أو إبليس. (المترجم).



يا دكتور؟ لقد كان الطفل هو الذى يحدثها، تخيل طفلاً عمره أربعة شهور فقط، يتحرك فى الظلام، وينصت إلينا ونحن نتكلم، لا تفوته كلمة واحدة!.. تشبث بجانبى المقعد وأردف: ".. وإذا أضأت مصباح الحجرة - ويسبب حجمه البالغ الصغر - يمكنه أن يختبئ خلف قطع الأثاث أو الباب أو يلتصق بالجدار.. تحت مستوى النظر".

قال (جيفرز) "أريد منك أن تتوقف عن هذا".

"أرجوك دعنى أعبر عن أفكارى، وإلا جننت. عندما ذهبت إلى (شيكاجو)، من الذى دفع (أليس) إلى البقاء دائماً مستيقظة، مما أدى إلى إرهاقها وإصابتها بالالتهاب الرئوى. إنه الطفل! وعندما لم تمت، عندئذ حاول أن يقتلنى. لقد كان الأمر سهلاً، ترك دمىة فوق الدرج، والصراخ فى الليل، إلى أن ينزل والدك على الدرج إلى الطابق السفلى، ليبحث عن الحليب، فيتعثّر فى الدمىة، خدعة ساذجة، بيد أنها فعالة. لم تصبنى بأى أذى، بيد أنها قتلت (أليس)".

توقف (ديفيد ليبر) عن الحديث، لبرهة تكفيه لإشعال سيجارة واستطرد قائلاً: ".. كان يجب أن أدرك الأمر. وأضىء الأنوار فى منتصف الليل، وطوال ليال أخرى كثيرة، لأراقب الطفل وهو راقد فى فراشه، وعينائى مفتوحتان على اتساعهما. معظم الأطفال ينامون طوال الوقت. إلا هذا الطفل. إذ كان مستيقظاً دائماً، يفكر".

"الأطفال الصغار لا يفكرون".

لقد كان يظل مستيقظاً يفعل كل ما يستطيع فى حدود قدراته العقلية. ومع هذا، ماذا نعرف عن عقل الطفل؟ لقد كانت لديه كل الأسباب التى تجعله يكره (أليس)، إذ كانت تساورها الشكوك فيه، باعتباره - دون أدنى شك - طفلاً غير طبيعى. طفلاً مختلفاً بطريقة ما، ماذا تعرف عن الأطفال، يا دكتور؟ إنها الفكرة العامة بالتاكيد. وأنت تعلم يقيناً، كيف يقتل الأطفال أمهاتهم فى أثناء ولادتهم. لماذا؟ ربما يرجع السبب إلى شعورهم بالنقمة، لدفعهم إلى المجرى إلى هذا العالم المقيت الذى نعيش فيه؟.

انحنى بجسمه فى اتجاه الطبيب، وقال بإرهاق "إن الأمور كلها تتصل مع بعضها البعض. افترض أن قلة من الأطفال من بين كل الملايين الذين يولدون، كانت لديهم - أنياً - القدرة على الحركة والرؤية والسمع والتفكير، مثل العديد من الحيوانات والحشرات. إن الحشرات تولد ولديها المقدرة على الاكتفاء الذاتى وإعالة نفسها دون مساعدة الآخرين، ويمكن لمعظم الثدييات والطيور أن تتأقلم مع البيئة فى غضون عدة أسابيع، أما أطفال البشر فإنهم يستغرقون سنوات حتى يستطيعوا الكلام ويتعلموا أن يتقدموا متعثرين على أرجلهم الضعيفة..".

توقف لهنيهة ثم استطرد قائلاً: "... ولكن افترض أن طفلاً واحداً من بين بليون، كان مختلفاً؟ وأنه ولد بوعى كامل، فقد كان بمقدوره أن يفكر، غريزياً، ألا يعد هذا خدعة مثالية، وحيلة بارعة، لأى شىء يود الطفل أن يقوم به؟ فقد يتظاهر أن يكون عادياً، ضعيفاً، باكياً، غير مدرك لما حوله.

ویمجرد قدر ضئیل من بذل الطاقة، بمقدوره أن یزحف فی أرجاء المنزل المظلم، ینصت إلى كل ما یقال، وما أسهل علیه أن یضع العراقیل فی قمة الدرج أو أن یبکی طوال اللیل، حتی یهد التعب أمه وتصاب بالالتهاب الرئوی<sup>(٤)</sup>؛ یا له من أمر سهل، منذ الولادة، أن یكون الطفل بالغ القرب من أمه، إلى الحد أنه - بعد عدة مناورات متقنة منه، یصاب بالالتهاب البریتونی<sup>(٥)</sup>!

انتصب (جیفرز) على قدمیه وصاح "بالله عليك توقف! إن ما تقوله أمر مثير للاشمئزاز".

"أتعتقد أن ما أقوله أمر مثير للاشمئزاز، كم من الأمهات متن عند ولادة أطفالهن؟".

مخلوقات صغيرة غريبة جسمها مشرب بحمرة، لها عقول تعمل فی الظلمة اللعینة، وأفكارها لا تخطر على بالنا. عقول صغيرة بدائية، مفعمة بذكریات الحقد العنصری، والکراهية، والقسوة الفجة، وليس فیها من الأفكار إلا حفظ الذات؛ ویضمن حفظ الذات فی حالتنا هذه، التخلص من الأم، التی أدركت مدى الرعب الذی ولدته، إننی أسألك یا دكتور، من هو أكثر مخلوق أنانی فی العالم كله، أليس هو الطفل!

---

(٤) التهاب حاد بالرئة ینتج عن عدوی بجراثیم عدة، وتنقل العدوی بالزناذ المنطلق من الأنف والفم. (المترجم).

(٥) التهاب حاد بالغشاء البریتونی، الذی یبطن تجويف البطن ویحیط بأغلب الأعضاء الداخلية بالجسم. (المترجم).



قطب (جيفرز) جبينه وهز رأسه، فى يأس.

ألقي (ليبر) بسيجارتة فوق الأرضية بعصبية وقال: "إننى لا أدعى امتلاك الطفل لقوة خارقة. بل مجرد قوة تمكنه من الزحف قليلاً فى أرجاء المنزل، قبل عدة شهور من الخطة الموضوعة. بحيث يكون بمقدوره أن ينصت طوال الوقت، وأن يجهد بالبكاء فى الليل؛ إن هذا يكفى، بل لقد طفح الكيل".

قال (جيفرز) بلهجة تهكمية "إذا، أطلق على ما حدث جريمة قتل، ولكن يجب أن يكون ثمة دافع لكل جريمة قتل. فما هو دافع الطفل؟".

كان (ليبر) جاهزاً بالإجابة: "قل لى يا دكتور! هل هناك أى مخلوق أكثر من الطفل فى بطن أمه شعوراً بالسلام وراحة البال والطمأنينة والتحرر من القلق أو الانزعاج، وهناك من يغذيه، ويوفر له كل أسباب الراحة بحيث لا يتجشم أى عناء أو مشقة؟ إنه يطفو فى عالم عجيب رائع، هادئ سرمدى، يتوفر فيه الغذاء ويغلفه السكون، وفجأة، يطلب منه أن يترك مهجعه الدافئ، ويدفع قهراً لى يتركه شاغراً، ويكره عنوة على الخروج إلى عالم صاخب، لا يعتنى بأحد، بل معنى بمصلحته الذاتية. وحيث يطلب من الطفل أن يتحول إلى الاعتماد على نفسه، أن يصطاد حتى يأكل مما اصطاده، أن يبحث ويكد بعد أن اختفى ذلك الحب، الذى كان حقاً له لا يرقى إليه الشك، عليه أن يواجه الارتباك والفوضى، بدلاً من السكون الداخلى والسببات الواقى من العوامل الخارجية! واستاء الطفل من عالمه الجديد الكريه! استاء من الهواء البارد، والمساحات الهائلة، والبعد المبالغت عن الأشياء المألوفة.

وفى الشعيرات الدموية الدقيقة والخلايا العصبية بدماغ الطفل، كان الشيء الوحيد الذى أدركه هو حب الذات والكراهية، لأن التعويضة قد تحطمت بقسوة. من المسئول عن قدوم الطفل إلى هذا العالم الكريه؟ إنها الأم. وهكذا نجد الطفل الجديد، يشعر بالعداء والصفينة تجاه شخص ما، يكرهه بكل عقله اللاعقلانى، لقد ألفت به من بطنها إلى الخارج، كشخص غير مرغوب فيه. ولم يكن الأب أفضل حالاً، إذ إنه تخلص منه أيضاً! إنه مسئول بطريقته الخاصة!".

قاطعه (جيفرنز): إذا كان ما تقوله صحيحاً، إذا فإن كل امرأة فى هذا العالم، عليها أن تنظر إلى طفلها كشئ يوقع الخشية فى النفس، ويثير التساؤل والعجب.

ولم لا؟ أليس الطفل مثالياً فى "إثبات الغيبة"<sup>(٦)</sup>؟ كما يقوم بحمايته ألف سبب من الآراء الطبية المقنعة والمقبولة. وبكل التفسيرات الطبيعية لسلوك الطفل، يتضح أنه غير قادر على تدبير أموره وأنه غير مسئول عن تصرفاته. إن الطفل يولد كارهاً لكل ما حوله. وتسوء الأمور أكثر بدلاً من أن تتحسن. ففى البداية يلقي الطفل قدراً معيناً من الانتباه والحنان الأموى. ولكن الأمور تتغير مع مرور الزمن، وعندما يكون الطفل مازال رضيعاً، فإنه يكون بمقدوره أن يجعل والديه يقومان بأفعال حمقاء عندما يبكى أو يعطس، وقد يجعلانه إذا صدر عنه أى صوت. ويتتابع السنين،

---

(٦) تقديم بيانات لقاضى التحقيق، تثبت غياب المتهم عن مسرح الجريمة (المترجم).

يشعر الطفل بأنه يفقد هذه القوى الصغيرة بسرعة، وأنها لن تعود إليه أبداً، فلم لا يقتصر كل القوة التي يمكنه الحصول عليها؟ ويسعى إلى الحصول على مركز يتيح له كل هذه المزايا؟ وفي السنوات الأخيرة من طفولته، سيكون الوقت متأخراً للغاية، لكي يعبر عن كراهيته. إن الآن هو الوقت المناسب لكي يسرد ضربته..".

كان صوت (ليبر) بالغ الرقة ومنخفضاً للغاية.

"إن ابني الصغير الرضيع يرقد في مهده طوال الليالي، ووجهه مبلل ومضرج بالحمرة، ولا يكاد يلتقط أنفاسه من البكاء؟ كلا، بل من تسلق مهده ببطء، ومن الزحف لمسافات طويلة عبر أروقة المنزل المعتمة.

ابني الصغير الرضيع، إنتى أريد أن أقتله!".

عندئذ تأوله الطبيب كويماً من الماء وبعض أقراص الدواء المنوم.

قال الطبيب: "إنك لن تقتل أى شخص، بل سوف تستغرق في النوم لمدة أربعة وعشرين ساعة. سوف يغير النوم من الأفكار التي في ذهنك. خذ هذه الأقراص".

تناول (ليبر) الأقراص بقليل من الماء، واستسلم للطبيب لكي يقوده إلى أعلى الدرج، إلى حيث حجرة نومه، وشعر بأن شخصاً ما يضعه في الفراش، انتظر الطبيب حتى تأكد من أن (ليبر) قد راح في سبات عميق، ثم غادر المنزل.



كان (ليبر) وحيداً ينجرف - فى أحلامه - إلى أسفل باستمرار.  
وسمع صوتاً فتساءل بصوت واهن "ما هذا... ما هذا؟".

كان ثمة شيء يتحرك فى الردهة.

وعاد (ديفيد ليبر) إلى الاستغرق فى النوم.

فى الصباح الباكر لليوم التالى. قاد الدكتور (جيفرز) سيارته  
إلى منزل (ليبر). كان صباحاً صحواً ومشمساً، وكان على الدكتور  
(جيفرز) أن يأخذ (ليبر) فى سيارته إلى الريف، ليقضى بعض الوقت  
فى الاستجمام.

كان (ليبر) مازال يغط فى النوم، بحجرته بالدور العلوى، إذ كان  
الدكتور (جيفرز) قد أعطاه ما يكفى من نواء مهدئ، لكى يبقى مستغرقاً  
فى النوم، خمس عشرة ساعة على الأقل.

رن جرس الباب الخلفى ولكن لم يجب أحد. ربما كان الخدم غير  
موجودين.

ذهب (جيفرز) إلى الباب الأمامى، ووجده مفتوحاً، فدخل إلى  
الداخل. ووضع حقيبته - التى تحتوى على أدواته الطبية - فوق أقرب  
مقعد.

عندئذ لمح شيئاً ما أبيض اللون، يتحرك بعيداً عن مرمى بصره،  
عند قمة الدرج، مجرد صورة ذهنية عن حركة. وكان من الصعب على  
(جيفرز) أن يلحظها.

وكانت رائحة غاز في المنزل. هرع (جيفرز) إلى أعلى الدرج، وركض إلى حجرة نوم (ليبر)، الذي كان يرقد بلا حراك فوق الفراش، وكانت الحجرة معبقة برائحة الغاز، الذي كان يطلق صوتاً صغيراً حاداً كالهسهسة، من فوهة صغيرة من قاعدة جدار بالقرب من باب حجرة النوم. أغلقها (جيفرز) بسرعة، وفتح كل نوافذ الحجرة ثم اندفع إلى حيث جسم (ليبر) الممدد فوق الفراش.

كان الجسم بارداً، وكان قد فارقتة الحياة منذ عدة ساعات، سعل الطبيب بشدة، وأسرع خارجاً من حجرة النوم، وعيناه مبللتان بالدموع. لم يكن (ليبر) قد فتح الغاز بنفسه. إذ كان في سبات عميق بتأثير الدواء المهدئ، الذي أفقده الوعي لساعات طويلة، وجعله غير قادر على الحركة، ولم يكن ليستيقظ - بعد زوال تأثير المهدئ - إلا عند الظهيرة. واستبعد الطبيب شبهة الانتحار تماماً، إذ ليس ثمة احتمال - ولو ضئيلاً - بلجوء (ليبر) إلى الانتحار.

وقف (جيفرز) في الردهة لخمس دقائق، ثم اتجه إلى باب حجرة الطفل، فوجده مغلقاً، فتحه بسرعة، ودلف إلى الداخل حيث مهد الطفل. كان مهد الطفل فارغاً.

وقف (جيفرز) يترنح بجانب المهد لنصف دقيقة، ثم تفوه ببعض الألفاظ، ليس لشخص ما بالتحديد:

وفجأة انصفق باب حجرة الطفل بعنف. إنك لا تستطيع أن تعود إلى المهد حيث يتوفر الأمان. إنك لم تدخل في حساباتك إنصفاق الباب.

إن أمراً بسيطاً مثل إنغلاق الباب بقوة يمكن أن يفسد أفضل الخطط.  
سوف أجذك فى مكان ما بالمنزل مختبئاً، ولكنك تتظاهر بأنك فى مكان  
آخر.

بدا وكأن الطبيب مصاب بالدوار. وضع يده فوق رأسه وافتر ثغره  
عن ابتسامة باهتة وهمسة "إننى أتحدث الآن مثل (آليس) و(ديفيد).  
ولكنى لن أخاطر. إذ إننى لست واثقاً من أى شىء. إننى لن أخاطر أبداً".

هبط على الدرج إلى الدور السفلى، وفتح حقيبته الطبية الموضوعة  
فوق المقعد، وأخرج منها شيئاً ما، وأمسك به بين يديه.

عندئذ أحدث شىء ما حقيقياً هناك فى الردهة. شىء ما بالغ  
الضالة وشديد السكون. استدار (جيفرز) بسرعة.

قال الطبيب لنفسه: "لقد كان على أن أجرى عملية جراحية لتأتى  
إلى هذا العالم، والآن أعتقد أنه يمكننى إجراء عملية أخرى لأخرجك منه..".

وخطا عدة خطوات بطيئة وواثقة إلى الأمام، ثم إلى داخل الردهة،  
ورفع يده فى أشعة الشمس. وقال للطفل: "انظر يا صغيرى! إنه شىء  
متألق، شىء جميل!".

مبدع حاد!



## مَنْ عَلَيْهِ الدور ؟

كان ميدان البلدة كصورة هزلية صغيرة.. إذ كان الميدان يتسم بالعناصر الجديدة التالية: صندوق الحلوى لمنصة الموسيقى التي يقف أفرادها في ليالي الخميس والأحد يفجرون الموسيقى تفجيراً.. والمقاعد النحاسية البرونزية الأنيقة ذات المسحة الخضراء الجميلة وكلها ملتفة ومزخرفة.. والممرات المبلطة الزرقاء والوردية - الزرقاء مثل عيون النساء اللامعة حديثاً، والوردية مثل مفاتن النساء الدفينة - والأشجار المقلعة بالطريقة الفرنسية الجميلة على شكل صناديق القبعات.. كل المشاهد من نافذة فندقك تميزت بالخيال الجميل الذي لا يُصدق الذي يتوقعه المرء في أية فيلا فرنسية في التسعينيات من القرن العشرين. لكن لا، هذه هي المكسيك!.. وهذا ميدان في بلدة مكسيكية صغيرة.. وبها دار الأوبرا الرسمية (التي تُعرض فيها أفلام برسم دخول يبلغ ٢ بيزو<sup>(١)</sup>): مثل راسبوتين والإمبراطورة، المنزل الكبير، مدام كوري، علاقة حب، ماما تحب بابا).

---

(١) وحدة النقد في المكسيك ودول أخرى. (المترجم).

خرج (جوزيف) إلى الشرفة التي تغمرها الشمس الحارة في الصباح،  
وركع بجوار القضبان الحديدية، وأشار إلى الصندوق الصغير الموجود خلفه  
في الحمام، حيث كان الماء يتدفق وصاحت (مارى): "ما الذى تفعله؟".

غمغم: "أخذ صورة" .. وسألته مرة أخرى .. وأخذ صورة للنافذة  
المتحركة بالكاميرا ووقف ولف البكرة الموجودة داخل الكاميرا وأغمض  
عينيه ثم فتحهما وقال: "أنا أخذ صورة لميدان البلدة .. حسناً .. ألم يكن  
أولئك الرجال يصيحون طوال الليل؟ .. أنا لم أنم قبل الساعة الثانية  
والنصف صباحاً .. أكان علينا أن نصل أثناء وجود حفلة صاخبة  
في ملتقى الطرق هذه؟".

"لكن ما خططك التى جهزتها لهذا اليوم؟".

"سوف نذهب لنرى المومياوات".

قالت: "أوه، ما أجمل هذا" .. وساد بينهما صمت طويل.

دخل ووضع الكاميرا على منضدة وأشعل سيجارة لنفسه ..  
وقال: "سوف أذهب وأراها بمفردى لو كنت تمانعين فى ذلك".

قالت بصوت منخفض: "لا، سوف أذهب معك .. ولكننى أرغب فى  
أن ننسى الأمر كله .. إنها بلدة صغيرة رائعة حقاً".

صاح بعد أن لاحظ حركة ما بطرف عينيه: "انظرى!" .. وأسرع إلى  
الشرفة ووقف هناك والدخان يتصاعد من سيجارته، وكان قد نسيها بين  
أصابعه .. وأردف: "تعالى بسرعة يا (مارى)!".

قالت: "إننى أنشف جسمى".

قال وهو منبهـر وينظر إلى الشارع بأسفل: "تعالى بسرعة من فضلك".

كانت هناك حركة من خلفه ثم شم رائحة الصابون واللحم المبلل بالماء ومنشفة مبلولة ورائحة عطر نفاذ.. كانت (مارى) واقفة خلف كوعه وصاحت متبهة له: "ابق كما أنت بالضبط.. بحيث يمكننى أن أرى بدون أن أكشف نفسى فيرانى أحد.. أنا عريانة تقريباً.. ولكن ما هذا؟".

صاح فجأة: "انظرى!".

كان هناك موكب يسير بامتداد الشارع.. ويقوده رجل واحد يحمل على رأسه حمولة معينة.. ومن خلفه تسير نساء يرتدين ملابسهن الوطنية السوداء ويمضغن قشر البرتقال ثم يبصقنه على الرصيف.. وبجوارهن تماماً أطفالهن.. والرجال أمامهن.. وبعضهم يأكل قصب السكر، وينزع بأسنانه القشرة الخارجية للقصب حتى ينزعها تماماً فى شرائح طويلة للوصول إلى القلب السكرى اللذيذ المكتنز بالعصير الذى يمكنهم أن يمصوه.. وكان يبلغ عددهم جميعاً خمسين شخصاً.

قالت (مارى) وهى ملتصقة بظهر (جوزيف): "جو".

لم تكن تلك حمولة عادية فوق رأس الرجل الذى يقود الموكب ويوازنها بمهارة كما لو كانت ريشة دجاجة فوق رأسه.. وكان يغطيها



قطعة من قماش الساتان<sup>(٢)</sup> فضى اللون ولها حاشية فضية وورود فضية منتشرة عليها. وكان الرجل يمسكها بهدوء بيد سمراء واحدة، ويده الأخرى تتأرجح حرة بجانبه.

كان هذا المشهد فى حقيقته جنازة، والحمولة الصغيرة هى نعش لشخص توفى.. ونظر (جوزيف) إلى زوجته. كان لونها جذاباً كلون اللين الجميل الطازج.. واللون الوردى لـ.....

واختفى اللون الأحمر الوردى من البانيو.. فقد سحب قلبها كل الماء إلى فراغ خفى بداخلها.. وتشبثت بقوة بالباب الزجاجى وشاهدت المسافرين وهم ينصرفون وأيضاً وهم يأكلون الفاكهة.. وسمعتهم وهم يتكلمون برقة ويضحكون برقة.. ونسيت أنها عارية.

قال: "لقد ذهبت فتاة صغيرة أو فتى صغير إلى مكان أكثر سعادة".

"لكن إلى أين يأخذونها؟"

لم تفكر أن ذلك أمر غير عادى.. أى اختيارها للضمير الأنثوى.. وقد عرفت نفسها كجسم صغير ملفوف كنوع غير ناضج من الفاكهة.. والآن فى هذه اللحظة، كانت محمولة إلى أعلى التل وسط الظلام الدامس.. كالبذرة داخل الخوخة.. ساكنة وخائفة.. من لمسة الأب على مادة النعش من الخارج.. هادئة وساكنة وثابتة من الداخل.

---

(٢) نسيج ناعم كالحرير. (المترجم).

قال والسيجارة تدفع تياراً من الدخان عبر وجهه المريح:  
إلى المقبرة بالطبع.. فهذا هو المكان الذى لابد أن يأخذوها إليه.  
لا، ليس إلى المقبرة.

لا يوجد سوى مقبرة واحدة فى هذه البلدة.. وأنت تعرفين ذلك..  
وهم عادة يسرعون بها إلى هناك.. لعل تلك الفتاة الصغيرة ماتت منذ  
بضع ساعات فقط.  
بضع ساعات....

استدارت بشكل مضحك وهى عارية تماماً ولا يستر جسمها  
سوى منشفة فى يديها النشطتين المضطربتين.. تحركت باتجاه السرير  
وقال: "منذ بضع ساعات كانت على قيد الحياة والآن....".

واصل كلامه: "الآن هم يسرعون بها إلى أعلى التل.. فالطقس  
لا يرحم الموتى.. إن الجو حار ولا يوجد تحنيط للموتى.. وعليهم أن  
ينتهوا من هذا الأمر بسرعة.

قالت بصوت حالم: "ولكن هذه المقبرة مكان رهيب".

قال: آه، نعم.. فيها موميאות.. لكن لا تجعلى ذلك الأمر يزعجك.  
جلست على السرير.. ومسحت براحة يدها على المنشفة الموجودة  
على حجرها.. وكانت عيناها فاقدتى الإحساس كحلمتى صدرها  
السمراوين.. إنها لم تره ولم تر الحجرة.. وكانت تعرف أنه لو طقطق  
أصابعه أو سعل، فإنها لن تنظر إليه.

قالت: "كانوا يأكلون الفاكهة فى جنازتها وهم يضحكون".

"لا تنسى أن الصعود إلى المقبرة يستغرق وقتاً طويلاً".

هزت كتفها بحركة متشنجة، كسمكة تريد أن تخلص نفسها من خطاف سنارة ابتلعه فى بطنها. تمددت على السرير ونظر إليها كمن يتفحص تمثالاً غريباً.. كانت ساكنة وهادئة ولا مبالية بأى شىء.. وتساءلت عن دور يديه فى اتساع واستواء وانحناءات جسدها.. بلا شك أن هذا الجسم ليس ما بدأ به.. لم يعد ممكناً حفظه الآن.. مثل الصلصال الذى شيعه المثال بالماء بلا مبالاة، بحيث أصبح من المستحيل تشكيله من جديد.. فلكى تشكل الصلصال عليك أن تدفنه بيدك لتبخر رطوبته بالحرارة.. لكن لم يكن بينهم المزيد من ذلك الطقس الصيفى الرائع.. لم يكن هناك دفء لإزالة الرطوبة الكامنة التى تراكمت وجعلت ثدييها متدليين وكذا جسمها كله.. وعندما تتبدد الحرارة، فمن العجيب أن ترى كيف تخزن الأوعية الدموية بسرعة الماء ذاتى التدمير فى خلاياها.

قالت وهى ممتدة هناك تفكر فى الموقف: "أنا أشعر بأننى لست بخير.. لا أشعر بخير".. ثم لم تبد أى رد فعل آخر.. وبعد دقيقة أو اثنتين رفعت نفسها وقالت: "دعنا لا نبقى هنا الليلة أخرى يا (جو)".

"لكن هذه بلدة رائعة، أليس كذلك؟".

"بلى يا حبيبى، ولكننا رأينا كل شىء فيها".



ونتهضت وكانت تعرف ما سيحدث بعد ذلك.. الفرحة والسعادة والتشجيع والمرح، كل ما هو زائف وموَّح بالأمل. وأردفت: "يمكننا أن نذهب إلى (باتركوارو) بسرعة كبيرة.. وإن تحتاج لتجهيز لوازمك وملابسك، لأننى سوف أفعل كل ذلك بنفسى يا حبيبى!.. ويمكننا الحصول على غرفة فى (دون بوسادا) هناك.. إنهم يقولون إنها بلدة صغيرة رائعة و....".

قال معلقاً: "وهذه أيضاً بلدة صغيرة رائعة".

"ألا تعرف أن النباتات المتسلقة تغطى المباني كلها هناك؟".

قال وهو يشير إلى بعض الزهور بالنافذة: "وهذه أيضاً نباتات متسلقة".

ردت بسرعة كبيرة: "كما أننا نستطيع صيد السمك هناك.. وأنت تحب صيد السمك.. وأنا سأصيد كذلك، يمكننى أن أتعلم، نعم، سأفعل ذلك.. لطالما أردت أن أتعلم صيد السمك!.. ثم إنهم يقولون إن الهنود التراسكانيين<sup>(٣)</sup> هناك يشبهون المنغوليين فى مظهرهم.. ولا يتكلمون الكثير من الإسبانية.. ومن هناك نستطيع التوجه إلى (باريكوتين) القريبة من (أورابان)، إذ لديهم بعض من أجمل صناديق الخمور.. ياه!، إننا سنستمتع هناك يا (جو).. سوف أحزم أمتعتنا، وعليك فقط أن تسترخى وتأخذ الأمور ببساطة و....".

---

(٣) شعب كان يستوطن المكسيك منذ أوائل القرن الرابع عشر. (المترجم).

قال: "(مارى)؟".

فأجابت: "نعم، يا عزيزى".

"لقد ظننت أنك قلت إنك لست على خير حال؟".

"إننى بالفعل لم أكن على ما يرام، ومازلت أشعر إننى لست بخير حال، ولكن التفكير فى كل تلك الأماكن الرائعة....".

قال شارحاً بالمنطق: "إننا لم تر عشر تلك البلدة بعد.. هناك تمثال (موريلوس) على التل.. أريد أن أخذ صورة لنا هناك.. وهناك أيضاً فى آخر ذلك الشارع المباني الفرنسية.. لقد سافرنا لأكثر من ثلاثمائة ميل ولم نقض هنا سوى يوم واحد، والآن أنت تريد أن نندفع إلى مكان آخر.. لقد دفعت بالفعل أجرة ليلة أخرى و...".

"يمكنك استرداد أجرة المبيت إن أردت، أليس كذلك؟".

قال وهو ينظر إليها ببساطة وتمعن: "ولكن لماذا تريد الفرار هكذا؟.. ألا تحبين تلك البلدة؟".

أجابت وهى تبتسم: "حسناً.. إذن نبقى يوماً آخر.. ولكنك سوف تستمتع هناك حقاً.. هذا أكيد و...".

حاولت الاستطراد فسألها: "ماذا هناك بعد؟". فقالت: "لا شيء".

أغلقت باب الحمام.. وفى الحمام فتحت بجلبية صندوقاً طبياً.. وسمع صوت الماء وهو ينهمر فى كأس للشرب.. كانت تأخذ شيئاً لتريح

معدتها المضطربة.. واقترب من باب الحمام وقال: "(مارى).. أعتقد أن المومياوات لا تقلقك.. أليس كذلك؟".

قالت: "بلى.. يا حبيبى".

"إذن هي الجنازة؟" .. فغمغت قائلة: "لا".

"لأنك إذا كنت خائفة حقاً، فسوف أضع أمتعتنا في الحقائب في لحظة واحدة.. أنت تعرفين ذلك بالطبع يا حبيبتي" .. وانتظر قليلاً.. حتى أجابت: "لا، لست خائفة بالمرة".

"حسناً جداً.. هذا أفضل كثيراً، إنك فتاة رائعة".

كانت المقبرة محاطة بجدار من الطوب النى السميك، وفي أركانها الأربعة توجد تماثيل صغيرة لملائكة ذات أجنحة حجرية، ورؤوسها متسخة ومغطاة بفضلات الطيور.. وأيديها تمسك بتعويذات حجرية ووجوهها مغطاة بنمش واضح للغاية.

وفي أشعة الشمس الرقيقة الدافئة، المتدفقة كنهر بدون عمق وبدون مد وجزر.. صعد (جوزيف) و(مارى) التل وظلاهما يبدوان بلون أزرق وراءهما.. ساعد كل منهما الآخر حتى وصلا إلى بوابة المقبرة وفتحا بوابتها الزرقاء التى على الطراز الإسباني ذات القضبان الحديدية ودخلا. مرت عدة أيام منذ الاحتفال بعيد (يوم الموتى)<sup>(٤)</sup> وما زالت الأشرطة

---

(٤) احتفال سنوى بالمكسيك يتم يوم الأول من نوفمبر، تجتمع فيه الأسر ويلتقى الأصدقاء، للصلاة على أرواح الموتى (المترجم).



الزيتية والخيوط المنسلة من الأقمشة وأشرطة الكاسيت اللامعة عالقة، مثل الشعر المجنون على الأحجار المرتفعة وعلى الصلبان المنحوتة بشكل أيد والمصقولة بالحب، وعلى المقابر التي فوق سطح الأرض والتي تشبه صناديق رخامية للجواهر.

وهناك تماثيل متجمدة فى أوضاع ملانكية فوق تلال من الحصى، وأحجار منحوتة بأشكال جميلة بطول الإنسان وملائكة متناثرة على طول حوافها.. ومقابر كبيرة فى حجم السرر العجيبة موضوعة، بحيث تنشف تحت أشعة الشمس بعد أية حادثة ليلية، وداخل الجدران الأربعة للمقبرة، توجد نعوش مولجة داخل فتحات وشقوق ومحاطة بجدران ومثبتة بألوح رخامية وجصية، ومنقوش عليها أسماء الموتى وفوقها معلقة صور صغيرة وصور جانبية معلقة على شكل عملات نقدية، للموتى. وفوق الصور المختلفة كانت حلقات وتحف صغيرة، مثبتة بدبابيس رسم إبهامية، كانوا يحيونها فى حياتهم.. مثل تعويذات فضية وأذرع فضية، وسيقان وأجسام وأكواب فضية وكلاب فضية وميداليات كنيسة فضية وقطع من قماش الكريب الأحمر الرقيق والأوشحة الزرقاء. وفى بعض الأماكن كانت توجد شرائح قصديرية مدهونة تبين قيام الموتى وصعودهم إلى السماء بأذرع ملائكة مصبوغة بالزيت.

نظروا إلى المقابر من جديد ورأوا بقايا الاحتفال بالموتى، كانت أقراص الشحم الحيوانى الصغيرة منتشرة على الأحجار بجوار شموع الاحتفال المضاءة.. وزهور الأوركيد الذابلة جائمة كعناكب أبو شيت

الحمراء المنسحقة على الأحجار اللبنية.. وبعضها يبدو مثيراً جنسياً للغاية أو رخواً أو ذابلأ.. وتناثرت حلقات أوراق الصبار وأعواد الخيزران والقصبات الطويلة ونباتات نجمة الصباح البرية الذابلة. كذلك كانت هناك دوائر من زهور الجاردينيا وأغصان جافة للنباتات المتسلقة؛ بدت كل أرضية المقبرة كقاعة رقص بعد حفلة راقصة صاخبة بعد أن انصرف كل المشاركون فيها.. المناضد في غير أماكنها الصحيحة، والنثار<sup>(٥)</sup> والشموع والأشرطة وأشياء كثيرة ملقاة في كل مكان.

وقف (جوزيف) و(ماري) وسط المقبرة الدافئة الساكنة.. وسط الأحجار وبين الجدران.. ويعيداً في أحد الأركان كان هناك رجل قصير - بارزة عظام وجنتيه أبيض اللون له ملامح إسبانية، يلبس نظارة سميكة وسترة سوداء وقبعة رمادية وسروالاً رمادياً غير مكوي وحذاء مربوطاً بأناقة - يتحرك بين الأحجار ويشرف على شيء ما يقوم به رجل آخر يرتدى بزة عمل ويحفر في المقبرة بجاروف.. وكان الرجل القصير الذي يرتدى نظارة يحمل تحت ذراعه اليسرى جريدة مطوية ثلاث طيات ويداه في جيبه. وأخيراً عندما رأى (جوزيف) و(ماري) يقتربان منه قال لهما: "مرحباً سيدي وسيدتي!"

سأله (جوزيف): "عفواً.. أليس هذا مكان المومياوات؟.. إنها توجد بالفعل.. أليس كذلك؟"

---

(٥) قصاصات صغيرة من ورق ملون تنثر خلال الاحتفالات. (المترجم).

قال الرجل: "بلى المومياوات.. إنها توجد هنا.. فى سرداب المقابر تحت الأرض".

"بالمناسبة، ألا تحب أن ترى المومياوات؟".

"بلى يا سيدى".

اعتذر (جوزيف) قائلاً: "إن إسبانييتى أنا وزوجتى ركيكة للغاية".

"لا، لا.. يا سيدى.. أنت تتحدث جيداً!.. هيا معى من هذا الاتجاه".

تقدم أمامهما بين الأحجار التى نبتت فيها الأزهار إلى مقبرة قريبة من ظل الجدار.. كانت مقبرة كبيرة مسطحة متحاذية مع الحصى والزلط، ولها باب لامع مسطح ومثبت بها قفل. كان القفل مفتوحاً.. وانفتح الباب الخشبي إلى الخلف محدثاً صريراً إلى أحد الجانبين.. وظهرت بالداخل حفرة بقلبها الداخلى المجوف سلالم تهبط حلزونياً إلى داخل الأرض.

وقبل أن يتحرك (جوزيف)، وضعت زوجته قدمها على السلمة الأولى، فقال لها زوجها: "انتظرى. أنا أولاً".

قالت بسرعة: "لا، لا بأس أن أتقدم أنا أولاً".. وهبطت إلى أسفل وهى تلف فى الحلزون المظلم حتى اختفت الأرض تماماً.. تقدمت بحذر لأن سلالم الدرج كانت ضيقة وتكفى بالكاد لقدمى طفل.. أصبح الظلام حالكاً، وسمعت وقع أقدام الحانوتى وهو يهبط وراءها.. وفجأة عاد الضوء من جديد.



وجدنا نفسيهما فى قاعة طويلة مبيضة بالجير على عمق سبعة أمتار تحت سطح الأرض، مضائة بنور خافت من بضع نوافذ صغيرة على النمط القوطى<sup>(٦)</sup> عالياً فى السقف المتكون من قناطر. كانت القاعة طولها حوالى ستة عشر متراً وتنتهى إلى اليسار بباب مزدوج مزود بألواح بلورية طويلة وعلامة ممنوع الدخول.. وفى الجانب الأيمن من القاعة توجد كومة كبيرة من قضبان بيضاء وأحجار بيضاء مدورة.

قال حارس المقبرة: "هذه للجنود الذين قاتلوا من أجل أبانا (موريلوس)"<sup>(٧)</sup>.

ساروا حتى الكومة الضخمة.. ووجدوها مرصوفة بأنفاق، عظمة فوق عظمة، مثل حطب المدفأة.. وعلى قممتها تل من آلاف الجماجم المتحجرة.

قالت (مارى): "إننى لا أعبأ بالجماجم والعظام.. إذ لا توجد فيها أية سمة بشرية.. وعموماً أنا لا أخاف من الجماجم والعظام.. إنها تشبه الحشرات أو شيئاً من هذا القبيل.. وإذا كبر أحد الأطفال وهو لا يعرف أن بجسمه هيكل عظمي، فلعله لا يعرف شيئاً عن العظام؟.. أليس كذلك؟.. هذا هو الحال معى.. هذه الأشياء لم يعد فيها أية صفات بشرية..

---

(٦) طراز من الفن، ساد فى القرون الوسطى. (المترجم).

(٧) (خوسيه مارييا موريلوس) (١٧٦٥-١٨١٥) قائد وكاهن مكسيكى تقلد الكثير من الوظائف الكنسية، وقدم العديد من الخدمات للفقراء. (المترجم).

لم يعد فيها شيء مألوف لنا ونخاف منه.. فأى شيء لكى يكون مرعباً  
يجب أن يتعرض إلى تغير ما نعرفه.. أما هذه العظام فلم تتغير قط..  
إنها مجرد هياكل عظمية، كما كانت دائماً.. الجزء الذى تغير ذهب،  
ولذا ليس فيها شيء نراه الآن.. أليس هذا رائعاً؟.

أوماً (جوزيف) برأسه موافقاً.

الآن أصبحت فى غاية الشجاعة.

وقالت: "حسنًا.. لنر الآن الموميאות".

قال الحارس: "من هنا يا سيدتى".

قادهما إلى مكان بالقاعة بعيداً عن كومة من العظام.. وعندما دفع  
(جوزيف) له بيزو واحداً فتح لهما الأبواب البلورية الممنوعة على  
مصاريعها ونظرا فوجدا بالداخل قاعة أخرى أكبر حجماً ذات إضاءة  
خافتة ويقف فيها أناس كثيرون.

كانوا ينتظرون داخل الباب فى صف طويل تحت سقوف ذى قباب..  
خمسة وخمسون منهم مسندون إلى الجدار الأيسر وخمسة وخمسون  
منهم مسندون إلى الجدار الأيمن، وخمسة منهم بعيدون فى آخر القاعة.

هتف (جوزيف) بصوت عال: "ما هذا أيها الخبير؟".

كانوا يشبهون لا شيء أكثر من مجموعة تماثيل صنعها مثال  
مجهول.. الإطارات السلكية والأوتار الصلصالية الأولى والعضلات وطبقة

رقيقة من الجلد.. كانت تماثيل غير مكتملة وعددها ١١٥ تمثالاً بالضبط..  
وجلدتها بلون الجلود الرقيقة التي تكتب عليها المخطوطات، والجلد  
مشدود من عظمة إلى أخرى كما لو كان يراد تجفيفه.. والأجسام كاملة،  
ولكن فقط سوائل الحياة تبخرت كلها منها.

قال الحارس: "هذا الطقس يحفظها كلها.. الجو جاف جداً هنا".

سأله (جوزيف): "منذ متى وكل هذه الأشياء هنا؟"

"نحو عام أو خمسة أعوام يا سيدي.. وربما عشرة أو سبعين عاماً..  
لا أدري بالضبط".

كانت هناك حالة من الارتباك سائدة بينهم.. ولو بدأت بالرجل الأول  
من اليمين لوجدته معلقاً على الحائط بخطاف وأسلان، ولن يسعدك  
منظره أبداً.. ثم تذهب إلى المرأة التي بعده والتي لا يمكن تصور حالتها  
المزرية.. ثم إلى رجل بشع المنظر مكفهر الوجه، ثم إلى امرأة حزينة جداً  
لأنها ميتة وموجودة في مثل هذا المكان البائس!

سأله (جوزيف): "ما الذي يفعلونه هنا؟"

"أقاربهم لم يدفعوا إيجار قبورهم بعد".

"عجباً، وهل هناك إيجار للقبور؟"

نعم يا سيدي.. ٢٠ بيزو كل سنة، وإذا أرادوا يمكنهم دفع ١٧٠ بيزو  
مرة واحدة للدفن الدائم.. ولكن قومنا أناس فقراء كما تعرف وبالطبع



فإن ١٧٠ بيزو مبلغ كبير جداً ومعظمهم يكسبونه فى عامين.. ولذلك فإنهم يحملون ميتهم إلى هنا ليدفن فى الأرض لمدة عام واحد ويدفعون مقابل ذلك عشرين بيزو، ويبدون رغبتهم فى الدفع عاماً بعد آخر.. ولكن ما يحدث أنه بعد عام يضطرون إلى شراء حمار أو إطعام طفل جديد يولد لهم أو ربما ثلاثة توائم مثلاً، وبالطبع فإن الميت لن يكون جائعاً أبداً كما أنه لن يُسفل محرأناً للأرض، أو تكون هناك زوجة جديدة أو سقف المنزل يحتاج إلى إصلاح، وبالطبع الميت لن يكون موجوداً فى الفراش مع المرء.. والميت كما تعلم لن يمنع المطر من الهطول على منزل المرء، وعلى ذلك وبالاختصار المفيد لا يجد الميت من يسدد إيجار دفته!"

وماذا يحدث عندئذ؟.. هل تصفين إلى يا (مارى)؟

انشغلت (مارى) بعد الجثث.. "واحدة، اثنان، ثلاث، أربع، خمس، ست، سبع، ثمانى.. ثم ردت عليه بهدوء: "ماذا؟"

"هل أنت تصفين إلى؟"

"أعتقد ذلك.. ماذا؟.. آه، نعم.. أنا مصفية تماماً".

ولكنها أردفت وهى مستمرة فى عد الجثث:

"تسع، عشر، إحدى عشرة، اثنتا عشرة، ثلاثة عشر".

قال الرجل القصير: "حسناً.. لقد استأجرت عاماً بعد انتهاء العام

الأول، وأخذ الرجل يحفر ويحفر ويحفر بجاروفه الصغير.. ترى كم تظن يا سيدى العمق الذى وصلنا بالحفر إليه؟"

ربما ست أقدام.. هذا هو العمق المعتاد."

"هاها، لا.. لا.. فى هذه النقطة يا سيدى أنت مخطئ تماماً.. فمن واقع معرفتنا عادة بأن إيجار الدفن لن يُدفع للميت بعد العام الأول، فإننا ندفن الميت الفقير على عمق قدمين فقط، فهذا يحتاج إلى جهد أقل، ولا شك أنك تفهمنى تماماً.. وبالطبع علينا أن نقيم جيداً حالة الأسرة التى لديها ميت هنا. وبعض الموتى ندفنه على عمق ثلاث أقدام وبعضهم أربع أقدام وأحياناً خمس وأحياناً ست تبعاً لمدى ثراء الأسرة، أو بتعبير آخر تبعاً لاحتمال أننا لن نضطر إلى الحفر لإخراجه من الحفرة المدفون فيها بعد عام. ودعنى أقل لك يا سيدى بصراحة إننا عندما ندفن الميت فى حفرة عمقها ست أقدام فإننا نكون متأكدين من بقاءه هناك على الدوام. ولم يحدث قط أننا حفرنا وأخرجنا ميتاً من حفرة عمقها ست أقدام.. وهكذا يتضح لسيادتك مدى دقتنا فى معرفة ثروة أهل الميت!"

وتحركت شفتا (مارى) فى همسات خافتة كمن تحدث نفسها  
"واحدة وعشرون، اثنتان وعشرون، ثلاث وعشرون."  
والجثث التى نحفر ونخرجها نضعها هنا مسندة إلى الجدار  
بجوار رفاقها كما ترى."

"وهل يعرف أهالى الموتى أن جثث موتاهم موجودة هنا؟"  
أشار الرجل القصير إليها وقال: "نعم.. خذ مثلاً هذا الرجل، هل تراه؟.. إنه جديد هنا، لم يمض عليه هنا إلا عام واحد.. وأمه وأبوه يعرفان أنه هنا.. لكن هل معهما مال؟.. آه، لا.. ليس معهما شئ."

“أليس ذلك شيئاً مروعاً بالنسبة إلى أبويه؟”

أجاب الرجل القصير بهمة ونشاط: “إنهما لا يعرفان شيئاً عن ذلك”.

“هل سمعت ذلك يا (مارى)؟”

قالت: “ماذا؟”.. وواصلت: “واحدة وثلاثون، اثنتان وثلاثون، ثلاث وثلاثون، أربع وأربعون”..

وأردفت: “نعم.. إنهما لا يعرفان شيئاً عن ذلك”.

سأل (جوزيف): “ولكن ماذا يحدث لو دفع الأهل الإيجار بعد فترة من التأخير؟”

قال حارس المقبرة: “فى ذلك الوقت، نعيد دفن الجثة لعدد من السنوات حسب المبلغ المدفوع”.

قال (جوزيف): “إن هذا يبدو لى كنوع من الابتزاز”.

هز الرجل القصير كتفيه وهو يضع يديه فى جيبه وقال: “ولكن لا تنس أننا يجب أن نعيش”.

قال (جوزيف): “أنت واثق تماماً أن أحداً لن يقدر على دفع ١٧٠ بيزو مرة واحدة.. وبهذه الطريقة تضطربهم إلى دفع ٢٠ بيزو عن كل عام، عاماً بعد آخر.. ربما لثلاثين عاماً.. وإذا توقفوا عن الدفع، تهددهم بأن يظل طفلهم الصغير واقفاً فى سرداب المقبرة تحت الأرض”.



قال الرجل القصير: "كما قلت لك، علينا أن نعيش".

واحدة وخمسون، اثنتان وخمسون، ثلاث وخمسون".

كانت (مارى) تعد الجثث وهى واقفة فى منتصف السرداب الطويل.. تعد الموتى الواقفين على كلا جانبيها.. ظهوروا وكأنهم جميعاً يصرخون.. وبدوا وكأنهم قفزوا وهبوا واقفين من قبورهم وأيديهم متخشبـة على صدورهم الزاوية المتغضنة وهم يصرخون.. فكوكهم مفتوحة على آخرها وألسنتهم بارزة إلى الخارج ومناخرهم منقوخة.. إنهم متجمدون وهم بهذه الكيفية.

كل منهم كان فاغراً فاه وهو يصرخ باستمرار.. كانوا ميتين ويعرفون ذلك.. فى كل أنسجتهم وعضلاتهم المهترئة وفى كل أعضائهم المتحللة كانوا يعرفون ذلك جيداً.

وقفت فى مكانها تنصت إلى صراخهم.. إن الناس يقولون إن الكلاب تسمع أصواتاً لا يسمعها البشر.. أصواتاً أعلى بعدة ديسيبلات<sup>(٨)</sup> عن معدل السماع العادى للإنسان لدرجة أنها تبدو غير موجودة أصلاً.

ملأت الصرخات كل أرجاء السرداب!.. كانت تتطلق من بين شفاه فاغرة، من فرط الرعب ومن ألسنة جفت تماماً.. صرخات لا يمكنك سماعها لأنها عالية جداً من شدة الرعب.

---

(٨) الديسيبل: وحدة قياس التفاوت بين شدتى صوتين. (المترجم)

تحرك (جوزيف) إلى جثة ما واقفة وقال لها: "قولى: أه!".

"خمس وخمسون، ست وخمسون" .. واصلت (مارى) العد وسط هذا الصراخ المروع.. وقال حارس المقبرة: "هنا جثة قد تثير اهتمامكما للغاية".

رأيا امرأة فاردة ذراعيها على رأسها، وفمها مفتوح لأقصى مدى وأسنانها سليمة وشعرها أشعث ومنتشر وطويل ويلمع على رأسها.. وعيناها كبيضتين صغيرتين لونهما أزرق شاحب مائل إلى البياض داخل جمجمتها.

"هذا يحدث أحياناً.. هذه المرأة كانت تعاني من حالة الإغماء التخشبى<sup>(٩)</sup>.. ذات يوم سقطت على الأرض ولكنها لم تكن ميتة، لأنه فى أعماق جسمها كان قلبها يدق ويدق.. لكنها دقائق خافتة لا يسمعها أحد.. ولذلك تم دفنها فى المقبرة باعتبار أنها ميتة داخل صندوق رخيص محكم و....".

قاطعه (جوزيف) قائلاً: "وهل كنت تعرف أنها تعاني من حالة الإغماء التخشبى؟".

"أخواتها كن يعرفن.. لكن هذه المرة اعتقدن فعلاً أنها ماتت أخيراً.. وكما تعرف فإن الجنازات تتم بسرعة فى هذه البلدة التى تنسم بارتفاع درجة الحرارة".

---

(٩) حالة تنسم بتصلب العضلات وتنتج عن أمراض جسدية ونفسية. (المترجم).

”هل تقصد أنها دفنت بعد ”موتها“ بساعات قليلة؟“.

”نعم بالضبط.. ورغم أن كل هذا حدث، فكما ترى لم نكن لنعرف قط ما حدث ما لم ترفض أخواتها بعد عام من الدفن دفع إيجار المقبرة، بسبب حاجتهن إلى شراء أشياء جديدة، وعلى ذلك حفرنا بهدوء وحررنا الصندوق ورفعناه وفتحنا غطاءه ووضعناه جانباً ونظرنا إليها و...“.

حدقت (مارى) فى لا شىء من هول ما سمعته.. لقد استيقظت هذه المرأة وهى تحت الأرض!.. ولا شك أنها أخذت تصرخ وتضرب غطاء الصندوق وتحرك يميناً ويساراً حتى خارت قواها تماماً وماتت من جراء الاختناق بعد أن نفذ هواء الصندوق.. ولذلك كانت يداها مفرودتين على وجهها بأكمله وفمها فاغر تماماً وعيناها جاحظتان وتطل منهما نظرة رهيبة مرعبة وشعرها جامع فى كل مكان.

قال الحارس: ”ربما يسرك يا سيدى أن تلاحظ الفرق بين يديها وأيدي الجثث الأخرى.. إن أصابعهم الوادعة ترقد على مؤخراتهم كزهرات صغيرة.. أما يداها هى.. آه، يا للعجب!.. فهما مرفوعتان إلى أعلى وهائجتان كما لو كانتا تضربان وتدقان بكل قوة على الغطاء اللعين لتفتحاه!“.

”آلا يمكن أن تتخشب أجساد الموتى هكذا بعد الموت؟“.

”صدقنى يا سيدى إن الميت الذى يتخشب عادة لا يدق على الغطاء هكذا.. وصراخ الميت المتخشب ليس هكذا، وهو لا يتلوى أو يصارع



غطاء الصندوق حتى تخرج أظافره من منبتها أو يحرك ألواح الصندوق تلمساً للهواء هكذا.. وصحيح أن أفواه كل الآخرين مفتوحة على مصراعيها.. نعم، ولكن ذلك فقط لأنهم لم يحققوا بسوائل التحنيط، وصرخاتهم يا سيدي صرخات بسيطة من عضلاتهم.. أما هذه المرأة هنا فقد ماتت مorte مروعة!..

سارت (مارى) وهى تجر قدميها جراً وتلتف مرة إلى هذه الناحية وأخرى إلى تلك.. لم يكن هناك سوى أجساد وجثث عارية.. منذ وقت طويل بليت الملابس التى تغطيها تماماً.. وأصبحت نهود النساء المكتنزات مثل كتل من العجين المتعفن المتروك فى العراء.. والأعضاء التناسلية للرجال انسحبت إلى الداخل وتحولت إلى ما يشبه نباتات أوركيد ذابلة.

قال (جوزيف): "أشعر بالاكئاب والذهول".

وجه آلة التصوير إلى رجلين يبدو أنهما كانا يتحدثان مع بعضهما بعضاً فماههما مفتوحان كما لو كانا فى منتصف كلامهما وأيديهما تشير إلى شيء ما وقد تيسرت أثناء حديثهما الطويل الأبدى.

فتح (جوزيف) غطاء فتحة التصوير بقرقعة ولف الفيلم وركز الكاميرا على جسم آخر وتك الغطاء مرة أخرى ولف الفيلم ثم سار إلى ميت آخر.

واحدة وثمانون، اثنتان وثمانون، ثلاث وثمانون.. الفكوك متهدلة والألسنة بارزة من الشفاه مثلما يفعل الأطفال عندما يسخرون من شخص ما،

والأعين شاحبة بقزحياتها بنية اللون فى محاجرها المتحجرة النازرة إلى  
أعلى.. شعرهم بلى تحت أشعة الشمس وأصبح مغطى بإفرازات شمعية  
والتصقت بعض خصلاته بشفاهم ووجناتهم وجفونهم وحواجبهم كعروق  
ريش طائر.. وثمة شعر قصير خارج من نقونهم وصدرهم وأعضائهم  
التناسلية.. لحومهم كجلود الطبل أو رقوق المخطوطات القديمة أو عجين  
خبز متيسر. المرأة كانت ضخمة ومتحلفة إلى شحم حيوانى سيئ المنظر  
أذابه الموت.. شعرهم الأشعث بدا كأعشاش طيور بنيت ثم هدمت ثم شيدت  
من جديد.. الأسنان كلها سليمة وكاملة فى فكوكهم المهترئة.

"ست وثمانون، سبع وثمانون".. ثم تحركت عينا (مارى) بسرعة  
بامتداد السرداب الطويل وهى تعد الجثث وتندفع بحماس ولا تتوقف  
قط.. هيا!.. بسرعة!.. "واحدة وتسعون، اثنتان وتسعون، ثلاث  
وتسعون!".. هنا كان يوجد رجل بطنه مفتوح كفجوة فى شجرة كنتاك  
التي ألقيت فيها خطابات حب وأنت طفل فى الحادية عشرة من عمرك!..  
وتسللت نظراتها فى الفتحة أو الفراغ الموجود تحت ضلوعه وألقت نظرة  
خاطفة.. بدا لها كما لو أن بالداخل عظمة بارزة.. لعلها من العمود  
الفقرى أو عظام الحوض.. والباقي كان عبارة عن أوتار عضلية وجلود  
رقيقة وعظام وعينين وفك ذى لحية وأذنين ومنخارين مهديلين.. وتوجد  
ندبة مشرشرة مطموسة بسرته وقد وضع فيها ملء ملعقة من عجينة ما..  
"سبع وتسعون، ثمان وتسعون!".. يا لها من أسماء وأماكن وتواريخ  
وأشياء مروعة!

هذه المرأة ماتت أثناء الولادة.. إذ كان طفلها الذى ولد قبل الأوان معلقاً بسلك من وسطها ومتدلياً كدمية صغيرة يبدو على وجهها تعبير عن الجوع!

وهذا كان جندياً.. برزته الرسمية مازال نصفها عليه و....

اصطدمت نظرات (مارى) بالجدار البعيد عقب تجولها يميناً ويساراً ويميناً ويساراً متنقلة من رعب إلى آخر، من جمجمة إلى أخرى، ومنطلقة من ضلع إلى آخر، تحقق فيما حولها فى حالة من الانشده كالمشلولة والمتومة مغناطيسياً.. رجال تحولوا إلى نساء بعد أن تبخرت عوراتهم الهزيلة، ونساء تحولن إلى خنازير ذات ضروع!

ازداد الارتداد المخيف لنظراتها من جراء مشاهد النهود المنتفخة والأفواه التى تهذى من جدار إلى آخر ثم من جدار إلى آخر مراراً وتكراراً ككرة يتقاذفها فريقان من مباراة رياضية مرعبة وأمسكت بها أسنان رهيبة ثم لفظتها مصحوية بصراخ مدو عبر السرداب الكئيب.. ثم أمسكت بها مخالب طويلة ودستها بين ثدييها!.. كان واضحاً أن مجموعة المنشدين الواقفين يغنون أغنية ما غير مفهومة بلا انقطاع.. ولعبة ارتداد البصر وانطلاقه ثم ارتداده مرة أخرى فى هذا الموكب المهيّب الذى لا يمكن تصوّره، بين مجموعة مروعة من الأهوال الواقفة بجوار الجدار.. وانتهت تلك النظرات أخيراً مرة واحدة وإلى الأبد عندما اصطدمت فى نهاية السرداب بصرخة أخيرة من كل الموجودين!



استدارت (مارى) وأطلقت بصرها إلى بعيد، حيث ترتفع درجات  
السلام الحزنونية إلى ضوء الشمس.. ما أعجب وأبرع الموت.. كم عدد  
تعبيرات الوجوه وإيماءات الأيدي والأجسام التى لا يتشابه اثنان منها..  
كانوا واقفين وقفتهم الأبدية كأتايب عارية لآلة (كاليوب)<sup>(١٠)</sup> موسيقية  
قديمة مهجورة.. وأفواههم الفاغرة عبارة عن فتحات مهتاجة مروعة..  
والآن نزلت يد الموت الضخمة على كل مفاتيح، تلك الآلة الموسيقية فى  
نفس الوقت بحيث أن آلة (الأرغن النجارى) صاحت أو صرخت صرخة  
واحدة أبدية من مئة أنبوب أو فم مفتوح على آخره.

طقطقت الكاميرا ولف (جوزيف) الفيلم.. ثم طقطقت الكاميرا ولف  
(جوزيف) الفيلم مرة أخرى..

تقابت الأسماء.. مورينو - موريلوس - كانتين - جوميز -  
جوتيريز - فيلانوسول - أوريتا - ليكون - نافارو - ايتوربى - جورج -  
فيلومينا - نينا - مانويل - جوزيه - توماس - رامونا.. هذا الرجل كان  
يسير وهذا الرجل يغنى وهذا الرجل له ثلاث زوجات، وهذا الرجل مات  
بسبب كذا وذاك بسبب كذا، والثالث مات لسبب آخر، والرابع أطلق عليه  
النار، والخامس طعن بسكين والسادس وقع ميتاً من فوره، والسابع  
أفرط فى الشراب ولم يلبث أن مات، والثامن مات أثناء ممارسة الحب،

---

(١٠) آلة موسيقية عبارة عن عدد كبير من الصفارات، تصدر عنها النغمات نتيجة مرور  
بخار خلالها. (المترجم)

والتاسع سقط من على ظهر جواده، والعاشر وجد نفسه يسعل دماً،  
والحادى عشر توقف قلبه فجأة، والثانى عشر كان كثير الضحك، والثالث  
عشر كان يجيد الرقص، والرابع عشر كان الأكثر جمالاً، والخامس عشر  
كان له عشرة أولاد، والسادس عشر والسابع عشر كانا من ضمن أولئك  
الأولاد، والثامن عشر وهو (توماس) كان يعزف جيداً على الجيتار،  
الثلاثة التالون كان لكل منهم حقل ذرة وثلاث عشيقات، والثانى  
والعشرون لم يحبه أحد قط، والثالثة والعشرون كانت تبيع الكعكات  
المسطحة وتصنعها وتشكلها على الرصيف أمام دار الأوبرا بواسطة  
سوقدها الذى يعمل بالفحم النباتى، والرابع والعشرون كان يضرب  
زوجته، وهى تسير الآن، فى البلدة، وهى سعيدة وتصادق الكثير من  
الرجال بينما يقف هو هنا متحيراً من ظلمها وقسوة قلبها عليه، و  
الخامس والعشرون كان يشرب كمية هائلة من مياه النهر ثم وقع فريسة  
فى شرك شبكى، والسادس والعشرون كان مفكراً كبيراً والآن يرقد  
دماغه كخوخة محترقة داخل جمجمته.

قال (جوزيف): "أنا أحب أن أخذ لقطة ملونة لكل واحد منهم..  
وعليها اسمه أو اسمها وكيف مات أو ماتت.. وعندما أنشر تلك الصور  
فى كتاب ساخر فسوف يكون كتاباً رائعاً.. وكلما فكرت أكثر ازداد حب  
الناس لك.. وسوف يتضمن هذا الكتاب قصص حياتهم وصورة لكل  
منهم وهو واقف هنا".

ربت على صدر كل واحد منهم برقة، وأصدروا جميعاً أصواتاً رنانة  
مثلما يحدث عندما يقرع المرء على باب منزل.. أما (مارى) فقد شقت

طريقها وسط الصرخات المنطلقة من كل مكان عبر مسارها.. تحركت بهدوء وحذر فى وسط السرداب.. ليس ببطء شديد ولكن ليس بسرعة كبيرة.. متجهة إلى السلالم الحلزونية وهى لا تلتفت أبداً إلى أى من الجانبين. وأخذت الكاميرا تطلق من ورائها.

"هل لديك هنا مكان لمزيد من تلك الجثث؟"

"نعم يا سيدى.. لكثير جداً منها".

"ألا تحب أن يحين دورك فى قائمة الانتظار التى لديك؟".

"آه، نعم.. نعم يا سيدى، فالمرء لا يحب أبداً أن يجيء دوره فى هذا الأمر".

"ما الفرصة المتاحة لشراء واحدة من تلك الجثث؟".

"أوووه، لا، لا.. أووه، لا، لا.. هذا غير ممكن يا سيدى".

"سوف أدفع لك ٥٠ بيزو، فكر جيداً فى الأمر".

"أوووه، لا، لا.. هذا مستحيل يا سيدى".

فى السوق كانت بقية الحلوى المسكرة التى على شكل جماجم تباع فى عيد الموتى على طاولات صغيرة قذرة.. كانت هناك مجموعة من النسوة يرتدين ملابس سوداء ويجلسن فى هدوء ومن وقت إلى آخر تتحدث إحداهن إلى الأخرى.. وفى أكواعهن تتعلق حلوى عبارة عن جثث مسكرة وجماجم من السكر الأبيض.. وعلى أعلى كل جمجمة اسم



مكتوب بحروف ذهبية: (جوزيه) أو (كارمن) أو (رومان) أو (تينا) أو (جويليرمو) أو (روزا).. وكانت رخيصة الثمن.. أما عيد الموتى فقد انتهى بالفعل. دفع (جوزيف) بيزو واحداً وحصل على اثنين من الجماجم السكرية.

وقفت (مارى) فى الشارع الضيق ورأت الجماجم السكرية و(جوزيف) والسيدات السوداوات اللاتى يضعن الجماجم فى كيس ورقى صغير.

قالت (مارى): "إنها ليست حقيقية" ..

فقال (جوزيف): "ولماذا؟"

قال: "ليس بعد الآن" ..

فقال: "هل تقصدين فى سرداب الموتى تحت الأرض؟" ..

فلوأت برأسها موافقة.

"ولكن هاتين جيدتان".

"غير أنهما تبدوان مسمومتين".

"فقط لأنهما على شكل جمجمتين؟".

"لا، السكر نفسه نظيف ولكن هل تعرف نوع الناس الذين صنعوا

هذه الجماجم المحلاة.. ألا يحتمل أن يكونوا مصابين مثلاً بأمراض تحدث ألاماً فى المعدة أو نحو ذلك".

حبيبتي (مارى)، كل المكسيكيين لديهم آلام فى المعدة هذا  
شئ عادى -

"إذا عليك أن تأكلهما معاً".

قال وهو يلقي نظرة خاطفة داخل الكيس: "يا للأسف أيتها  
الجمجمتان البائستان!".

سارا فى شارع ممتد بين مبانٍ عالية ذات إطارات صفراء للنوافذ  
وقضبان حديدية زرقاء وتنبعث منها رائحة وجبة (التامالى)<sup>(١١)</sup>  
المكسيكية الشهيرة وتصدر منها أصوات طرطشة الماء من نافورات  
مقامة على بلاطات مخترقة عن الأنظار.. بينما تحوم أسراب صغيرة من  
الطيور وتحملق من داخل أقفاص من الخيزران.. وهناك أحدهم يعزف  
على البيانو بعضاً من موسيقى (شويان)<sup>(١٢)</sup>.

قال (جوزيف) وهو ينظر إلى أعلى مندهشاً: "(شويان) هنا؟.. ما  
أروع وأجمل هذا.. هيه، إننى أحب منظر هذا الجسر.. أمسكى هذا  
الكيس".. وسلمها كيس الحلوى بينما طقطق بكاميرته والتقط صورة  
لجسر أحمر ممتد بين مبنين بيضاوين وفوقه رجل واحد يسير عليه  
ويضع على كتفيه عباءة حمراء.. وهتف قائلاً: "ممتازاً".

(١١) قطع لحم مقلّى مضافاً إليها فلفل ملفوف فى عجينة من طحين الذرة. (المترجم)

(١٢) فردريك شويان (١٨١٠-١٨٤٩) موسيقار بولندى شهير. (المترجم)

سارت (مارى) وهى تتطلع إلى (جوزيف)، ثم حولت نظرها عنه ولم تلبث أن نظرت إليه من جديد.. وتحركت شفاتها بدون أن تنطق كلمة واحدة، وارتعشت عيناها واختلجت عضلة فى رقبتهـا تحت ذقنها كالسلك وشعرت بنغزة فى عصب صغير برقبتهـا. نقلت كيس الطوى من يد إلى الأخرى، ثم صعدت على أحد الأرصفة ومالت قليلاً إلى الوراء وأشارت بيدها وقالت شيئاً لاستعادة توازنهـا ثم سقط الكيس من يدها.

خطف (جوزيف) الكيس قبل أن يسقط على الأرض وهتف: "يا إله السماوات!.. انظري ما الذى فعلته أيتها الحمقاء!".

قالت: "كانت رجلى ستنكسر على ما أعتقد".

"هاتان كانتا أفضل الجماجم.. والآن تحطمت كليهما.. لقد أردت الاحتفاظ بهما لأصدقائنا فى ديارنا هناك".

قالت بشيء من الغموض: "إننى أسفة".

نظر إلى داخل الكيس فى تبرم وقال: "يا إلهى، اللعنة!.. ربما لا أجد جماجم جيدة الآن.. أوه، لا أعرف بالضبط.. لا فائدة، لقد يشئت".

هبّت الريح وكانا بمفردهما فى الشارع.. وأخذ يحدق فى الفتات الموجودة بالكيس، أما هى ففى الظلال المنتشرة من حولهما فى الشارع.. والشمس فى الجانب الآخر من الشارع.. لا أحد حولهما، والعالم بعيد جداً عنهما.. الاثنان بمفردهما على مسافة ألفى ميل من البشر والحياة، يسيران فى شارع ببلدة وهمية لا يوجد فيها شيء ولا يوجد حولها شيء



سوى صحراء جرداء وصقور تحلق فى دوائر.. وفوق دار الأوبرا ارتفعت التماثيل الإغريقية الذهبية عالياً وهى تلمع فى ضوء الشمس.. ومن مكان ما يرتفع صوت أغنية إسبانية مسجلة: "الآن!.. على أنغام آلة المريمبا.. هيا بنا نرقص..". بالإضافة إلى كل أنواع الكلمات الإسبانية الغريبة التى تنتثرها وتنقلها الرياح.

أغلق (جوزيف) الكيس بإحكام ودفعه بغضب إلى داخل جيبه.. وسارا فى طريق عودتهما لتناول غداء الثانية والنصف بالفندق.

جلس على المائدة مع (مارى)، يشرب حساء "البونديجا"<sup>(١٣)</sup> بملعقته المتحركة فى صمت.. وعلقت هى مرتين بمرح على الرسومات الجدارية على الجدار، بينما أخذ هو يحدق فيها ويرتشف الحساء. وكان كيس الجماجم المتكسرة موضوعاً على المائدة.. وقال شخص ما: "سيدتى..". وأخذت يد سمراء أطباق الحساء من على مائدتهما.. ثم وضعت طبقاً كبيراً به شطائر محشوة باللحم والجبن أمامهما.

نظرت (مارى) إلى الطبق، وكان به ست عشرة شطيرة.. وأمسكت بشوكتها وسكينها لتأخذ واحدة منها ثم توقفت.. وأعادت وضع سكينها وشوكتها على جانبى طبقها.. ونظرت إلى الجدران ثم إلى زوجها ثم إلى الست عشرة شطيرة.. وجدتها موضوعة فى صف طويل متكدسة بجوار بعضها البعض.. وبدأت فى عدها كلها.. واحدة، اثنتان، ثلاث.. أربع، خمس.

---

(١٣) حساء لحم البقر مضافاً إليه كرفس وكمون وبصل وثوم وجزر ومردقوش (المترجم).

وضع (جوزيف) واحدة منها فى طبقه وأكلها .. خمس، ست، سبع، ثمانى، تسع، عشر، إحدى عشرة .. ووضعت يديها فى حجرها .. اثنتا عشرة، ثلاث عشرة، أربع عشرة، خمس عشرة، ست عشرة .. وأخيراً انتهت من العد .. وقالت: "إننى لست جائعة".

وضع شطيرة أخرى فى طبقه .. كانت مبطنة من الداخل بعجينة من دقيق الذرة، وكانت رفيعة .. وهى واحدة من مجموعة من الشطائر التى قطعها ووضعها فى فمه ومضغها .. وتخيلت هى أنها تأكلها وأغلقت عينيها بقوة وهى مشمئزة .. وسألت: "هيه، كيف تجدها؟" .. فقال: "لا بأس".

بقيت ثلاث عشرة شطيرة تشبه اللقائف الصغيرة أو اللقات الورقية .. وأكل خمساً أخرى منها.

قالت: "لا أشعر بأننى بخير بحال" ..

فقال لها: "كلى وستشعرين بأنك أفضل".

قالت: "لا، لن أكل" .. وانتهى هو ثم فتح الكيس وأخرج إحدى الجمجمتين شبه المحطمتين .. فقالت له: "لا، ليس هنا" .. فقال: "ولم لا؟" .. ووضع عيناً مسكرة على شفتيه ومضغها، وقال معبراً عن طعمها: "لا بأس" .. والتهم جزءاً آخر من الجمجمة وأردف: "ليست سيئة على الإطلاق".

ونظرت إلى الاسم المكتوب على الجمجمة: "(مارى)".

ساعدته بكل همة ونشاط فى وضع متعلقاته وملابسه فى الحقائب..  
وفى النشرة الإخبارية المصورة فى السينما ترى أناساً يقفزون من على  
منصة الغطس ويسقطون فى حمام السباحة.. وبعد لحظة واحدة عندما  
يلف الفيلم بالعكس تجدهم يقفزون من الماء إلى أعلى فى الهواء بشكل  
خيالى، ثم تراهم يسقطون مرة أخرى فى الماء.. وبنفس هذه الطريقة  
لاحظ (جوزيف) الآن أن ملابسه ومتعلقاته تطير إلى داخل حقائب السفر،  
والقبعات تبدو كطيور متقضة ومندفة إلى داخل صناديق القبعات  
المستديرة اللامعة.. والأحذية يبدو أنها تجرى على الأرض كالفرنار  
لتقفز إلى داخل الحقائب.. وفى النهاية انقفلت حقائب السفر وتكتكت  
سقاطات إحكامها ثم لفت مفاتيح قفلها.

قالت بمرح: "هاهى ذى!.. كلها ممثلة ومقفلة.. أوه يا (جو)، إننى  
سعيدة للغاية لأنك جعلتنى أغير رأيك.. واتجهت ناحية الباب، وقال لها:  
"دعيني أساعدك".

قالت: "إنهما ليستا ثقيلتين.."

فقال: "لكنك لن تحملى حقائب أبداً.. لم أر ذلك قط.. سوف  
أستدعى شيئاً".

قالت ونفسها متقطع من وزن الحقيبتين: "هراء، أنا أستطيع ذلك"،  
بمجرد خروجها من الباب أمسك حمال بالحقيبتين وقال: "سيدتى،  
من فضلك".



قال: "تري هل نسينا شيئاً ما؟" .. ونظر تحت السريرين، ثم خرج إلى الشرفة وحقق في الميدان ودخل وذهب إلى الحمام ونظر في خزانة الأدوية ومستلزمات النظافة ثم على حوض الغسيل .. وقال وهو يخرج ويناولها شيئاً ما: "هاهي ذى .. لقد نسيت ساعتك".

ليستها وقالت وهي تخرج من الباب: "هل فعلت ذلك؟ عجباً!".

قال: "الحقيقة لا أعرف بالضبط .. ولكن الوقت الآن متأخر للسفر".

قالت: "إنها الثالثة والنصف فقط يا حبيبى .. هل الثالثة والنصف وقت متأخر؟".

قال بارتياح: "لا أعرف يا حبيبتي".

ألقى نظرة في كل أرجاء الحجرة وخطا خارجاً ورد الباب وأغلقه بالمفتاح وهبطا إلى الطابق السفلى وهو يؤرجح المفاتيح في يده.

وقتئذ كانت داخل السيارة مستقرة على مقعدها وقد طوت سترتها على حجرها ويداها المقفرتان مرتاحتان على سترتها. أقبل هو وتفحص الحمولة الموضوعة في حقيبة السيارة الخلفية، ثم سار إلى مقدمة السيارة ونقر على النافذة، فتحت الباب ودخل هو إلى مقعد القيادة.

صاحت ضاحكة: "حسناً، الآن سوف نذهب!" .. وكان وجهها متورداً وعيناها تلمعان من فرط السرور .. كانت مستندة إلى الأمام كما لو كانت تتمنى بحركتها هذه أن تحرك السيارة لكي تندفع من فوق المنحدر الهابط. وقالت له: "شكراً يا حبيبى لأنك سمحت لى باستعادة المال الذى دفعته

لحجرتنا عن هذه الليلة.. وأنا واثقة من أنك ستحب هذه الليلة أكثر في  
"جوادالاجارا" .. شكراً!..

قال بهدوء: "نعم، أتمنى ذلك".

أدخل مفتاح الإشعال وضغط على بادئ الحركة .. لكن لم يحدث  
شيء.. ضغط مرة أخرى على البادئ بدون جدوى.. واختلج فمها وقالت:  
"إن المحرك يريد أن يدفأ قليلاً.. ليلة البارحة كانت قارسة البرودة".

حاول من جديد بلا جدوى.. وتهافت يدا (مارى) على حجرها.  
وحاول ست مرات أخرى، ثم توقف وأراح ظهره على مقعده وقال:  
"حسناً.. السيارة لا تدور".

"حاول مرة أخرى.. فى المرة القادمة سوف تدور".

"لا فائدة من ذلك.. هناك شيء ما خطأ.. لابد من وجود عطل ما".

"حسناً.. ولكن عليك أن تحاول مرة أخرى يا حبيبى".

حاول مرة أخرى بلا نتيجة.

"إنها سوف تدور، أنا متأكدة.. هل شغلت الإشعال؟".

"هل شغلت الإشعال؟!.. ما هذا الهراء؟.. نعم شغلته".

"لا يبدو أن الإشعال يعمل فى السيارة".

لف مفتاح الإشعال لكى يؤكد لها ما قاله وقال: "إنه شغال".

قالت: "حاول إدارتها الآن مرة أخرى".

حاول بدون نتيجة وقال: "لقد قلت لك".

صاحت: "أنت لا تدير السيارة كما يجب.. لقد كادت تنطلق".

"سوف أفرغ البطارية لو استمررت هكذا.. والله وحده يعلم أين يمكن العثور على بطارية هنا".

"إذن أفرغ البطارية، لأننى واثقة أنها ستدور فى المرة القادمة".

قال وهو ينزل من السيارة ومشيراً إليها لكى تتولى هى تشغيلها: "حسناً، جربى بذقنك وشغلها.. هيا ابدئى!".

عضت على شفيتها وجلست فى مقعد السائق خلف عجلة القيادة.. وحركت يديها وجسمها بعض الحركات التى تشبه الطقوس السحرية، كما لو كانت مثلاً تريد التغلب على قوى الجاذبية والاحتكاك وأى قانون طبيعى آخر!

داست برفق بحدائنها المفتوح من الأمام على دواسه بادئ الحركة غير أن السيارة ظلت ساكنة تماماً.. وانطلقت من شفتى (مارى) المتوترتين صرخة صغيرة.. ثم داست بقوة هائلة على دواسه بادئ الحركة، وفى الحال انطلقت فى الهواء رائحة بنزين بعد أن أثارت خانق المحرك.

"لقد طفحت المكربن<sup>(١٤)</sup> بالوقود.. عظيم جداً.. والآن ارجعى إلى مكانك من فضلك".

---

(١٤) المكربن: الأداة التى تستخدم لمزج الهواء بالوقود فى آلة الاحتراق الداخلى بالسيارة. (المترجم).



أحضر ثلاثة فتية لدفع السيارة من فوق المنحدر.. ووثب هو إلى مقعد القيادة ليمسك بعجلة القيادة.. وتدحرجت السيارة بسرعة وهي ترتج وتحدث جلجلة.. وتآلق وجهه (مارى) وقالت: "ما أجمل هذا!!.. السيارة سوف تدور الآن!".

لم يدر شىء... ودفعوا السيارة إلى محطة البنزين عند أسفل التل، وهي تفرقع بهدوء حتى توقفت أخيراً بجوار خزانات البنزين. جلست هناك صامته لا تنطق بكلمة، وعندما حضر عامل المحطة كان بابها مغلقاً بالقفل والنافذة مرفوعة، واضطر للدوران حول السيارة لمعرفة طلب زوجها.

انتصب الميكانيكى واقفاً بعد انحنائه فوق المحرك برهة، ونظر عابساً إلى (جوزيف) وتحدثاً معاً بلغة إسبانية صحيحة.. فتحت (مارى) زجاج السيارة وأنصتت إليهما.. وسألت: "ما الذى يقوله؟".

استمر الرجلان فى حديثهما.. وسألت مرة أخرى: "ما الذى يقوله؟". وأشار الميكانيكى الأسمر بيده ناحية المحرك، وأوماً (جوزيف) برأسه وواصل حديثهما.. وصاحت متسائلة: "ما المشكلة بالضبط؟". ونظر (جوزيف) إليها مقطباً جبينه.. وقال لها: "انتظرى لحظة من فضلك.. لا أستطيع الإتصاات إليكما معاً".

أمسك الميكانيكى بمرفق (جوزيف)، ونطقا بكلمات كثيرة.. وسألت: "ما الذى يقوله الآن؟". قال (جوزيف): "إنه يقول...". وانقطع كلامه بعد أن أخذه الميكانيكى إلى المحرك وانحنى معاً عليه باهتمام بالغ.

صاحت (مارى) من النافذة من حول ظهرى الرجلين المتحنيين: "ما هو ثمن هذا الإصلاح؟" .. وتكلم الميكانيكى ببضع كلمات، وبعدها قال (جوزيف): "٥٠ بيزو".

صاحت زوجته: "وكم من الوقت سيستغرق هذا الإصلاح؟" .. فسأل (جوزيف) الميكانيكى، الذى بادر بهز كتفيه ثم تجادلا لخمس دقائق.. فصاحت مرة: "كم من الوقت سيستغرق هذا الإصلاح؟" .. بيد أن مناقشتها استمرت، وهبطت الشمس من أعلى السماء.. ونظرت إلى الشمس فوق الأشجار العالية قبيل ساحة المقبرة.. وارتفعت الظلال أكثر فأكثر حتى غطت الوادى تماماً بالظل.. وظلت السماء صافية ومهيبة وزرقاء اللون.

قال (جوزيف) بعد أن استدار ناحية (مارى): "يومان وربما ثلاثة". فقالت: "يومان!.. يا إلهى!.. ألا يستطيع إصلاحها سريعاً بحيث تذهب بنا إلى البلدة التالية ونقوم هناك ببقية الإصلاح اللازم".

سأل (جوزيف) الرجل الذى أجابه بسرعة.. وقال (جوزيف) لزوجته: "لا، عليه أن يقوم هو بكل عملية الإصلاح هنا".

"لماذا؟.. هذا سخف، هذا تصرف أحمق.. إنه ليس مضطراً إلى أن يقوم بكل هذا العمل، نعم أخبره بهذا يا (جو).. قل له ذلك.. وكل المطلوب منه أن يصلحها بشكل مؤقت لكى...".

تجاهلها الرجلان تماماً.. وانخرطا من جديد فى حديث جدى متواصل.

هذه المرة تم كل شيء بالحركة البطيئة.. فتح حقائب الملابس.. فتح هو حقيبته بينما تركت هي حقيبتها بجوار الباب، وقالت: "إننى لست محتاجة إلى أى شيء بها".

"ولكنك تحتاجين إلى قميص النوم على الأقل".

"لا.. إننى أفضل أن أنام عارية دون ملابس".

"لا بأس، ولكنها ليست غلطى على كل حال.. يا لهذه السيارة اللعينة؟".

"يمكنك أن تذهب فيما بعد لمراقبة سير العمل فى السيارة".

جلست على حافة السرير.. كانا الآن فى حجرة جديدة، فقد رفضت

العودة إلى حجرتهم السابقة، حيث إنها لم تعد تستطيع تحملها..

وأرادت حجرة جديدة كما لو أنهما قد ذهبا إلى فندق جديد بالمدينة..

على الرغم من أنها حجرة جديدة فإنها تطل أيضاً على ميدان السوق

والأشجار الوارفة الكثيفة.. وقالت لزوجها: "أهبط الآن للإشراف على

العمل يا (جو).. لأنك إذا لم تفعل، فسوف يستغرق الإصلاح أسابيع!..

ونظرت إليه وأردفت: "أرجوك اذهب الآن إلى هناك بدلاً من جلوسك هنا

أو هناك بلا جدوى".

"نعم سوف أذهب إلى هناك؟".

"وسوف أنزل معك.. فأننا أريد شراء بعض المجلات".

"لكنك لن تجدى مجلات أمريكية فى بلدة كهذه".

"ولكن يمكننى البحث عنها.. أليس كذلك؟".



"بالإضافة إلى أننا ليس معنا الكثير من المال.. وأنا لا أريد إرسال  
برقية تلغرافية إلى مصرفي.. إن ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً جداً، ثم إن  
الأمر لا يستدعي كل ذلك العناء".

"لكن على الأقل يمكنني شراء مجلات".

"ربما واحدة أو اثنتان".

قالت بحدة وهي ممددة على السرير: "لا، بل أي عدد أريده".

"يا إله السماوات!.. إن لديك في السيارة الآن ملايين المجلات..  
"بوست" و"كولبيرز"، و"ميركوري"، و"أطلانتيك الشهرية"، و"برنابي"  
و"سوبر مان"!.. إنك بالتأكيد لم تقرأ نصف مقالاتها".

"لكنها ليست جديدة.. إنها كلها قديمة الآن، ولقد تصفحتها..  
وبالطبع بعد أن تنظر إلى شيء ما فإنك لا تعبأ به بعد ذلك.. أوه،  
لا أعرف بالضبط".

"إذا حاولي قراءتها وليس النظر إليها فقط".

عندما هبطا من السلم كان الميدان قد لفه الظلام.. وقالت له:  
"أعطني بعض البيزوات"، وأعطاهما إياها فأردفت: "الآن علمني كيف  
أشتري المجلات بالإسبانية".

قال لها وهو يسير مسرعاً: "قولي: كويرو أونو بابليكاسيون  
أميريكانا".

كررت تلك الكلمات فى سرها وهى تطعم ثم ضحكت وقالت:  
"شكراً لك يا حبيبى".

سار قدماً إلى ورشة الميكانيكى، أما هى فقد استدارت ودلفت إلى  
أقرب متجر عمومى ووجدت المجلات مصفوفة على أرفف أمامها، ألوانها  
غريبة وأسمائها غريبة.. قرأت العناوين بنظرات خاطفة من عينيها  
ونظرت إلى الرجل العجوز القابع خلف طاولة المتجر، وقالت له  
بالإنجليزية، وهى متحرجة من التحدث بكلمات إسبانية: "هل لديك  
مجلات أمريكية؟".

حدق الرجل فيها متعجباً دون أن ينطق شيئاً.. فسألته  
بالإسبانية: "هل تتحدث الإنجليزية؟" .. فأجابها: "لا، يا سيدتى".

حاولت تذكر الكلمات الصحيحة، وقالت: "كويرو.. لا!" .. وتوقفت،  
ثم بدأت مرة أخرى "أميريكانو ماجازيناز؟".  
آوه، لا.. لا يا سيدتى.

فتحت راحتى يديها عند خصرها ثم أغلقتهما كمن يقفل ويفتح  
فمه.. وبالفعل انفتح فمها ثم انقفل.. وبدأ لها أن للمتجر ستارة منسدلة  
من فوقه.. هاهى ذى الآن واقفة هنا حيث يوجد أولئك القوم ذوو البشرة  
السمراء التى جففتها الشمس الحارقة، الذين لا يمكنها أن تقول لهم  
شيئاً ولا تستطيع أن تسمع أية كلمات منهم، والذين لم تقل لهم سوى  
كلمات معدودة وهى مترددة ومربكة.. والمدينة هنا تحاصرها الصحراء،

والزمن، والديار بعيدة جداً عن هنا.. بعيدة جداً حتى لتبدو كأنها  
فى كوكب آخر.

عزمت أمرها واستدارت وهربت.. ولكنها دخلت محلاً وراء آخر ولم  
تجد أية مجلات سوى تلك التى تصور أغلفتها مصارعة الثيران الدموية  
أو الناس المقتولين أو القساوسة الذين يرتدون أرواباً ذات خيوط  
مزرکشة.. ولكنها تمكنت أخيراً من شراء ثلاث نسخ من مجلة "بوست"  
وهى تكاد تطير فرحاً وتضحك بصوت عال، وأعطت البائع فى هذا المحل  
الصغير بقشيشاً كبيراً.

اندفعت خارجة وهى تضم مجلات "بوست" إلى صدرها بكلتا يديها  
وأسرعت تنطلق فى الممر الضيق.. وقفزت فوق البلاعة التى قابلتها.. ثم  
عبرت الطريق ركضاً وهى تغنى "لا، لا، لا" ووثبت على الرصيف البعيد..  
وركضت مرة أخرى وابتسمت ابتسامة داخلية لنفسها.. وسارت برشاقة  
وهى تضغط المجلات بقوة إلى صدرها وعيناها نصف مغلقتين.. وأخذت  
تتنفس هواء المساء المزوج برائحة الفحم النباتى، وهى تشعر برطوبة  
الرياح خلف أذنيها.

تركز ضوء النجم فى بقع ذهبية بعيداً عن التماثيل الإغريقية  
الجاثمة على سطح دار الأوبرا. وكان هناك رجل يسير متثاقلاً فى الظل،  
وهو يوازن سلة من الخوص محملة بأرغفة خبز فوق رأسه.

رأت الرجل والسلة المتوازنة على رأسه وفجأة لم تتحرك ولم تستطع  
أن تبتسم من داخلها، وسقطت المجلات من يديها.. وراقبت الرجل وهو



يسير وإحدى يديه مرفوعة إلى أعلى لحفظ توازن السلة منعاً من سقوطها .. وأخذ الرجل يتناقص تدريجياً وهو يبتعد بينما انسلت المجلات من بين أصابع (مارى) وانتشرت على الرصيف .. التقطت مجلاتها وجرت مسرعة إلى داخل الفندق وصعدت إلى الطابق الأعلى.

جلست فى حجرتهما، والمجلات مكومة على كلا جانبيها وفى دائرة عند قدميها .. وتخيلت أن الكلمات عبارة عن قلعة صغيرة بينها وبين العالم الخارجى ومن ثم استغرقت فيها كلية .. انتشرت المجلات التى اشترتها وتصفحتها فى الأيام السابقة فى كل مكان حولها .. وكانت تلك المجلات حاجزاً خارجياً، ومن داخل الحاجز كانت ثلاث مجلات (بوست) متكسرة ويداها فى حجرها مقفلتان وترتعدان لكى تفتح تلك المجلات وتقرأها مرة أخرى بعينين جائعتين. فتحت الصفحة الأولى وقررت أن تقرأها صفحة صفحة وسطراً سطرًا .. نعم، سوف تقرأ كل سطر وكل فاصلة وكل عنوان وكل لون... إلخ. ثم ابتسمت عندما اكتشفت شيئاً .. ففى تلك المجلات الأخرى عند قدميها إعلانات كثيرة ورسومات كرتون لم تلاحظها، ولذلك عليها أن تقرأها كلها، بحيث لا يتبقى بعد ذلك شىء فى تلك المجلات يمكنها الرجوع إليه فيما بعد.

سوف تقرأ مجلة (بوست) هذه أولاً، نعم الليلة سوف تقرأ كل ما فى هذه المجلة القديمة .. سوف تستمتع بكل صفحة منها وفى الليلة التالية، إذا كانت ستأتى ليلة قادمة، ولكن ربما لا تأتى ليلة أخرى هنا .. فلعل المحرك سيدور وسوف تتصاعد أبخرة وغازات وتطن السيارة وهى تنطلق على الطريق فوق عجالاتها المطاطية، وتندفع ريح عاتية بنافذة

السيارة وتجذب شعرها كالعلم خارج السيارة.. ولكن افترض فقط أن هذه الحجرة سوف تشهد ليلة غد.. حسناً.. إذن سوف تكون هناك مجلّتا (بوست) أخريان، واحدة لليلة غد والأخرى لليلة التالية عليها، ما أروع تلك الفكرة التي أدارتها في عقلها!.. وقلبت الصفحة الأولى.

ثم قلبت الصفحة الثانية.. وتحركت نظراتها في كل مكان منها، وانسلت أصابع مجهولة لها تحت الصفحة التالية ورفعتها قليلاً تمهيداً لقلبها.. ودقت ساعة معصمها وتمر الوقت وهي تقلب الصفحات وراء بعضها البعض، وتحقق بنهم في الأشخاص المطبوعة صورهم.. أشخاص يعيشون في بلاد أخرى في عالم آخر، حيث تضيء مصابيح النيون الليلة باللمبات الطويلة قرمزية اللون، والروائح السائدة هي روائح المنازل.. والناس يتكلمون بكلمات جيدة، بينما تقبع هي هنا وهي تقلب صفحات المجلات وتلتهم عيناها كل سطورها من أعلى إلى أسفل وهي تقلبها صفحة وراء أخرى في سعادة وسرور.

ألقت مجلة (بوست) الأولى وأمسكت بالثانية وبدأت تتصفحها في نصف ساعة، ثم ألقت تلك أيضاً وأخذت ثالثة، ولم تلبث أن ألقتها بعد ربع ساعة.. ووجدت نفسها تلهث وتتنفس بصعوبة وسرعة من فمها. ورفعت يدها إلى أعلى عند قفاها.. حيث كانت نسمة رقيقة تهب عليه.. كان شعرها على طول مؤخرة عنقها واقفاً منتصباً.. ولست شعرها براحة يدها كما يلمس المرء قفا نبات (الهندباء)<sup>(١٥)</sup>.

---

(١٥) نبات يتميز بأزهاره الصفراء وأوراقه المتشعبة. (المترجم).

وفى الخارج بميدان السوق، اهتزت أنوار الشوارع كأضواء  
مجنونة بتأثير الرياح.. وطارَت الأوراق وسقطت فى اليا لوعات بأعداد  
كبيرة جداً.. وتضاءلت الظلال ومالت تحت المصابيح المقيية مرة فى هذا  
الاتجاه ومرة فى ذاك.. بحيث ترى الظل هنا فى لحظة ثم تراه هناك فى  
اللحظة التالية، ثم لا ظلال بالمرة.. مرة ترى ضوءاً قوياً ومرة لا ضوء  
على الإطلاق.. وكلها ذات ظلال زرقاء كئيبة.. وقرقعت لمبات الإضاءة  
فوق علاقاتها المعدنية العالية.

داخل الغرفة بدأت يداها ترتعدان، ورأتها ترتعدان فعلاً.. كما بدأ  
جسدها يرتجف.. وتحت نفورتها الزاهية المرتفعة التى لبستها خصيصاً  
لتلك الليلة التى دارت ولقت ووثبت فى مرج أمام مرأتها الضخمة.. نعم  
تحت جونلتها الحربية، كان جسمها مثاراً ويهتز كالسلك.. واصطكت  
أسنانها ببعضها البعض ثم تباعدت ثم اصطكت مرة أخرى وهكذا  
دواليك.. وعضت شفتاها بعضها بعضاً وتلطخت وجنتاها بطلاء  
شفتيها.. وفى تلك اللحظة دق (جوزيف) على الباب.

استعد (جوزيف) للنوم، والحقيقة أنه عاد بأخبار تفيد أن شيئاً ما  
تم عمله للسيارة وأن العمل سوف يستغرق بعض الوقت، وأنه سوف  
يذهب لمراقبة العمل ومتابعته فى الغد.

قالت وهى واقفة أمام مرأتها تطلع ملابسها: "ولكن لا تدق  
على الباب".

"إذن لا تقفليه واتركيه مفتوحاً".



لكننى أريده مغلقاً.. المهم لا تدق عليه.. نادى على..

وما الخطأ فى الدق على الباب؟

إنه يبدو أمراً مضحكاً.

هلا شرحت لى ماذا تقصدين بالمضحك؟

لم تقل شيئاً.. كانت تنظر إلى نفسها فى المرآة وكانت عارية تماماً  
ويدها بجوار جسمها.. وهاهى ذى ترى نهديها وشفتيها وجسمها كله..  
ثم سارت بضع خطوات وشعرت بالأرضية تحتها والجدران والهواء من  
حولها.. ونهداها يشعران بيديها عندما تضعهما عليهما، كما أن بطنها  
لا تصدر صوتاً مكتوماً غير رنان عند لمسها.

قال وهو راقد فى سريره: "بحق السماء لا تقفى هكذا مزهوة  
بنفسك.. ما الذى تفعلينه؟.. ولماذا ترفعين يديك إلى أعلى هكذا على  
وجهك؟.. ثم أطفأ النور.

لم تستطع أن تتكلم لترد عليه لأنها لا تعرف كلمات يعرفها هو كما  
أنه لم يقل شيئاً لها تفهمه.. وسارت إلى سريرها ودخلت إلى الفراش  
فى هدوء، بينما رقد هو فى سريريه وظهره ناحيتها، وبدا كواحد من  
أولئك الأشخاص السمر برونزى البشرة من تلك البلدة البعيدة على  
سطح القمر.. والأرض الحقيقية فى مكان ما بعيد جداً بحيث يحتاج  
الأمم إلى السفر بين النجوم للوصول إليها..

ولو تكلم معها وتكلمت هى معه فى تلك الليلة، فسوف تكون ليلة رائعة ويسهل عليها التنفس ويسترخى جسمها وشرابين معصمى رجليها ومعصمى يديها وإبطيها.. لكن لم يكن هناك أى كلام، وصارت الليلة عبارة عن عشرات آلاف تكات للساعة وعشرات آلاف انحناءات البطاطين، وكانت الوسادة كموقد أبيض دافئ صغير جداً تحت وجنة المرء، وظلام الحجرة كشبكة ناموس منسدلة حولهما، بحيث إن أى التفاف سوف يوقعها فى حبالها.. فقط لو أن هناك كلمة واحدة بينهما.. لكن لا توجد أية كلمة.

وعروقها ليست مستقرة بارتياح فى معصمها، وقلبها كمنفاخ يدفع الدم إلى الأبد فوق جمرة خوف صغيرة.. يضىء إلى ما لا نهاية بضوء المرح والسعادة، ثم ينبض مرة أخرى ومرة ثالثة وهكذا.. إنه ضوء داخلى فى مكنون نفسها تنظر إليه عيناها الداخليتان بإعجاب.. ورتاها لم تستريحاً بل ظلتا تعملان كما لو أنها شخص يغرق وتقوم بتنفس صناعى لنفسها للبقاء على قيد الحياة.. وكل هذه الأشياء يشحمها العرق الذى يفرزه جسمها المحتدم، ووجدت نفسها محشورة بقوة بين البطانيات الثقيلة كشئ مضغوط أو متداع.. أو كرطوبة عطرة بين صفحات بيضاء بكتاب ضخم.

وبينما هى ممددة على هذا النحو، أقبلت ساعات منتصف الليل الطويلة، تماماً مثلما كان يحدث لها وهى طفلة.. وهامى ذى ترقد الآن وقلبها يدق فى حالة من الارتعاد الهيستيرى.. ثم تهدأ وتتذكر الأفكار

الحزينة البطيئة لطفولتها البرونزية عندما كان كل شيء عبارة عن الشمس الساطعة على الأشجار الخضراء وعلى الماء وعلى شعرها الطفولي الأشقر.

مرت أمامها سلسلة من وجوه كثيرة كأرجوحة من الذاكرة.. وجه يندفع لمقابلتها ثم يقف أمامها ثم ينساب إلى اليمين.. ووجه آخر يقبل من اليسار.. وتسترجع جزءاً من محادثة نسيته، ثم يختفى في اليمين.. وهكذا دواليك.. أوه، لقد كانت ليلة طويلة للغاية.. وعزّت نفسها بالتفكير في أن السيارة سوف تعمل غداً.. وسوف تستمع صوت خائق المحرك وصوت دوران المحرك وصوت انطلاق السيارة على الطريق.. وابتسمت في سرور وسط الظلام الحالك.

ولكن لنفترض أن السيارة لن تعمل!.. وعلى الفور تكومت على نفسها في الظلام كورقة محترقة تزوى.. كل أجزاء وأعضاء جسمها تكومت على نفسها، وساعة معصمها تدق تك، تك، تك، تك، تك، تك، وشعرت بقلق وعدم قدرة على الكلام.

وأقبل الصباح.. ونظرت إلى زوجها وهو ممدد مستقيماً ومرتاحاً على سريرته.. وفردت يدها في تكاسل في الفراغ البارد بين السريرين.. وطوال الليل كانت يدها هابطة في ذلك الفراغ البارد.. وبمجرد فرد يدها باتجاه زوجها.. وجدت أن الفراغ أطول قليلاً بحيث لم تستطع يدها الوصول إلى سرير زوجها.. سحبت يدها بسرعة وهي تأمل ألا يكون زوجها سمع حركة فرد يدها الصامتة.



هاهو ذا مستلق هناك الآن.. عيناه مغلقتان بهدوء ورموشه متداخلة  
فى بعضها البعض كأصابع متشابكة بإحكام. وكان يتنفس بهدوء بحيث  
يمكنك أن تميز بالكاد أضلاع صدره وهى تتحرك، وعادة فى مثل ذلك  
الوقت من اليوم يكون قد خلع بيجامة النوم، وتمكنت من رؤية صدره  
العارى من وسطه إلى رأسه.. أما بقية جسمه فقد ظلت تحت غطاء  
الفراش.. كان رأسه ممدداً على الوسادة بشكل يوحى بالتفكير العميق..  
وهناك لحية صغيرة بارزة من ذقنه.

أظهر ضوء النهار بياض عينيها.. كانت الشيطان الوحيدان فى هذه  
الغرفة المتحركة وسط النجوم البطيئة والتوقفات.. وهى تتبع تشريح  
جسم رجل فى السرير المقابل لها.

الشعر القصير على ذقنه ووجنتيه كان رائعاً.. وسقطت بقعة من  
ضوء الشمس التى انسابت عبر ستار النافذة على ذقنه وأظهرت كل  
شعرة صغيرة بوجهه كنتوءات بإسطوانة صندوق الموسيقى.. وبعض  
الشعيرات السوداء ظاهرة على معصميه عن يمينه ويساره، وكلها  
رائعة ومنفصلة ولامعة ومتألقة.. وشعر رأسه كامل ومجدول فى جدائل  
سوداء حتى جذورها.. وأذناه مقوستان بشكل جميل.. وأسنانه كاملة  
خلف شفثيه.

صاحت: "(جوزيف)!".. لم يرد فصاحت من جديد: "(جوزيف)!"..  
وحركت يدها عشوائياً فى زعر.

بونج! بونج! بونج!.. تعالت دقات الناقوس عبر الشارع من الكاتدرائية الضخمة المكسوة بالقرميد.. وارتفع الحمام - مثل دوامة من الورق الأبيض - ليطير فى بوابر صغيرة، وكأنه مجالات كثيرة تخفق خارج النافذة!.. ودار الحمام حول الميدان ثم حلق حلزونياً إلى أعلى.. بونج! بونج! بونج!.. استمرت دقات النواقيس!.. وتعالت أصوات نير إحدى سيارات الأجرة التى تشبه صياح الوزّة البرية! وبعيداً انطلقت موسيقى من أحد الأزقة من صندوق موسيقى يعزف أغنية "يا حبيبى الغالى".

كل هذا تلاشى الآن عند سقوط قطرات من صنبور حوض الحمام.. وفتح (جوزيف) عينيه.. وجلست زوجته على سريرها تحقق فيه. قال وهو يفتح ويقفل عينيه: "لقد ظننت.. لا.. وأقفل عينيه وهز رأسه ثم أردف وهو يتنهد: "إنها تلك الأجراس!.. كم الساعة الآن؟". "لا أعرف بالضبط.. نعم، أعرف.. إنها الثامنة بالضبط". قال مغمغماً وهو يستدير: "حسناً جداً.. يمكننا أن ننام ثلاث ساعات أخرى".

صاحت على الفور: "إنك يجب أن تستيقظ الآن". لا يوجد أحد يستيقظ الآن.. إنهم لن يبدأوا العمل بالورشة قبل الساعة العاشرة، وأنت تعرفين ذلك.. إنك لا تستطيعين الضغط على أولئك الناس.. لذا الزمى الهدوء الآن".

قالت: "ولكنك يجب أن تستيقظ الآن!"

استدار نصف استدارة.. وسقط ضوء الشمس على شعيرات سوداء بشفته العليا وآحالت لونها إلى اللون البرونزي وقال: "لماذا؟.. لماذا؟ بحق الآلهة يجب أن أستيقظ؟".

قالت وهي تكاد تصرخ: "أنت بحاجة لحلق ذقنك!"

تأوه وقال: "لذلك على أن أستيقظ وأن أصنع معجون الحلاقة على وجهي في الثامنة صباحاً لأنني يجب أن أحلق ذقني".  
"حسناً.. أنت حقاً محتاج إلى حلق ذقنك".

"إنني لن أحلق ذقني حتى نصل إلى (تكساس)".

"إذن لن تستطيع أن تتجول هنا أو هناك وأنت تبدو هكذا كالمتشرد".

"بل أستطيع وسوف أفعل ذلك.. لقد ظلت أحلق ذقني كل صباح طوال ٣٠ يوماً وارتدى رباط عنق ولدي ثنيتان في ساقى بنطالي.. من الآن فصاعداً لا بناطيل، لا أربطة عنق، لا حلق ذقن.. لا شيء أبداً".

شد غطاء السرير حتى غطى أذنيه بعنف لدرجة أنه سحب ملء السرير من على إحدى ساقيه العاريتين.. وقبعت ساقه على حافة السرير.. بيضاء دافئة في ضوء الشمس، وكل شعرة فيها صغيرة سوداء رائعة.

ثم فجأة اتسعت حدقتا عيني (ماري) وركزت نظراتها وحدقت في ساقه.. ثم سدت فمها بيدها بقوة!



أخذ يدخل الفندق ويخرج منه طوال اليوم، ولم يكن حليق الذقن.. وسار على بلاط الميدان بأسفل أمام الفندق.. وكان يسير ببطء شديد حتى أنها أرادت إلقاء صاعقة عليه من النافذة لتصيبه.. توقف برهة ثم تحدث مع مدير الفندق بأسفل تحت شجرة مقطوعة وهو يحرك حذاءه على بلاط الميدان الأزرق الفاتح، وأخذ ينظر إلى الطيور على الأشجار ورأى كيف أن تماثيل دار الأوبرا مكسوة بلون ذهبي تحت ضوء النهار المشرق، ووقف في الركن يراقب المرور بعناية وانتباه.

لم يكن هناك أى مرور بالميدان!.. كان واقفاً هناك عن عمد مستمتعاً ولا ينتظر خلفه إليها.. ترى لماذا لم يجر ويتبخر في الزقاق الضيق هابطاً من على التل متجهاً إلى الورشة، ويدق على أبوابها ويهدد الميكانيكيين ويمسك بخناقهم بقوة ويجبرهم على العمل لإصلاح محرك السيارة!.. ولكن بدلاً من ذلك وقف يراقب المرور الأحمق!.. وكل ما مر كان خنزيراً أعرج ورجلاً يقود دراجة هوائية وسيارة فورد موديل عام ١٩٢٧ وثلاثة أطفال أنصاف عرايا..

صاحت (مارى) فى قرارة نفسها: "اذهب، اذهب، اذهب" وكادت تكسر النافذة.

مشى الهوينى وهو يعبر الشارع، ثم استدار في المنعطف.. وفي طريقه إلى الورشة كان يتوقف أمام نوافذ العرض بالمتاجر ويقرأ اللافتات وينظر في الصور ويمسك بالفخاريات.. وربما توقف لتناول الجعة.. حسناً، نعم، جعة.

نزلت هي وسارت في الميدان تحت أشعة الشمس الحارقة تبحث عن المجلات.. ونظفت أظافر أصابع يديها ولمعتها وأخذت حماماً ثم سارت مرة أخرى في الميدان وأكلت قليلاً من الطعام ثم عادت إلى غرفتها لتعكف على قراءة المجلات.

لم ترقد في الفراش لتستريح، بل كانت خائفة من ذلك.. ففي كل مرة رقدت فيها حلعت نصف حلم ونامت نصف نوم، واستدعت شريط ذكريات طفولتها بشكل كئيب ومقبض.. امتلأ ذهنها بصديقاتها القديمات والأطفال الذين لم ترهم أو تفكر فيهم طوال عشرين عاماً.. وفكرت في أشياء أرادت أن تفعلها لكنها لم تفعلها قط.. فمثلاً أرادت أن تطلب ليلي هولدريدج طوال السنوات الثماني الماضية منذ التخرج في الكلية، ولكنها بكيفية ما لم تفعل ذلك، لقد كانتا صديقتين حميمتين!.. ليلي الحبيبة.. وفكرت وهي راقدة في كل الكتب، الكتب الجديدة والقديمة الجيدة التي قررت شراءها وربما لن تشتريها أو تقرأها أبداً.. لقد أحببت الكتب كثيراً بل أحببت رائجتها.. وفكرت في ألف شيء قديم سيئ.. فمثلاً أرادت اقتناء كتب الساحر أوز طوال حياتها، ومع ذلك لم تشتريها قط.. ولكن لم لا؟.. بينما الحياة ما زالت أمامها!.. أول شيء سوف تفعله هو شراؤها لهذا الكتاب عندما تعود إلى نيويورك!.. وسوف تطلب ليلي فوراً!.. وسوف ترى بيرت وجيمي وهيلين ولويس، وتعود إلى ولاية (إلينوي) وتتجول في المكان الذي عاشت طفولتها فيه وترى كل الأشياء التي يمكن رؤيتها هناك.. إذا عادت إلى الولايات المتحدة.. إذا..

ودق قلبها بعنف داخلها، ثم توقف وجمع شتات قوته وعاد يدق من جديد.. نعم، إذا قدر لها أن تعود في يوم ما.

رقدت وهي تنصت إلى قلبها باهتمام شديد.. بوم، بوم، بوم.. ثم توقف.. بوم، بوم، بوم.. ثم توقف.

تُرى ماذا يحدث لو توقف قلبها في تلك اللحظة بالذات! أثناء إنصاتها؟.

وساد سكون في داخلها لبرهة ثم نادى: "(جوزيف)!".

وثبت واقفة وقبضت بقوة على ثدييها كما لو كانت ستعصرهما أو تخرج منهما لبناً بالقوة.. ثم ما لبث قلبها أن سكن مرة أخرى!.. ثم دق فجأة بداخلها وتوقف وقعقع ودق بعصبية عشرين مرة.. دقائق سريعة كطلقات الرصاص!

غاصت في فراشها.. ولكن ماذا سيحدث لو توقف من جديد ثم لم يتحرك بعد ذلك؟.. ما الذي ستعتقد؟.. ما الشيء الذي عليها عندئذ عمله؟.. إنها لن تفعل شيئاً سوى أن تموت من الخوف.. نعم، هذا ما سوف يحدث.. يا لها من نكته عجيبة أو دعاية سخيفة جداً!.. تموت من الخوف لو أن قلبك توقف عن الخفقان! إذن عليها أن تنصت إليه وتجعله يدق باستمرار.. وفجأة أرادت أن تذهب إلى بلدها ومنزلها وتري ليلي وتشترى كتباً وترقص مرة أخرى وتسير في الحديقة المركزية و.. أنصت!.. دب.. دب.. دب.. ثم توقف دق (جوزيف) على الباب.. ثم دق



مرة أخرى، وعرفت أن السيارة لم يتم إصلاحها، وسوف يحتاج ذلك إلى ليلة أخرى، لم يكن قد حلق ذقنه وكانت شعيرات ذقنه الصغيرة مثالية تماماً.. والمتاجر التي تباع المجلات مغلقة ولم يعد لديها مجلات أخرى.. وتناول طعام العشاء.. وأراد أن يبتعد عنها قليلاً، فخرج في المساء ليتنزه في البلدة.

جلست في المقعد من جديد ووجدت بعض شعيرات في رأسها تنتصب واقفة، كما لو أن مغناطيساً يمر حول رقبتها.. كانت ضعيفة للغاية ولا تقدر على التحرك من المقعد وشعرت بأنه ليس لها جسم.. كانت فقط عبارة عن قلب يدق.. مجرد كتلة من نبضات حرارية وصداع موجودة في الحجرة بين أربعة جدران.. كانت عيناها ساخنتين وتحفلان بمعان كثيرة.. ومتورمتين وممتلئتين رعباً خلف شفقتين منتفختين متوترتين.

وفي أعماقها من الداخل شعرت بأن السن الصغير الأول بالسيارة ينفلت منزلقاً من الترس.. وقالت: "هاهى ذى ليلة أخرى.. ليلة أخرى.. ليلة أخرى".. وسوف تكون تلك الليلة أطول من السابقة.. أول سن صغيرة ينفلت من الترس.. ويندول الساعة فائته حركة أو ضربة.. ثم يلي ذلك السنان الثانية والثالثة المرتبطان ببعضهما.. كل الأسنان مرتبطة ببعضها البعض، الصغير مع آخر أكبر قليلاً منه، ثم الأكبر قليلاً مع أخرى أكبر قليلاً منه، ثم هذا الأكبر آخر ضخمة.. ثم الضخمة مع أخرى هائلة الحجم.. ثم هائلة الحجم مع أخيرة خرافية الحجم وهكذا..

عقدة<sup>(١٦)</sup> عصبية حمراء لا يزيد حجمها على خيط قرمزي اللون طقطقت واهتزت.. والتقى أحد الأعصاب الذي لا يزيد حجمه على فتلة تيل حمراء.. اختفى اشتباك غريب في أعماقها.. وبدا أن الجهاز العصبي بأكمله يصاب بحالة عدم اتزان ويكاد ينقرط عقده وتتمزق أجزاؤه.

لم تحاول مقاومة ذلك.. تركته يهتز ويروعها ويجعل جسدها يتصيب عرقاً بشدة من حاجبيها، يرتج له عمودها الفقري ويسيل لعاباً هائلاً من فمها.. وشعرت كما لو أن جهاز توازن جسمها أو بوصلة توجيهه قد مالت في هذا الاتجاه وذاك ثم أخطأت وارتبكت وأنت بداخلها.. وشحب وجهها للغاية كما لو أن الضوء انطفأ من وجهها، وبدأت وجنتاها البلوريتان تكشفان عن عروق وخطوط وأشياء باهتة، وفقدت نضارتها تماماً.

كان (جوزيف) في الحجرة.. كان قد جاء ولكنها لم تسمعه قط.. كان في الحجرة ولكن ذلك لا يشكل أى فرق بالنسبة إليها.. إن مجيئه لم يغير شيئاً على الإطلاق.. كان يستعد للنوم ولم يقل شيئاً وهو يتحرك ولم يقل شيئاً وهو يتهاوى على فراشه بعد أن تحرك في أرجاء الغرفة الممتلئة بالدخان.. وتحدث مرة واحدة إليها لكنها لم تسمعه بالمرّة.

أخذت تقدر الوقت.. كل خمس دقائق نظرت إلى ساعتها، واهتزت الساعة واهتز الزمن وأصبحت أصابعها الخمسة ١٥ إصبعاً تتحرك

---

(١٦) كتلة خلايا عصبية مثل تلك الموجودة في الحبل الشوكي للإنسان. (المترجم).

كلها ثم تجمع صفوفها مرة أخرى فى خمسة أصابع فقط. استمر  
الاهتزاز ولم يتوقف.. وطلبت كوب ماء من زوجها.. وتقلبت جانبها مرتين  
وهى فى الفراش.. بينما الرياح تهب فى الخارج وتميل الأنوار وتنتشر  
انفجارات من الإضاءة تصيب المباني وتطلق ومضات جانبية خاطفة، مما  
أدى إلى لمعان النوافذ كالعيون المفتوحة والمغلقة بسرعة إثر ميل الضوء  
وابتعاده فى اتجاه آخر. وفى الطابق الأسفل كان كل شىء هادئاً بعد  
العشاء ولا تصعد إليهما أية أصوات فى حجرتهما الساكنة.

أعطاهما كوب الماء وقالت له: "إننى أشعر بالبرودة يا (جوزيف)".  
وهى تتدس بين طيات من أغطية الفراش.

"إننى أراك فى خير حال".

"لا، لست على ما يرام.. أنا خائفة".

"لا يوجد أى شىء على الإطلاق لتخافى منه".

"أريد أن أستقل القطار لكى نذهب إلى الولايات المتحدة".

قال وهو يشعل سيجارة جديدة: "لا يوجد قطار إلا فى ليون،  
ولكن ليس هنا".

"إذا لنستقل سيارة إلى هناك".

تقصدين أن نركب تاكسى يقوده أحد أولئك السائقين ونترك  
سيارتنا هنا؟".



”نعم، أريد ذلك.. أريد أن أذهب من هنا“.

”يا حبيبتي سوف تكونين فى أحسن حال فى الصباح“.

”لا، أنا أعرف أننى لن أكون فى أحسن حال.. أنا لست بخير بالمرة“.

”ولكننا سوف نتكلف مئات الدولارات لشحن سيارتنا إلى هناك“.

”لا يهمنى ذلك.. وأنا لدى مائتا دولار فى المصرف بأمريكا..“.

سوف أسدد نفقات الشحن.. ولكن أرجوك دعنا نذهب إلى بلادنا“.

”عندما تشرق الشمس غداً سوف تشعرين بتحسّن.. إن كل ما فى

الأمر أن الشمس غربت وأطبق علينا الظلام“.

قالت وهى تهمس وتغلق عينيها وتدير رأسها وتنصت: ”نعم ولكن

الشمس ذهبت والرياح تهب الآن.. أوه، يا لها من رياح موحشة..“.

المكسيك بلد غريب حقاً.. كل هذه الغابات والصحارى والقفار الكئيبة

الموحشة، فقط هنا وهناك توجد مدينة كهذه.. ولا توجد إلا أضواء قليلة

يمكنك أن تطفئها بقطعة واحدة من أصابعك..“.

قال لها: ”أنا أرى أنها بلاد واسعة جميلة“.

”ألا يشعر أبداً أولئك الناس بالوحدة والوحشة هنا؟“.

”لا ريب أنهم اعتادوا على ذلك منذ القدم“.

”ولكن ألا يشعرون أبداً بالخوف؟“.

”إن لديهم إيماناً يحميهم من ذلك“.

”أتمنى إن كان لدى إيمان“.

قال: "فى اللحظة التى يكون لك فيها إيمان سوف تتوقفين عن التفكير فى مثل هذه الأمور.. عليك أن تؤمنى بشىء ما كثيراً جداً، وعندئذ لا يصبح لديك أى مجال لأفكار جديدة عجيبة أو مخيفة".

قالت بوهن: "الليلة لا أحب شيئاً أكثر من ألا تتاح لى أية فرصة لأفكار جديدة.. أن أتوقف عن التفكير.. أن أؤمن بشىء واحد يملكنى تماماً بحيث لا يترك لى أية فرصة للخوف".

قال: "إنك لست خائفة من شىء ما".

قالت متجاهلة رده: "إذا كان لى إيمان، سوف يتوفر لى أداة لكى أحمى بها نفسى.. ولكن ليس لى أداة الآن ولذلك لا أعرف كيف أحمى نفسى".

قال وهو يجلس كمن يغفم إلى نفسه: "أوه!.. يا إله السماوات!".

نظرت إليه برهة وقالت: "لقد كنت مؤمنة بدين ما من قبل".

"المذهب البروتستانتى<sup>(١٧)</sup> على ما أعتقد".

"لا، كان ذلك عندما كنت فى الثانية عشرة.. لقد تخطيت هذا.. أقصد بعد ذلك".

"لكنك لم تقولى لى قط شيئاً عن ذلك من قبل".

---

(١٧) أحد المذاهب الدينية المسيحية. (المترجم).

كان المفروض أن تعرف ذلك بنفسك.

ولكن أى دين؟.. هل هو مذهب لأحد الكهنة الموجودة صورهم فى حجرة الأشياء والملابس المقدسة بالكنيسة؟.. هل قمت بالصلاة لقديس معين تحبينه؟..

نعم..

وهل رد على صلواتك تلك؟..

لبعض الوقت.. مؤخراً، لا، مطلقاً.. ليس بعد الآن.. وليس لسنوات الآن.. لكننى مستمرة فى الصلاة..

من هو هذا القديس؟..

القديس (جوزيف) ..

غمغم: "القديس (جوزيف)!".. ووقف وصب لنفسه قدحاً من الماء من الأبريق الزجاجى.. وكان صوت صب الماء هو الصوت الوحيد المسموع فى الحجرة.. وأردف: "إنه اسمى.."

قالت: "مجرد مصادفة.."

وتطلع كل منهما إلى الآخر لعدة لحظات.. ثم نظر بعيداً عنها وقال: "قديس صورته بالحجرة المقدسة" .. وأخذ يرشف من قدح الماء..

بعد برهة قالت: "(جوزيف)؟"، فرد: "نعم؟.."

وقالت: "تعال وأمسك يدي بيدك، هلا فعلت ذلك؟.."



تنهد وقال: "آه من النساء!" .. وأقبل عليها وأمسك يدها .. وبعد دقيقة سحب يدها وأخففتها تحت البطانية وترك يده فارغة خلفها. أغلقت عينيها وقالت كلمات مرتعشة: "لا تأبه لهذا الأمر .. إنه ليس جميلاً كما كنت أتصور .. أما الجميل حقاً فهو الطريقة التي أجعلك تمسك يدي بها بيدك".

قال: "يا إلهي!" .. ولم يلبث أن دخل الحمام. وأطفأت الأنوار بحيث لم يبق سوى أثر من الضوء خارج من تحت باب الحمام. أنصتت إلى قلبها، ووجدت أنه يدق مئة وخمسين مرة كل دقيقة باستمرار، ولكن مازالت الرعدة تنفث في نخاعها كما لو أن كل عظمة في جسدها لها ذبابة ضخمة محبوسة داخلها، تحلق وتطن وتهتز وترتعد في أعماقها .. ارتدت نظراتها إلى داخلها هي لكي تراقب قلبها الخفى وهو يدق بقوة ويكاد يتحطم إلى أجزاء على جانب صدرها.

انساب الماء من الحمام .. وسمعته وهو يغسل أسنانه .. ونادت: "(جوزيف)!".

فرد عليها من خلف الباب المغلق: "نعم".

فقالت: "تعال إلى هنا".

فقال: "ماذا تريد؟".

فقالت: "أريد أن تعدنى بشيء ما، أوه، من فضلك".

فقال: "وما هو؟".

فقالت: "افتح الباب أولاً".

فسألها من خلف الباب المغلق: "ما هو؟".

فقالت: "عدنى فقط"، وتوقفت.

وأجابها بعد صمت طويل: "أعدك بماذا؟".

فقالت: "عدنى" .. ولم تضيف شيئاً آخر.

تمددت مكانها ولم يتكلم هو .. وسمعت السماعة تنك وقلبها يدق

فى نفس الوقت ..

وصرّ مصباح بمدخل الفندق .. وقالت أخيراً بصوت مكتوم ومخنوق،

كما لو أنها كانت فوق أحد التلال المحيطة تتحدث إليه من بعيد:

"عدنى أنه إذا حدث أى شىء .. أقصد إذا حدث أى مكروه لى، أنك لن

تجعلهم يدفنوننى فى المقبرة فوق تلك السرايب المروعة التى هناك!" .

قال من وراء الباب المغلق: "أرجوك لا تكونى حمقاء هكذا".

ردت وعيناها تتسعان فى الظلام: "ألا تريد أن تعدنى بذلك؟".

"هذه أكثر الأشياء سذاجة لن تحدث فيها".

"عدنى .. أرجوك عدنى بهذا .. هلا فعلت ذلك!" .

"أؤكد لك أنك ستكونين على ما يرام فى الصباح".

"عدنى بذلك كى أستطيع أن أنم أصلاً .. سوف أنام فقط لو قلت إنك

لن تتركهم يدفوننى هناك .. لا أريد أن أكون هناك بآية حال من الأحوال".

قال بعد أن فقد صبره: "هل هذا هو ما تريدينه فعلاً؟".

"نعم، من فضلك".

قال: "ولكن ما الذى يدفعنى لأن أعدد بشيء سخيـف كهذا؟..  
كما قلت لك سوف تكونين على ما يرام غداً.. وبالإضافة إلى ذلك،  
إذا مت فسوف تبدين جميلة للغاية فى المقبرة وأنت تقفين بين السيد  
"المكشر الوجه" والسيد "الفاغر فاه".. وفى شعرك غصن من زهور نبتة  
"نجمة الصباح".. وأخذ يضحك بجذالة.

سادت فترة من الصمت بينهما، بينما تمددت هى فى الظلام..  
وسألها من وراء الباب وهو مستمر فى الضحك: "ألا تظنين أنك ستبدين  
أجمل هناك؟".

لم تنطق بشيء وسط ظلام الحجرة.. فقال: "ألا تظنين ذلك؟"..  
وأقبل شخص ما بأسفل إلى الميدان ثم لم يلبث أن اختفى تدريجياً..  
فقال وهو يفرش أسنانه بالفرشاة: "إيه، ما قولك؟".

تمددت هناك وهى تحقق فى سقف الغرفة وئدياها يرتفعان  
وينخفضان أسرع فأسرع، والهواء يدخل ويخرج من صدرها من خلال  
منخاريها.. وفجأة خرجت نقطة دم صغيرة من بين شفطيها المطبقتين  
على بعضهما البعض.. كانت عيناها متسعتين على آخرهما ويدها  
قابضتين بتشنج على ملاءات السرير.

قال مرة أخرى: "إيه، ما قولك يا حبيبتى؟".

لكنها لم تنطق بشيء..

فقال لنفسه أثناء انصباب الماء من الصنبور: "يا لجمالها النارى!.."



وشطف فمه وأردف: "نعم لا شك فى ذلك!" .. ولكنه لم يسمع منها شيئاً قط!

نظر لنفسه فى المرأة وقال: "النساء مضحكات فعلاً" .. واستمرت راقدة فى سريرها .. وقال: "نعم لا شك فى ذلك!" .. وغرغر المطهر فى فمه ثم بصقه فى حوض الغسيل .. وقال: "أؤكد لك أنك سوف تكونين فى أفضل حال فى الصباح" .. ولكنها لم ترد عليه.

أردف قائلاً: "وسوف نصلح السيارة" .. ولم ترد عليه.

وأثناء غلقه للزجاجات فى الحمام أضاف: "فى الصباح سوف تكون حالتك تحسنت قبل أن تدركى ذلك" .. ثم مسح وجهه بمرطب تجميلى منعش واستطرد: "ولعل السيارة تكون جاهزة غداً، أو على الأكثر بعد غد .. وبالطبع أنت لن تتضايقى لو قضينا ليلة أخرى هنا، أليس كذلك؟".

لم ترد عليه .. فسألها: "ما رأيك؟" .. لم تجبه، وانطفأ النور تحت باب الحمام .. وناداه: "مارى؟" .. وفتح باب الحمام وغمغم: "لا شك أنها نامت" .. وكانت ممددة وعيناها مفتوحتان وثدياها يرتفعان وينخفضان، وقال: "نعم، لا شك أنها نائمة .. حسناً .. ليلة سعيدة يا أميرتى".

وثب على سريريه وقال: "إننى متعب للغاية" .. ولم يسمع شيئاً منها، فأعاد ما قاله: "إننى متعب للغاية" .. وكل ما حدث أن الريح أطاحت بالأنوار بالخارج، وأصبحت الحجرة مستطيلة ومظلمة وسرعان ما راح فى سبات عميق وأخذ يشخر فى سريريه .. أما هى فكانت عيناها مفتوحتين وساعة معصمها تدق بينما ثدياها يرتفعان وينخفضان.

كان يوماً رائعاً في كل المدن التي على مدار السرطان<sup>(١٨)</sup>..  
وتم انطلاق السيارة على طول الطرق اللافتة تاركة وراءها غابات الريف  
ومتجهة إلى الولايات المتحدة.. تهرّب بين الجبال الخضراء وتدخل في كل  
منعطف أمامها مخلقة وراءها أثراً متلاشياً من دخان عادمها.

وداخل السيارة الزاهية جلس (جوزيف) بوجهه الوردى الذي ينم  
عن الصحة والعافية مرتدياً قبعته البنامية<sup>(١٩)</sup> وكاميرا صغيرة متدلية من  
على كتفه أثناء قيادته للسيارة.. ورباط حريري أسود<sup>(٢٠)</sup> مربوط حول  
عضده الأيسر خارج سترته. راقب الريف وهو ينزلق خلفه  
ونظر في شروود إلى المقعد المجاور له وتوقف.

ابتسم ابتسامة غامضة خجلة واستدار مرة أخرى إلى نافذة  
السيارة، وهو يدندن بنغمة غير جميلة.. وامتدت يده اليمنى لتلمس  
المقعد الذي بجواره.. بيد أن هذا المقعد كان فارغاً!

---

(١٨) خط العرض شمال خط الاستواء، يشكل الحد الأقصى الشمالي للمنطقة الحارة،  
ويمر مدار السرطان عبر كثير من البلاد مثل المكسيك، والمملكة العربية السعودية  
وشمالى وسط الهند وجنوبى الصين. (المترجم).

(١٩) قبعة مجدولة باليد مصنوعة من أوراق أحد النباتات التي تنمو في أمريكا الجنوبية  
والوسطى. (المترجم).

(٢٠) تعبير عن الحزن لوفاة شخص عزيز. (المترجم).

## عفريت العلبة

تطلع من النافذة إلى جو الصباح الباكر فى الخارج وهو ممسك فى يديه بعفريت العلبة<sup>(١)</sup> ويحاول خلع غطاؤها الصدى.. ولكن مهما بذل من جهد فإن عفريت العلبة لم يقفز قط إلى الضوء خارج العلبة وهو يصرخ أو يقذف قفازه المخلط فى الهواء أو يثب فى عشرة اتجاهات مختلفة وهو يبتسم ابتسامة ساخرة وشريرة، لقد تحطم فى علبة تحت الغطاء وهو فى سجنه وتحول إلى قطعة حديدية من لفات متكدسة فوق بعضها البعض.. ولو وضعت أذنك على العلبة لأحسست بالضغط الموجود داخلها على الغطاء إلى أعلى.. ويمدى الخوف والذعر اللذين حلا باللعبه البائسة المحبوسة بالداخل.. كان الأمر يشبه ماسكاً لقلب شخص ما فى يدك!.. ولم يستطع (إدوين) أن يعرف إذا كانت العلبة تنبض وتنقبض أم أن هذه نبضات الدم فى جسمه هو بينما يمسك بقوة بالغطاء.

---

(١) لعبة للأطفال عبارة عن صندوق صغير من الكرتون، وعند تحريك ذراع التشغيل فى جانبه تصدر منه موسيقى مرحة وبمجرد توقفها يفتح غطاء الصندوق فجأة وتتدفع إلى الخارج دمية صغيرة على شكل مهرج بملابس زاهية وقلنسوة حمراء.



قذف العلية بعيداً ونظر من خلال النافذة.. خارج النافذة كانت الأشجار تحيط بالمنزل الموجود به (إدوين).. ولم يكن يستطيع أن يرى شيئاً وراء تلك الأشجار.. وإذا حاول أن يعثر على عالم جديد خلف الأشجار، فإنها تتحرك يميناً ويساراً بتأثير الرياح لتضع حداً لحب استطلاعها وتوقف زحف عينيها إلى بعيد..

نادته أمه من خلفه، وهي تنتظره بعصبية أثناء تناولها لقهوة الصباح.. (إدوين)، توقف عن التحديق في الهواء وتعال لتناول إفطارك..

همس قائلاً: "لا".. فقالت بسرعة وشدة: "ماذا؟".. والتفتت إليه وأردفت: "ما هو الأهم: الإفطار أم النافذة؟".. فهمس: "النافذة".. وأرسل بصره ليستكشف الممرات والمسارات التي جربها لثلاث عشرة سنة.. هل صحيح أن تلك الأشجار تمتد لستة عشر كيلو متراً ويعدّها لا يوجد شيء بل عدم تام؟.. لم يستطع الإجابة عن هذا السؤال.. وعادت نظراته حزينة مكسورة إلى المرج الأخضر ودرجات السلم ويداه ترتعشان على زجاج النافذة.

استدار ليأكل مشمشاته عديمة الطعم وحيداً هو وأمّه في حجرة طعام الإفطار الطنّانة الواسعة.. مضى خمسة آلاف صباح وهو يأكل على هذه المنضدة أمام تلك النافذة ولا توجد أي حركة أبداً خلف تلك الأشجار الغريبة.. وانتهيا من طعامهما في صمت تام.

كانت هي المرأة الشاحبة التي لم يرها أحد سوى الطيور بهذا البيت الريفى القديم من تلك النافذة المقببة بالطابق الرابع في كل يوم

الساعة السادسة صباحاً والساعة الرابعة بعد الظهر والساعة التاسعة مساءً.. كما تمر أمامها بعد منتصف الليل بدقيقة واحدة فى هذا البرج وهى صامتة وشاحبة.. عالياً فى البرج ووحيدة وهادئة دائماً، كان ذلك يشبه صوبة زجاجية لتربية النباتات مهجورة، آخر زهرة برية وحيدة تفتحت فيها ورفعت رأسها باتجاه ضوء القمر..

وطفلها (إيوين) كان كشوكة من نبات الصبار تكفى نسمة هواء واحدة لإسقاطها فى موسم الصبارات.. كان شعره حريراً وعيناه زرقاوين ودائماً محموماً ودرجة حرارته مرتفعة.. ونظراته ساهمة وغامضة كأنه لم ينم بما يكفى.. وإذا ارتطم الباب بقوة فإنه ينهار كحزمة من أصابع الحلوى المقرقشة.

بدأت أمه تتكلم ببطء وبعبارة شديدة، ثم ازدادت سرعة حديثها ويعد ذلك أخذت تتكلم بغضب وحدة ثم أخيراً بلهجة تكاد أن تتسم بالغضب والاحتقار.. وقالت وهى تصيح وأصابعها تختلج:

"لماذا تعصى كلامى كل صباح؟.. أنا لا أحب تحديقك هذا من النافذة، هل تسمعنى؟.. ما الذى تريده؟.. هل تريد أن تراهم؟..".

كانت رائعة الجمال كزهرة بيضاء غاضبة.. وأردفت: "هل تريد أن ترى الوحوش وهى تجرى فى الطرقات وتحطم وتقتل الناس وتدهسهم كالقراولة؟".

قال فى نفسه: "نعم.. أنا أحب أن أرى الوحوش مهما كانوا مرعيبين". فقالت بصياح: "هل تريد أن تذهب إلى هناك مثلما فعل أبوك قبل أن

تولد وتقتل كما قتل هو، حيث دهسه أحد أولئك الوحوش المرعبة على الطريق.. هل تريد ذلك؟..

قال: "لا".. فأردفت: "آلا يكفي أنها قتلت أباك؟.. لماذا تفكر في تلك الوحوش؟".. وأشارت إلى الغابة وواصلت: "حسناً.. إذا كنت تريد حقاً أن تموت هكذا، إذن اذهب!".

هدأت قليلاً ولكن أصابعها أخذت تتنقل وتنفتح فوق مشمع المائدة.

"(إدوين)، (إدوين).. والدك شيد كل جزء من هذا الكوكب.. وكان ذلك شيئاً رائعاً بالنسبة إليه، ويجب أن يكون كذلك أيضاً بالنسبة إليك.. وتأكد من أنه لا يوجد شيء وراء تلك الأشجار إلا الموت.. ولذلك لن أسمح لك بالاقتراب منها.. هذا هو عالمنا يا بني، ولا يوجد أي كوكب يهمننا غيره.. فنوماً برأسه وهو قانط ويأس..

قالت: "والآن ابتسم وانته من طعامك".

أكل ببطء بينما ينعكس ضوء النافذة على ملعقته الفضية وقال بصعوبة كبيرة:

"ماما.. ما هو.. الموت؟.. أنت تتحدثين عنه كثيراً، فهل هو شعور مثلاً؟..

أجابت وهي تقف فجأة: "بالنسبة إلى هؤلاء الذين يبقون على قيد الحياة بعد رحيل شخص ما هو شعور، نعم.. والآن أنت تأخرت على المدرسة وعليك بالإسراع إليها جرياً!".



قبلها وهي تجمع كتبه له وقال: "إلى اللقاء!".. فقالت: "بلغ سلامي إلى مدرستك".

انطلق من المنزل كرصاصة أطلقت من مسدس.. وصعد سلالاً كثيرة جداً واختبرق ممرات وقاعات وسار بجوار نوافذ تنهمر على ألواحها الزجاجية شلالات بيضاء من المطر.. وصعد إلى أعلى وإلى أعلى خلال كواكب بعضها فوق بعض ويفصل بينها طبقات ويرسم من السجاد الشرقي وعلى قممتها توجد شموع لامعة.

ومن أعلى سلم نظر إلى أسفل من خلال أربع فواصل كونية.. أراض منخفضة بها المطبخ وقاعة الطعام والبهو.. دولتان متوسطتان تحتويان على أجهزة الموسيقى والألعاب المختلفة والصور، علاوة على بعض غرف مقفلة ومحظور الدخول فيها. وهنا - حيث يدور بسرعة حول نفسه - توجد المنخفضات التي تتم فيها النزعات الخلوية والمغامرات وأنشطة التعلم.. وهنا تراه يتجول على غير هدى أو يغنى أغاني الأطفال وهو يشق طريقه في رحلته إلى مدرسته.

وعلى ذلك فقد كان هذا هو الكون.. وكان الأب - أو الله كما تسميه الأم كثيراً - أقام جبلاً من الجص المغطى بورق الحائط منذ وقت طويل مضى.. كان هذا هو الكون الذي خلقه الأب - الله - وفيه تتقد النجوم بمجرد تحريك مفتاح صغير، وكانت الشمس هي الأم والأم هي الشمس التي تدور حولها الكواكب.. ونرى (إدوين) - وهو نيزك أسود صغير -

يدور فى الأفاق المظلمة بين الأجرام المتلألئة فى الفضاء.. وهانحن أولاً  
نراه يختفى أو يرتفع على سلالم النيازك الضخمة ليقوم برحلات  
واستكشافات فى الفضاء السحيق.

أحياناً كان هو وأمه يتنزهان ويقضيان وقتاً فى الأراضى المرتفعة  
المغطاة بطبقات الجليد البارد، المنتشرة على المروج الخضراء التى تعلى  
قممها باقات الزهور الحمراء وعلى المروج والرياض قرمزية اللون فى واد  
نضر بقمة الكواكب، حيث تنظر الأشكال الجانبية لأشجار الصفصاف  
الضخمة باحتقار عليهما وهما يأكلان ويمرحان بأسفل!

كانا يحصلان على الماء من صنابير فضية اللون موجودة داخل  
كوات خزفية مختلفة.. ثم حطما كأسيهما على إحدى الصخور وهما  
يتصايحان.. ولعبا لعبة عسكر وحرامية فى الدول العليا، فى أراض قفراء  
مجهولة.. حيث وجدت يتدحرج كمومياء ملفوفة فى ستارة نافذة من  
المخمل أو تحت أثاث مغطى كنبات نادر محمى من الرياح.

فى وقت من الأوقات ضل طريقه وسار لا يلوى على شىء لمدة  
ساعات وسط تلال صغيرة تحت سفوح الجبال من الرمال وصدى  
الأصوات.. حيث تعلق الخطاطيف والعروات فى المكامن ليلاً فقط.. لكن  
أمه عثرت عليه وحملته وهو يبكى وهى تشق طريقها خلال العالم المستقر  
الهادئ حتى البهو الذى تتساقط فيه دقائق الغبار المألوفة فى طوفان  
من الشرارات فى الهواء المضء بنور الشمس.

ركض وهو يصعد على أحد السلالم.. وفي طريقه طرق آلاف  
وآلاف الأبواب، وكلها مقفلة ومحظورة.. وفيها تصرخ نساء بيكاسو<sup>(٢)</sup>  
ورجال دالي<sup>(٣)</sup> فى صمت داخل المصحات العقلية القماشية، وعيونهم  
الصفراء اللامعة تتقد كلما ضل طريقه.

كانت أمه تقول وهي تشير إلى عائلات بيكاسو - دالي: "تلك  
الأشياء تعيش هناك".. والآن يعدو بسرعة بجوارها وهو يخرج لهم  
لسانه.. ثم توقف عن العدو.

وفجأة فتح باب أحد الغرف المحظورة.. ووراء الباب كان هناك سلم  
حلزوني يصعد إلى أعلى فى صمت حتى يرى الشمس.

وقف فى مكانه وهو يشهق.. لأنه سنة وراء أخرى حاول أن يفتح  
تلك الأبواب المغلقة دائماً.. ولكن ماذا يحدث الآن إذا فتح هذا الباب  
على مصراعيه ثم تسلق هذا السلم؟ هل هناك مثلاً وحش ما مختفٍ  
بأعلى السلم؟ ونادى: "هاللو!".. وانتشر صوته حول السلم الحلزوني  
المضاء بنور الشمس.. وسرعان ما سمع صدى صوته "هاللو!"  
عال وخافت ومتلاش.

---

(٢) بابلو بيكاسو (١٨٨١-١٩٧٣) مصور إسباني ينتمى إلى المدرسة التكعيبية والكلاسيكية  
الجديدة، تتميز تكويناته بالزوايا الحادة والأشكال غير المتألوفة.

(٣) سلفادور دالي (١٩٠٤-١٩٨٩) مصور سريالي إسباني شهير مارس أيضاً المستقبلية  
والتكعيبية، اشتهر بالرسم الغريبة التي تعبر عن الأحلام واللاشعور.



دلف إلى داخل الباب وهمس قائلاً للمكان المضاء بنور الشمس:  
أرجوك.. أرجوك.. لا تؤذنى..

بدأ يصعد السلم وهو يتوقف مع كل خطوة يخطوها منتظراً وقوع  
أى عقاب له.. وعيناه مقفلتان تقريباً كشخص تائب أو نادم..

ازدادت سرعة صعوده الآن وأخذ يقفز ويدور ويقفز ويدور حتى  
تعبت ركبته وتقطع نفسه وأخذت رأسه تدق مثل الجرس، أخيراً وصل  
إلى القمة الرهيبة المرتفع ووقف هناك فى العراء على قمة البرج الذى  
تسفحه الشمس.

اصطدمت أشعة الشمس بعينه بدون مقدمات.. والواقع أنه لم ير  
شمساً كهذه من قبل.. وترنح ساقطاً على السور الحديدى.. وانفتح فمه  
من اتجاه إلى آخر وتمتم: "إنه هنا!.. إنه هنا!.." وجرى فى دائرة وهو  
يصيح: "هناك!.."

كان واقفاً فوق الحاجز الشجرى المعتم.. ولأول وهلة كان موجوداً  
أعلى أشجار جوز الهند والدردار التى تعصف بها الرياح، وهناك على  
مرمى بصره نباتات وأشجار خضراء وممرات بيضاء تجرى عليها  
الخنافس.. والنصف الآخر من العالم أزرق ولا نهاية له.. والشمس تائهة  
ولا تعرف مكانها وإنما تسقط أشعتها على حجرة زرقاء داكنة للغاية  
وواسعة جداً لدرجة أنه شعر بنفسه وهو يسقط معها ويصرخ.. وقبض  
بقوة على حافة البرج، ووراء الممرات البيضاء التى تنطلق الخنافس عليها

رأى أشياء تشبه الأصابع البارزة إلى الخارج، ولكنه لم ير أية مخاوف بيكاسوية - دالية، وإنما رأى فقط بعض المناديل الحمراء والبيضاء والزرقاء التي ترفرف عالياً على أعمدة بيضاء شاهقة.

وفجأة شعر بالغثيان، نعم شعر بالمرض من جديد.. واستدار وكاد أن يقع منبطحاً أثناء هبوطه على السلم.. وأقفل الباب المحظور خلفه بقوة وفي الحال وقع مصطدماً به.. ثم ضغط عينيه بيديه.. وقال: "سوف أصاب بالعمى.. كان يجب ألا أراه.. كان على ألا أفعل ذلك أبداً".

سقط على ركبتيه ثم انبطح على الأرض وهو متوتر ويتلوى ويشعر بدوار.. كان محتاجاً للبقاء هكذا لحظة، خوفاً من أن يصاب بالعمى.. وبعد خمس دقائق وقف عند إحدى النوافذ العادية للمرتفع ناظراً إلى عالمه المألوف الممتلئ بالحدائق والمزارع.

رأى مرة أخرى أشجار الدردار والجوز والجدار الحجري والغابة التي اعتقد أنها جدار لا نهاية له، ولا يوجد وراءها سوى العدم والخواء والضباب والمطر والليل السرمدي.. والآن تأكد من أن الكون لا ينتهي بتلك الغابة، فهناك كواكب وعوالم أخرى غير تلك الموجودة في الجبال المرتفعة والأراضي المنخفضة.

حاول فتح الباب المحظور مرة أخرى، لكنه وجده مغلقاً.. ترى هل صعد فعلاً إلى أعلى؟.. هل اكتشف فعلاً هذه الأراضي الشاسعة التي نصفها أزرق ونصفها أخضر؟.. هل رآه الله؟.. ارتعد (إدوين)

لتلك الفكرة.. الله، الله.. الذى كان يدخن سيجاراً أسود غامضاً  
ويستخدم حيلاً غريبة فى السير.. الله الذى ربما يشاهده الآن!

غمغم (إدوين) ولمس وجهه البارد قائلاً: "مازلت أستطيع أن أرى..  
أشكر، أشكر.. مازلت قادراً على الرؤية".

بعد ذلك بنصف ساعة عند تمام الساعة الثالثة والنصف، دق على  
باب المدرسة.. وقال: "صباح الخير أيتها المدرسة!".. انفتح الباب على  
مصراعيه، وانتظرت المدرسة بثياب الرهينة الثقيلة الطويلة رمادية اللون  
التي ترتديها، وقلنسوتها التي تخفى وجهها.. وكانت تضع نظارتها  
الفضية المعتادة، وتشير بيديها من داخل قفازيهما الرماديين  
قائلة: "لقد تأخرت".

من خلفها كانت أرض الكتب تحترق بألوان زاهية بنار المدفأة..  
وكانت الجدران مبطنة بالكثير من كتب الموسوعات، وهناك مدفأة يمكنك  
أن تقف داخلها بدون أن تحنى رأسك.. وتوجد كتلة كبيرة من الخشب  
تحترق بقوة.

كان الباب مغلقاً ويسود المكان صمت دافئ.. وهاهنا المكتب الذى  
جلس عليه الله ذات مرة، وها هو ذا البساط الذى سار عليه وهو يحشو  
سيجاره بالتبغ الممتاز ثم يعبس وجهه متطلعاً إلى تلك النافذة الزجاجية  
الواسعة المطلخة باليقع.. وكانت رائحة الغرفة تتم عن الرب.. خشب  
مكشوط.. تبغ.. جلد.. وعملات فضية.. وهنا يغنى صوت المعلمة القيثارة



شجيرة تعبر عن الرب والأيام الخالية والعالم الذى اهتز من جراء تصميم الرب وارثج لحكمته عندما كان العالم يتخلق بين يدي الله.. مخطط أولى.. صحيحة.. وإنشاءات خشبية عالية.. إن بصمات أصابع الرب مازالت ظاهرة كقطع ثلجية صغيرة نصف دائبة على عشرة من أقلام الرصاص المسنونة فى عرض زجاجى مقفل.. ويجب عدم لمسها أبداً خشية أن تذوب إلى الأبد.

هنا فى الأراضى المرتفعة عقب سماع الصوت الرقيق المتواصل للمعلمة.. عرف (إدوين) ما هو متوقع منه ومن جسمه.. فعليه أن يصبح له حضور وأن يناسب الروائح والصوت العالى للرب.. عليه أن يقف فى يوم ما على الهامة ويتأجج بنيران ضعيفة بالنافذة العالية لكى ينفذ التراب من على أوصال العالم.. يجب عليه أن يكون هو كالرب نفسه!.. لا شئ يجب أن يمنع ذلك.. لا السماء ولا الأشجار ولا الأشياء التى خلف الأشجار.

تحركت المعلمة كالبخار المنطلق فى الفصل.. وقالت: "لماذا تأخرت يا (إدوين)؟".

"لا أعرف بالضبط".

"سوف أسألك مرة ثانية: لماذا تأخرت يا (إدوين)؟".

"أحد.. أحد الأبواب المحرمة انفتح....".

سمع هسيس نفس المعلمة.. ورأها تنسحب ببطء إلى الخلف وتتهالك في مقعد كبير منحوت المسندين وابتلعها الظلام.. ولعت نظارتها في الضوء قبل أن تختفي. وأحس بها وهي تنظر إليه من الظل وكان صوتها مخدراً ويشبه صوت سمعه في الليل.. وكان هو نفسه يصرخ قبل أن يستيقظ من كابوس تعرض له.. وقال: "أى باب؟.. وأين؟.. أوه.. لا بد أنه مغلق!".

قال في فزع: "الباب المجاور لشخوص دالى وبيكاسو".. كان هو والمعلمة دائماً أصدقاء.. فهل انتهى ذلك الآن؟.. هل أفسد كل شيء؟.. لقد صعدت على السلم، كان لا بد أن أفعل ذلك.. نعم، لقد اضطررت إلى ذلك!.. أنا أسف، أنا أسف.. أرجوك لا تقولى شيئاً لأمي!".

قبعت المعلمة تائهة في مقعدها الغائر وهي ترتدى قلنسوة الرهينة الضيقة ونظارتها جعلت حشرات الحباحب تتألق في البئر التي تتحرك فيها بمفردها.. وغمغمت قائلة: "وما الذى رأيته هناك؟".

"حجرة زرقاء كبيرة!".

"هل رأيت ذلك؟".

"نعم.. وحجرة خضراء وشرائط تجرى عليها الحشرات والبق.. لكننى لم أمكث طويلاً.. لم أمكث طويلاً.. إننى أقسم.. أقسم على ذلك!".  
قالت بصوت جعله حزينا: "حجرة خضراء.. شرائط.. نعم، شرائط.. والحشرات والبقات تجرى عليها".

مد يده ليمسك بيدها.. لكن يده اتجهت إلى حجرها ثم تلمست طريقها إلى الظلام إلى صدرها.. وقال: "لقد جئت فوراً وأغلق الباب بالمفتاح.. وإن أذهب لأنظر مرة أخرى أبداً!"

كان صوتها خافتاً للغاية لدرجة أنه لم يسمع ما قالت:

"ولكنك الآن رأيت ذلك.. وسوف تريد أن ترى أكثر.. سوف تكون دائماً فضولياً.. وتحركت القلنسوة ببطء إلى الأمام والخلف. ثم تحول مكرها تجاهه فسأله: "وهل أحببت ما رأيته؟"

"إننى كنت خائفاً.. فقد كان أمراً كبيراً ومروعاً!"

"كبيراً.. نعم، كبيراً جداً ومروعاً.. ضخماً وكبيراً يا (إدوين).. ليس مثل عالمنا. ضخم وكبير، بشكل مشكوك فيه.. ياها!.. لماذا فعلت ذلك!.. لابد أنك كنت تعرف أن ذلك خطأ ما!"

انقادت النار ثم تقوضت في المدفأة بينما كانت تنتظر إجابته، وأخيراً عندما لم يستطع أن يجيب، قالت هي - كما لو كانت شفتاها تتحركان أصلاً - "هل هذه أمك؟"

"لا أعرف!"

"هل هي عصبية؟.. هل هي دنيئة؟.. هل هي فظة معك؟.. هل هي شديدة عليك؟.. هل تريد بعض الوقت بمفردك؟.. هل هذه هي حكايتك؟.. هل هذه هي حالتك؟"



قال وهو ينتحب بعنف: "نعم، نعم".

"هل لهذا السبب هربت.. هل هي تستحوذ على كل وقتك أو كل أفكارك؟"

وشعرت بالحزن والإحباط وقالت: "قل لى".

أصبحت يدها لزجتين من كثرة الدموع وقال: "نعم!.. وعرض أصابعه وظهر يديه.. وكرر: "نعم!.. وكان من الخطأ اعترافه بارتكابه هذه الأشياء.. ولكنه لم يكن مضطراً إلى أن يقول ذلك الآن.. هي التى قالت.. هي التى قالت.. وكل ما عليه أن يوافق فقط.. ويهز رأسه وبعض مفاصل يده ويبكي بين أناته.

كان عمر المعلمة مليون عام.. وقالت بإعياء: "نحن نتعلم" وقامت من مقعدها وتحركت ورداؤها الرمادى يتماوج وهى تتجه إلى المكتب، حيث بحثت يدها من داخل القفاز لمدة طويلة عن قلم وورقة. وأردفت: "نحن نتعلم.. يا إلهى.. ولكن ببطء.. نحن نتعلم من خلال المعاناة.. نحن نعتقد أننا نفعل الصواب، ولكننا طوال الوقت نحطم الخطة...". وتنفست بصعوبة وطوحت برأسها فجأة إلى أعلى.. وبدت القلنسوة فجأة فارغة تماماً وترتجف.

كتبت بعض الكلمات على الورقة.. وقالت: "اعط هذه لأمك.. هذا يخبرها بأنك تحتاج كل يوم إلى ساعتين عصر كل يوم تختلى فيهما بنفسك.. أو تتجول حيثما تريد.. فى أى مكان.. فيما عدا (هناك) بالطبع.. هل أنت تصغى إلى يا طفلى؟"

قال: "نعم" .. وجفف وجهه ثم قال: "ولكن.....".

"استمر .. ماذا تريد أن تقول؟".

"هل كذبت أمي على بخصوص ما "هناك" .. وأيضا الوحوش؟".

"انظر إلى .. لقد كنت وما أزال صديقتك .. أنا لم أضربك قط،  
مثمما فعلت أمك أحيانا .. إن كلينا هنا الآن لمساعدتك على أن تفهم  
وتكبر حيث لا يمكن تحطيمك مثمما حدث للرب!".

نهضت وأثناء نهوضها لفت القلنسوة حيث غطى لون المدفأة  
وجهها .. وبسرعة أخفى ضوء النيران تجاعيد وجهها الكثيرة.

شهق (إدوين) ودق قلبه بصوت مكتوم وهتف: "النار!" .. وتجمدت  
المعلمة في مكانها.

نظر (إدوين) إلى النار ثم إلى وجهها وهتف: "النار!" .. وابتعدت  
القلنسوة عن نظره مرة أخرى .. واختفى وجهها في البئر العميقة .. وقال  
(إدوين) كالخدر: "وجهك .. إنك تبدين مثل أمي!".

أسرعت إلى كتبها وأمسكت بأحدها .. وتحدثت إلى الأرقف بصوتها  
الحاد الروتيني الجميل: "النساء متشابهات .. أنت تعرف ذلك! .. انس  
ذلك .. ركز هنا الآن!".

وأعطته الكتاب وقالت: "اقرأ الفصل الأول! .. اقرأ اليوميات!".

أخذ (إدوين) الكتاب لكنه لم يشعر بأن له وزناً في يده .. ودمدمت  
النيران وشفطت نفسها بروعة إلى داخل المدخنة، بينما بدأ هو يقرأ

ونجاست المعلمة فى مقعدها واستراحت.. وكلما قرأ أكثر زاد انحناء  
القلنسوة حتى أصبحت ساكنة وأصبح وجهها المختفى كمطرقة الجرس  
المهيبة. وبينما هو يقرأ، أضاء نور النيران الحروف الحيوانية الذهبية  
للكتب الموضوعة على الأرفف.. ونطق الكلمات إلا أنه كان مشغول الفكر  
فى تلك الكتب التى محيت صفحاتها بالموسى وتم قصها وطمس بعض  
سطورها وتمزقت بعض صورها.. والفكان الجلديان لبعض الكتب  
مغريان بقوة.. والكتب الأخرى تشبه الكلاب المسعورة المكمنة  
بأحزمة برونزية لتقييدها.. فكر فى كل ذلك بينما تحركت شفتاه أثناء  
هدوء النيران.

فى البدء كان الرب موجوداً، ثم خلق الكون.. وداخل هذا الكون  
خلق العوالم وداخل هذه العوالم خلق القارات واليابسة.. ثم صور  
بيده ومن وحى خياله زوجته الحبيبة وطفلاً سوف يصبح بعد ذلك  
الرب نفسه...

أومأت المعلمة برأسها قليلاً.. وتحولت النيران بهدوء إلى جمرات  
واهنة.. واستمر (إدوين) فى القراءة.

انسل إلى داخل البهو هابطاً على الدرابزين متقطع الأنفاس..  
وصاح: أمى، أمى!

كانت ممددة على مقعد قديم متداع متقطعة الأنفاس كما لو كانت  
هى أيضاً قد جرت لمسافة طويلة.



"أمى.. أمى.. أنت مبلة للغاية!"

قالت كما لو كانت غلطته إنها كانت مندفة: "حقاً؟.. نعم، أنا مبلة بالفعل.. وأخذت نفساً عميقاً وتهدت.. ثم أخذت يديه وقبلتهما.. ونظرت إليه بثبات واتسعت عيناها وقالت: "حسناً جداً.. لكن انصت إلى جيداً.. لدى مفاجأة لك!.. هل تعرف من يأتى إلينا غداً؟.. لعلك لا تستطيع أن تخمن!.. عيد ميلادك يا عزيزى!"

"ولكن لم يمر على سوى عشرة أشهر!"

"وأنا أقول إن عيد ميلادك غداً!.. هيا، أرنا عجائبك!.. ولا تنس أن أى شىء أقوله يا عزيزى يكون صحيحاً."

ضحكت.. وقال هو: "وهل ستفتح حجرة سرية أخرى؟"

"نعم، الغرفة الرابعة عشرة!.. والخامسة عشرة فى العام القادم.. ثم السادسة عشرة والسابعة عشرة وهكذا.. حتى تبلغ عيد ميلادك الوجد والعشرين يا (إدوين)!.. وعندئذ سوف نفتح الأبواب ذات الأقفال الثلاثية لأهم الحجرات، وسوف تصبح رب البيت.. سوف تكون الأب.. أو لنقل الرب.. حاكم الكون كله!"

قال: "هيه.. هيه!.. وطوح الكتب عالياً فى الهواء.. انطلقت كمجموعة كبيرة من الحمام التى تتدافع.. وضحك.. وضحكت هى.. وطيير الهواء ضحكاتهما وأسقطها مع الكتب.. وجرى هو ليصيح ويهبط على الدرابزين مرة أخرى.. وانتظرته هى أسفل السلم ويدها مفتوحتان لكى تمسك به.

تمدد (إدوين) على سريريه المغطى بضوء القمر وأصابه تعبته بلعبته - عفريت العلبة - ولكن غطاء العلبة كان مقفولاً.. لفها بين يديه ببساطة دون أن ينتظر إليها، غداً عيد ميلاده!.. لكن لماذا؟.. هل هو جيد إلى هذه الدرجة؟.. لماذا إذن يأتى عيد الميلاد مبكراً هكذا؟.. حسناً، ذلك لأن الأشياء أصبحت.. ما الكلمة التى يمكن استخدامها؟ عصبية؟ نعم.. الأشياء بدأت تومض بالنهار والليل.. لقد رأى الرجفة البيضاء.. حيث يهبط ضوء القمر تدريجياً على الجليد الخفى فى وجه أمه.. سوف يحتاج الأمر بضعة أعياد ميلاد أخرى لتهدئتها وإسكاتها مرة أخرى.

وقال موجهاً كلامه إلى السقف: "يا أعياد ميلادى.. هل ستأتين أسرع اعتباراً من الآن؟.. نعم، أعرف ذلك.. ماما تضحك الآن بصوت عال جداً و عيناها ممتلئتان مرحاً!.....".

لكن هل ستدعى المعلمة إلى احتفال عيد الميلاد؟.. لا.. فالأم والمعلمة لم تلتقيا قط، ولم ذلك؟.. قالت المعلمة: "لأن....".

قال: "ألا تريدان أن تقابلى أُمى أيها المعلمة؟.. فقالت: "يوماً ما"... ثم انتشرت مثل خيوط العنكبوت فى القاعة.. وقالت: "نعم، فى يوم.. ما".

ترى أين تذهب المعلمة فى المساء؟.. هل تهيم على وجهها خلال تلك البلاد الجبلية السرية العالية هناك بالقرب من القمر، حيث تتعطر الثريات بالأتربة.. أم تهيم وراء تلك الأشجار الموجودة خلف الأشجار التى توجد خلف تلك الأشجار؟ لا، ليس هذا!

لوى اللعبة بين يديه المعروقتين.. فى العام الماضى عندما بدأت الأشياء تهتز ترتجف، ألم تقدم أمه عيد ميلاده عدة أشهر أيضاً؟.. نعم، أوه.. نعم!

فكر فى شيء آخر.. الرب.. الرب يبنى قبوياً بارداً فى منتصف الليل.. ثم حجرة على السطح حمصتها أشعة الشمس.. وبينهما جمع المعجزات الممكنة.. فكر فى ساعة موته بعد أن سحقته حشرة عملاقة وراء الجدار.. أوه!.. لا بد أن العالم ارتج بشدة إثر موته هذا!

حرك (إيوين) عفريت اللعبة إلى وجهه، وهمس عند غطائها قائلاً: أهلاً، مرحباً.. أهلاً، مرحباً!!..

لم يسمع أية إجابة غير الياى الملتف بقوة هناك.. وفكر فى نفسه: "سوف أخرجك.. فقط انتظر.. ربما هذا، لكن هناك طريقة واحدة.. هاهى".

انتقل من السرير إلى النافذة، وتدلّى منها إلى الخارج ناظراً إلى المعر المتعرق كالرخام فى ضوء القمر.. ورفع الصندوق عالياً وشعر بالعرق يتقاطر من إبطيه.. وأصابه مطبقة وإبطه يرتجف.. ثم قذف الصندوق بعيداً وهو يصيح.. وانقلب الصندوق حول نفسه فى الهواء البارد.. وأخذ وقتاً طويلاً قبل أن يصطدم بالأرضية الرخامية.. وانحنى (إيوين) أكثر إلى الخارج وهو يشهق.

صاح قائلاً: "حسناً.. حسناً جداً... أنت هناك!.. وتبدد صدى الصوت.. وجثم الصندوق فى ظلال الغابة.. ولم يستطع أن يرى ما إذا



كان الاصطدام قد حطمه أم لا.. ولم يستطع رؤية ما إذا كان العفريت خرج وهو يبتسم من محبسه الكريه أم برز فجأة وسط الريح فى هذا الاتجاه أو ذاك.. وما إذا كانت أجراسه الفضية تجلجل أم لا.. أصاغ سمعه ووقف بجوار النافذة لمدة ساعة يحدق وينصت وأخيراً دخل فى فراشه لينام.

تصاعدت أصوات بهيجة عن قرب وعن بعد.. داخل وخارج "عالم" المطبخ.. وفتح (إدوين) عينيه وتساءل: "أصوات من تلك؟.. ومن الذى يمكن أن يصدرها الآن.. هل هم بعض عمال الله؟.. هل هم أشخاص (دالى)؟.. لا، هذا غير ممكن لأن ماما تكرههم كلهم!.. ولم تلبث الأصوات أن خفتت إلى همهمة خفيفة.. ثم ساد سكون تام، ومن على مسافة كبيرة تنهى إلى سمعه صوت ركض متواصل ويزداد ارتفاعاً وارتفاعاً بالتدريج حتى انفتح الباب فجأة بقوة..

"عيد ميلاد سعيد!"

رقصا معاً وتناولوا بعض الكحكات المجمدة وقضما مكعبات الليمون وتجرعاً نبيذاً أحمر.. وهنا رأى اسمه مكتوباً على تورتة مكسوة بالثلج المجروش، بينما كانت أمه تعزف على البيانو وتطلق سيلاً من الأصوات والنغمات الجميلة.. ثم فتحت فمها لتغنى.. واستدارت لكى تقدم له طبقاً من الفراولة ومزيد من الخمر.. وتزايدت ضحكاتها حيث اهتزت ثريات السقف وتراقصت أشعة الضوء الساقط منها.. ثم برز أمامه مفتاح قصى، وعندئذ أسرعاً بفتح قفل الباب الرابع عشر المحظور فتحه.

هل أنت مستعد!... امسك نفسك جيداً!..

سمع صرير الباب وهو ينزاح جانباً داخل الحائط.

قال (إدوين) يا إلهي!.. ما أجمل هذا!..

لكن خاب ظنه بشكل كبير، لأن تلك الحجرة الرابعة عشرة لم تكن سوى حجرة صغيرة متربة لونها بنى كئيب.. ولم ير فيها شيئاً قط يبشر بأمر مهم أو مفيد أو مثير مثلما أعطته الحجرات الأخرى فى أعياد ميلاده السابقة!.. فمثلاً هدية عيد ميلاده السادس كانت حجرة الدراسة فى الأراضى المرتفعة.. وفى عيد ميلاده السابع فتح حجرة اللعب فى الأراضى المنخفضة.. وفى عيده الثامن، فتح حجرة الموسيقى.. وفى عيده التاسع فتح المطبخ المذهل ذى اللون النارى!.. وفى عيده العاشر فتح حجرة إسطوانات التسجيل التى تهمس كما لو كانت هناك خفنة من الأشباح تغنى بمصاحبة آلة نفخ رقيقة للغاية.. أما فى عيده الحادى عشر فقد دخل فى حديقة واسعة خضراء اللون مرصعة بالماس ويمتد فيها بساط لا يلزم كنسه وإنما فقط قطع الجزء المتسخ منه وفرد جزءاً جديداً بدلاً منه، وهكذا!..

قالت أمه وهى تضحك وتدفعه إلى داخل تلك الحجرة الصغيرة: يا إلهي، لا تكن محبطاً هكذا.. سر وادخل!.. ولكن انتظر قليلاً حتى يتبين جيداً هذا المكان السحري!.. والآن اقف الباب!..

ضغطت على زر أحمر مثبت داخل الحائط.. وهنا صرخ (إدوين) قائلاً: لا، لا تفعل ذلك!.. ذلك أن الحجرة كانت ترتعد وتعمل على نحو ما،

كفهم كبير التقطهما داخل فكيه الحديدين.. ثم تحركت الحجرة وانزلق بابها جانبياً منغلقةً إلى أسفل.. وقالت الأم: "اصمت الآن يا عزيزى". وبدأ الباب يهبط إلى أسفل خلال الطابق، ثم انزلق أمامهما جدار غامض خال طويل كثعبان يصدر حفيفاً لا ينتهى.. ثم ظهر باب آخر وطابق آخر معه لا يتوقف وإنما يتحرك.. وصرخ (إدوين) وقبض بقوة على خصر أمه.. وعوت الحجرة الصغيرة وألقت بما فى داخلها فى مكان ما، وهنا توقفت الرجفة وجثمت الحجرة ساكنة. حدق (إدوين) فى باب جديد عجيب وسمع أمه تقول له: "هيا افتح هذا الباب، الآن". وسرعان ما اتضح له أن الباب الجديد يفتح فمه لهما مبدئاً سرّاً جديداً.. وقفل (إدوين) عينيه وفتحهما فى دهشة.

"الأراضى المرتفعة!.. هذه هى الأراضى المرتفعة!.. لكن كيف وصلنا إلى هنا؟.. وأين حجرة الجلوس والمعيشة؟.. نعم، أين حجرة المعيشة يا أمى؟".

أخرجته معها من الباب ثم قالت له: "لقد وثبنا إليها مباشرة، أو لنقل إننا طرنا إليها!.. وأنت سوف تطير هكذا مرة كل أسبوع إلى المدرسة بدلاً من الجرى طوال الطريق المؤدى إليها!".

مازال غير قادر على السير، فقط وقف يحدق فى سر استبدال أرض ما بأخرى.. استبدال دول بأخرى أعلى منها.. وقال: "يا لروعة ذلك يا أمى".



قضايا معاً وقتاً طويلاً رائعاً بين أعشاب ونباتات الحديقة واسترخيا  
فيها بسعادة ومرح، وشربا أكواباً ضخمة من عصير التفاح، بينما مرافق  
أيديهم مسندة إلى وسادات من النجيل الحريري أحمر اللون، وقد خلعا  
أحذيتيهما وأصابع أقدامهما مغروسة في نباتات الهندباء البرية اللاذعة  
والبرسيم الحلو. وقفزت الأم من مكانها مرتين عندما سمعت زئير الوحوش  
فيما وراء الغابة، فقبلها (إدوين) على وجنتها وقال لها بحب: "لا بأس  
يا أمي.. سوف أقوم بحمايتك فلا تخافى شيئاً".

قالت له بمرح: "أعرف أنك ستفعل ذلك".. ثم استدارت لتحقق في  
أشكال الأشجار المحيطة، كما لو أنه في أى لحظة سوف يؤدي الضجيج  
والاضطراب الموجود هناك إلى تحطيم الوحش العملاق للغابة بضرية ما  
وأيضاً سحقها بأقدامه الهائلة وتحويلها إلى تراب!.

وفي أواخر فترة العصر الطويلة الثقيلة رأيا شيئاً فضى اللون يطير  
عالياً خلال فجوة في الأشجار الضخمة ويطلق أصواتاً مدوية.. وجرياً  
متجهين إلى غرفة المعيشة مخفضي الرأس بسبب هبوب عاصفة رعديّة  
ممطرة عنيفة.. ومن حولهما تصدر أصوات هادرة تصم الأذان وتهطل  
أمطار هائلة توشك أن تفرقهما.

أصوات طقطقة أو فرقعة، وهكذا تحول احتفال عيد الميلاد إلى  
خواء وعدم. وفي وقت الغروب، في حجرة المعيشة الهادئة المعتمدة،  
تجرعت الأم الشمبانيا بقمها الوردى الشاحب وأخذت تشم رائحتها  
بمنخاري أنفها الصغيرين.. ولما كاد النعاس يغلبها، قادت (إدوين)  
إلى حجرته وأقفلت بابها عليه.

خلع ملابسه ببطء فى صمت وهو يفكر فى أمر هذا العام والعام  
التالى، وأى حجرة سوف يفتحها بعد عامين أو ثلاثة من الآن؟.. وماذا  
بشأن الوحوش والحيوانات المفترسة فى الخارج؟.. وهل هى التى قتلت  
وهربت أباه؟.. وما معنى القتل؟.. وما الموت؟.. هل الموت إحساس  
مثلاً؟.. وهل استمتع أبوه بالموت كثيراً إلى الدرجة التى جعلته لا يعود  
أبداً؟.. هل يمكن اعتبار أن الموت رحلة ما؟

وفى الصالة، فى طريقها إلى الطوابق السفلى، ألقت الأم زجاجة  
الشمبانيا.. سمع (إدوين) ذلك وسرت رعدة فى جسده عندما خطرت إلى  
ذهنه فكرة هى نفس ما سوف تقوله أمه.. فإذا سقطت الزجاجة أو  
انكسرت، فسوف تجد فى الصباح مليون قطعة متفتتة منها.. نعم، زجاج  
كريستال متألئ ونبيذ خالص مسكوب على خشب الأرضية الباركيه،  
هذا ما سوف تراه فى الصباح.

انتشرت بحجرته فى الصباح روائح الكروم والأعشاب والطحالب..  
بدت له كرائحة جيدة ولكن غامضة.. والمؤكد أنه فى تلك اللحظة سوف  
يكون طعام الإفطار جاهزاً على موائد الشتاء بمجرد طقطقة أصبعه!

استيقظ (إدوين) ليغتسل ويرتدى ملابسه وينتظر بارتياح.. الآن  
سوف تكون الأشياء طازجة وجديدة لمدة شهر على الأقل، واليوم مثل كل  
الأيام سوف يكون هناك إفطار ومدرسة وطعام غداء وأغانٍ فى حجرة  
الموسيقى.. وقضى ساعة أو ساعتين فى ممارسة الألعاب الكهربائية..  
ثم تناول الشاي فى الحديقة على الأعشاب الزاهية.. ثم الذهاب إلى المدرسة

مرة أخرى فى ساعة متأخرة أو نحو ذلك، حيث يتجول هو والمعلمة معاً فى أرجاء المكتبة المراقبة ويفكر فى بعض الكلمات والأفكار المتعلقة بالعالم الخارجى.. العالم الموجود بعيداً هناك والمختفى عن ناظره!

لقد نسى رسالة المعلمة.. والآن عليه أن يسلمها إلى أمه.. فتح الباب وكانت الصالة خالية.. وانتشرت فى أعماق العوالم سحابة رقيقة متحركة فى صمت تام لا تقطعه أصوات أى وقع أقدام.. كانت التلال ساكنة والأحرف المطبعية الفضية لا تنبض فى أول ضوء للشمس.. والدرابزين يلتف وسط الضباب المحيط كوحش من عصور ما قبل التاريخ يحدق فى داخل حجرته. ابتعد عن هذا الوحش ليجث عن أمه، كقارب أبيض صغير قذفته أمواج المد والجزر فى الفجر والأبخرة الموجودة أسفل منها.

لكنها لم تكن هناك.. وأسرع ليهبط خلال الأراضى الساكنة وهو ينادى: "أمى.. أمى!". ثم وجدها فى غرفة المعيشة ممددة على الأرض ومرتدية فستانها الذهبى اللامع الذى كانت ترتديه فى حفلة عيد ميلاده، وتمسك فى إحدى يديها بكأس الشمبانيا وفتات الزجاج المكسور متناثرة حولها على البساط.

كان واضحاً أنها نائمة، ولذلك جلس على مائدة الإفطار السحرية. وحدق فى المشمع الأبيض الخالى والأطباق اللامعة.. لم يكن هناك أى طعام.. طوال حياته كان يجد طعاماً رائعاً ينتظره هنا.. لكن الآن لا يوجد شئ من ذلك..



جری ناحیة أمه وقال لها: "أمی.. استیقظی!.. هل سأتذهب إلى المدرسة؟.. أين الطعام؟.. استیقظی أرجوكم!.. ولما لم يجد أية استجابة منها جرى إلى السلم وصعده وثباً.

كانت الأراضي المرتفعة كثیبة ومعتمة والشموس الزجاجية البيضاء لم تعد تتألق فی الأسقف فی هذا اليوم الضبابی الكئيب.. واندفع (إبرین) یجری فی ممرات مظلمة وقارات كاملة یلفها صمت مطبق.. أخذ یدق ویدق على باب المدرسة، ومن تلقاء نفسه انزاح الباب جانبياً وهو یعوی.

كانت المدرسة خالية ومظلمة.. لم تعد هناك أية نيران متقدة فی المدفأة وتلقى بظلالها على الأسقف المضاعة؟.. لم یعد هناك أي همس أو صوت.. وقال: "أین أنت یا معلمتی؟.. ووقف لبرهة وسط الحجرة الباردة المستویة.. وصرخ قائلاً: "أین أنت یا معلمتی؟".

جذب الستائر جانباً وعندئذ سقط شعاع خافت من الضوء من خلال الزجاج المتسخ بالبقع، أوماً (إبرین) بیدیه وأمر النار بأن تتقد مثل الفشار وهو ینضج على النار.. وأمرها بأن تشتعل!.. ثم قفل عینیه لإعطاء المعلمة بعض الوقت لكي تظهر.. ولما فتح عینیه ذهل مما رآه على مكتبها.

كان فستانها وقبعتها الرمادين مطويين بئناقة على سطح المكتب وفوقهما تلمع نظارتها القضیة وقفاز رمادی واحد. لمس تلك الأشياء ووجد أن قفازاً واحداً ناقصاً.. ووجد أصبع تجميل ذهني موضوعاً على الفستان.. جرب هذا الاصبع على یده فوجده یصنع خطوطاً داكنة.

تراجع إلى الخلف وحقق في غستان المعلمة الخالي ونظارتها وأصبح التجميل.. ولست يده مقبض أحد الأبواب الذي كان دائماً مقفلاً.. انفتح الباب بأكمله ببطء ووجد نفسه ينظر إلى داخل حجرة بنية صغيرة.. وهتف: "معلمتي!".. وجرى إلى داخل الحجرة ولم يلبث الباب أن انقل بقوة.. وضغط على زر أحمر فوجد الحجرة تهبط إلى أسفل ومعها هبطت عليه برودة بروعة.

كان العالم صامتاً وساكناً وبارداً.. المعلمة غير موجودة وأمه نائمة.. وهبطت الحجرة إلى أسفل حاملة إياه داخل فكيها الحديدين.. وارتطمت الآلات ببعضها البعض وانفتح باب ما جانبياً وجرى (إدوين) خارجاً منه.. إنها حجرة المعيشة أخيراً! لم يكن خلفه أي باب، وإنما خرج هو من وسط لوح كبير من خشب البلوط.

هاهى ذى أمه نائمة دون أن يأبه لها أحد.. وبعد أن أدارها على جانبها وجد تحتها أحد قفازي المعلمة الرماديين الناعمين مطويين على نفسه. وقف بالقرب منها حاملاً القفاز العجيب لفترة طويلة.. وأخيراً شعر بالضيق والقلق، وجرى عائداً إلى الأراضي المرتفعة. انتظر برهة ولكن معلمته لم تأت.. كانت المدفأة باردة والحجرة خالية تماماً.. ثم انتظر برهة أخرى ولكن معلمته لم تأت أيضاً.

ركض عائداً من جديد إلى الأراضي المنخفضة المهيبة وأمر المائدة أن تملئ بأطباق الطعام الساخن!.. لكن لم يحدث شيء.. فجلس بجوار أمه يكلمها يستعطفها أن تصحو ويلمس يديها.. وكانت يداها باردتين..

ودقت ساعة الحائط وتغير الضوء فى السماء وما زالت أمه جاثمة على الأرض بلا حراك.. بيد أنه كان جائعاً فى الوقت الذى تساقط فيه تراب صامت فى هواء كل العوالم التى تحيط به.

فكر فى معلمته وأدرك أنها لو لم تكن فى أى من التلال والجبال بأعلى، إذن هناك مكان واحد يمكن أن تكون فيه.. لا ريب أنها تجوات كثيراً بطريق الخطأ فى المناطق البعيدة بالخارج وضلت الطريق حتى يعثر عليها شخص ما.. ومن ثم فعليه أن يخرج وينادى عليها ويحضرها لكى توقظ أمه وإلا فإنها سوف تتمدد هنا إلى الأبد حيث يظل التراب يتساقط عليها فى هذا المكان الواسع المظلم.

عاد أدراجه من خلال المطبخ ورأى الشمس قبل غروبها بقليل وسمع الوحوش تصيح بصوت خافت بعد حافة العالم. تشبث بحائط الحديقة بدون أن يجرؤ على تركه.. ورأى وسط الظلال على مسافة ما الصندوق المحطم الذى كان قذفه سابقاً من النافذة.

تراقصت بقع من ضوء الشمس على الغطاء المكسور للصندوق وأخذت تلامس أكثر فأكثر وجه عفريت العلبة الذى وثب من داخل الصندوق وتمدد على الأرض باسطقاً قدميه، وذراعيه فوق رأسه.. معبراً عن حصوله أخيراً على حريقه الأبدية. ابتسمت الدمية ولم تبتسم.. ابتسمت ولم تبتسم، عندما رأت ضوء الشمس يسقط برقة على فمها.. ووقف (إدوين) فوقها ويجورها كما لو كان منوماً تنويماً مغناطيسياً.



فتحت الدمية ذراعيها باتجاه الممر الفاصل بين الأشجار السحرية..  
إنه الممر المحظور الملطخ بالروث دهنى القوام للوحوش.. إلا أن الممر  
كان ساكناً، وأحس (إدوين) بالدفع بسبب حرارة الشمس.. وسمع الريح  
تهب برفق بين الأشجار. وأخيراً ترك جدار الحديقة، ونادى: "معلمتى!"..  
ثم تقدم ببطء بضع خطوات على الممر وتابع: "معلمتى!"..

انزلق حذاؤه على روث الحيوانات وحقق إلى بعيد فى النفق الساكن  
دون أن يرى شيئاً.. وفجأة تحرك الممر تحته، بينما تحركت الأشجار  
من فوقه.. ونادى: "معلمتى!".. ويعلها تحرك ببطء ولكن بثبات ثم  
استدار.. ورأى وراءه عالمه، وكذا صمته المطبق الحالى.. وأخذ عالمه  
يتناقص حتى أصبح صغيراً.. ما أعجب أن يراه الآن أقل مما كان من  
قبل!.. فكثيراً ما كان العالم كبيراً للغاية.. وشعر بأن قلبه يتوقف عن  
الدق.. تراجع إلى الوراء، وهو خائف من صمت وسكون العالم، ثم  
استدار على عقبيه ليواجه طريق الغابة الذى أمامه.

كل شيء أمامه كان جديداً.. ملأت الروائح الذكية منخاريه،  
وامتلأت عيناه بمشاهد الألوان المختلفة والأشكال الغريبة والأحجام المذهلة  
للأشياء.. وقال لنفسه: "لو جريت وراء تلك الأشجار فسوف أموت حتماً..  
لأن هذا ما قالت أمى: "سوف تموت، سوف تموت".

لكن ما هو الموت، هل هو حجرة أخرى؟.. حجرة زرقاء أو خضراء،  
أكبر بكثير من كل الحجرات التى سبق أن رأيته!.. وأين مفتاح تلك  
الحجرة؟.. إننى أرى من بعيد باباً حديدياً ضخماً نصف مفتوح..

بوابة من الحديد المطاوع.. ووراء حجرة كبيرة جداً بحجم السماء... كل الأشياء والأشجار والأعشاب لونها أخضر!.. عجباً!.. أين أنت يا أمى.. أين أنت يا معلمتى؟.

اندفع وهو يركض وتعثّر ووقع على الأرض وقام وجرى مرة أخرى وشعر بقدميه تنحدران تحته وتتخلفان ورائه وهو يهبط من على جانب التل.. لكن الممر اختفى الآن وهو يبكي وينوح.. وسرعان ما توقف عن البكاء والنواح ولم يعد يصدر عنه أى صوت.. أخيراً وصل إلى البوابة الحديدية الضخمة الصدئة الزائقة وقفز من فوقها.. وتناقص العالم من ورائه.. لكنه لم ينظر إلى عوالمه القديمة ورائه، وإنما ركض بسرعة وهذه العوالم تزوى وتختفى من خلفه.

وقف رجل الشرطة عند رصيف الطريق وهو يراقب الطريق وغمغم: "تباً لهؤلاء الصبية.. لم أعد قادراً على وصفهم".. وسأله أحد المشاة: "ما معنى ذلك يا رجل؟".. فكر رجل الشرطة ملياً فى الإجابة ثم قال: "منذ ثانيّتين جرى صبى صغير بجوارى هنا.. كان يضحك ويبكى، ويبكى ويضحك بالتتابع!.. وأخذ يثب إلى أعلى وأسفل ويلمس ويتحسس كل شىء يصادفه.. مثل أعمدة النور وأعمدة خطوط الهاتف وحنفيات الحريق وحتى الكلاب والناس... إلخ.. وأيضاً أشياء يعرفها الجميع مثل أرصفة الطرق والأسوار والبوابات والسيارات والنوافذ ذات الزجاج المصقول وأعمدة الإعلان عن محال الحلاقة.. والأغرب من ذلك أنه أمسك بتلابيبى وحدق فى برهة ثم حدق فى السماء لبعض الوقت.. ورأيت دموعه تنساب وسمعته يصرخ و يصرخ ويتفوه بكلمات غريبة".

سأله الرجل السائر في الشارع: "تري ما الذي قاله بالضبط وهو يصرخ؟".

قال الشرطي: "أخذ يصرخ ويقول: أنا ميت.. أنا ميت.. أنا سعيد لأنني ميت.. أنا ميت.. أنا سعيد لأنني ميت.. أنا ميت.. أنا ميت.. أعرف أن الموت شيء جيد.. ثم حك الشرطي ذقنه ببطء وأردف: "أظن أنه أحد أولئك الصبية الذين أدمنوا الكثير من ألعاب الأطفال وأطلق لخياله العنان!".



## الرحيل

كانت امرأة تمسك دائماً فى يدها بمكنسة أو حاوية للمكناسة أو خرقة تنظيف أو مغرفة خلط الطعام.. وأنت تراها تقطع القشرة الطرية الخارجية للكيك فى الصباح وهى تدندن.. أو تراها وهى ترتب الأقراص المخبوزة وقت الظهيرة أو تأخذها باردة وقت الغسق.. وتقرع الأقداح الخزفية كما لو كانت تدق جرساً وهى تضعها فى أماكنها.. وتتحرك بخفة خلال القاعات بثبات كمكنسة كهربائية وهى تبحث عن أشياء ثم تجدها وتصحيحها وتعديلها.. وهكذا دواليك.

لمعت كل نافذة حيث صارت كالمرآة لكى تلتقط أشعة الشمس.. لكنها لم تهزول سوى مرتين فى الحديقة وهى ممسكة بمجرفة صغيرة النباتات، حيث ترتفع الزهور بألوانها الزاهية التى تشع الدفء فى كل مكان من حولها.. ثم تنام بهدوء ولا تتقلب فى فراشها سوى ثلاث مرات طوال الليل وتسترخى كقفاز أبيض اللون ملقى فى هدوء وسوف تعود إليه من الفجر يد رشيقة وسريعة.. وسارت واقتربت من بعض الصور التى تكاد تنطق من الدقة والتجسيد ولم تلبث أن عدلت براويزها.

ولكن.. الآن.. ماذا بعد؟

قال شخص ما: "جدتى.. أم جدتى".

بدا حينئذ كما لو أن حساب مقدار ضخم جداً قد اقترب من نهايته.. كان لديها ديوك محشوة وبجاج وحمام ورجال وأولاد.. انتهت فعلاً من تنظيف الأسقف والجدران والمرضى والأطفال.. وقامت بفرش مشمعات الأرضية وإصلاح الدراجات وضبط الساعات والمنبهات وزيادة النار المتقدة في الأفران.. ومسحت بصبغة اليود على عشرات الآلاف من الجروح الخطيرة!

وخلال ذلك كله تحركت يداها يميناً ويساراً وإلى أسفل وفي كل مكان، لكي تأخذ هذا وتمسك ذاك وتقذف كرات البيسبول وتلف مضارب الكروكيه اللامعة وتنتثر البذور في القرية الطينية السوداء أو تضع الأغذية على أواني الزلاية ويخنة اللحم وعلى الأطفال الذين غشاهم النعاس.. وكانت قد أنزلت ستائر النوافذ وهذبت الشموع ودورت مفاتيح التشغيل و.. تقدمت في العمر.

استرجعت في ذهنها ثلاثين بليوناً<sup>(١)</sup> من الأشياء التي بدأتها ونفذتها وأنهتها.. أحصتها كلها بدقة.. وهي تقف الآن معسكة بقطعة طباشير، ووقفت برهة ساكنة قبل أن تمد يدها لتمسك بالمحاة.

---

(١) البليون يساوي ألف مليون. (المترجم).

قالت أم الجدة: "دعوني أرى الآن.. دعوني أرى..".

دون أية جلبة أو وضوء، تحركت في كل مكان بالمنزل، أثناء تفقدها الذي لا ينتهي للأشياء.. وأخيراً وصلت إلى السلم.. ودون أية بيانات صعدت ثلاث سلّمات إلى حجرتها، حيث تمددت في هدوء كالتمثال تحت ملاءات السرير قارسة البرودة.. وبدأت تحتضر.

مرة أخرى تتعالى أصوات: "جدتي.. أم جدتي".

شائعة ما كانت تفعله هبطت إلى الطابق السفلي وانتشرت كالموجات في كل الحجرات.. وإلى خارج النوافذ والأبواب بل على طول الشارع الذي تكتنفه من الجانبين أشجار الدردار التي تشرف على واد منحدر أخضر اللون.

"هنا.. الآن، هنا!.. وأحاطت الأسرة كلها بسريرها".

همست المرأة العجوز قائلة: "أرجوكم دعوني أموت في هدوء".

لم يكن من الممكن رؤية مرضها بالمجهر.. مجرد إنهاك عادي ولكنه متزايد باستمرار.. ونقص بسيط في وزن جسدها النحيل.. ورغبة متكررة في النوم والنعاس.

بالنسبة إلى أولادها وأولاد أولادها، بدا من المستحيل أن مثل هذا التصرف البسيط للاسترخاء - وهو أكثر الأشياء اعتياداً في العالم - يمكن أن يسبب لهم كل هذا الخوف.



أم جدتى.. أصغى إلينا.. ما تفعلينه الآن ليس أفضل من إنهاء عقد إيجار هذا المنزل.. فالمنزل سوف ينهار بدونك.. لكن يجب عليك إخطارنا بإخلاء المنزل مع إعطائنا مهلة عام كامل!"

فتحت أم الجدة عيناً واحدة.. وحدقت بعين هادئة عمرها تسعون عاماً فى أطبائها، كسحابة من الغبار المتصاعد من نافذة القرن بمنزل خال بسرعة.. وهمست: "(توم)؟".

حضر الصبي بمفرده إلى سرير المرأة الهامسة.

همست بضعف كما لو أن صوتها يأتى من بعيد: "(توم)، فى منطقة البحار الجنوبية، هناك يوم ما فى حياة كل إنسان يعرف فيه أنه حان وقت مصافحة كل أصدقائه وتوديعهم ثم الرحيل إلى بعيد.. وما يفعله هذا أمر طبيعى جداً، لأنه يفعل هذا فى وقته الصحيح.. وهذا نفس ما يحدث لى اليوم.. إننى أشبهك أحياناً، حيث أجلس فى انتظارك بعد ظهر كل يوم سبت حتى الساعة التاسعة مساءً، ووقتها أرسل أبوك لإحضارك إلى المنزل..

"(توم)، عندما يحين وقت المرء، يقوم نفس رعاة البقر بإطلاق النيران على نفس الهنود الموجودين على ذات الجبل.. وهنا يستحسن طى الكرسى والتوجه إلى الباب، بدون أى حزن أو أسى وبدون تراجع إلى الوراء.. ولذلك أنا راحلة الآن وفى نفس الوقت سعيدة ومستمتعة".

بعد ذلك جاء دور (دوجلاس) للحضور إلى سريرها.

"جدتى.. من سوف يضع ألواحاً لتكسية السقف فى الربيع القادم؟"  
ولن لا يعرف، ففى شهر أبريل من كل عام، منذ آلاف السنين تقريباً..  
كان المرء يظن أن طيور نقار الخشب تدق بمناقيرها فى سقف المنزل..  
لكن لا، لم يكن ذلك سوى أم الجدة التى تصعد إلى هناك بطريقة ما  
وتغنى وتدق المسامير وتستبدل ألواح الخشب القالفة بأخرى جديدة،  
عالياً هناك فى السماء!

همست قائلة: "(دوجلاس)، لا تدع أى شخص يستبدل ألواح السقف  
ما لم يكن مستمتعاً بذلك".  
نعم يا جدتى، سأفعل ذلك.

"انظر حولك عندما يأتى شهر أبريل وقل: "من يريد إصلاح سقف  
المنزل؟" .. والوجه الذى سوف يتهلل هو الوجه الذى تريده يا (دوجلاس)..  
فمن هناك أعلى السقف يمكنك أن ترى البلدة بأكملها وهى تمتد باتجاه  
المناطق الريفية التى تمتد بدورها إلى حافة الأرض والنهر المشرق  
وبحيرة الصباح والطيور الجاثمة فوق الأشجار أسفل منك، والرياح  
تصفى فى كل مكان من حولك.. كل شىء من أولئك يكفى لجعل المرء  
يتسلق دواره الرياح وقت الشروق فى أحد أيام شهر أبريل.. إنها ساعة  
رائعة لو أعطيتها نصف فرصة واحدة....".

وضعف صوتها إلى مجرد همهمة يكاد لا يسمعها أحد..  
وانخرط (دوجلاس) فى البكاء، رفعت نفسها مرة أخرى وقالت: "الآن قل  
لى بربك لماذا تفعل ذلك؟".

"لأنك لن تكونى هنا غداً".

أعطت امرأة يد صغيرة إلى الصبى، وتظر هو إلى وجهها ثم إلى وجهه ثم إلى وجهها مرة أخرى وهى تقول: "فى صباح غد سوف أستيقظ فى الساعة السابعة وأغسل ما خلف أذنى، ثم أسرع إلى الكنيسة مع (شارلى وودمان)، وأتناول طعام الغداء بحديقة "الكترىك"، وأسبح قليلاً وأجرى عارية القدمين، وأجرى بعيداً عن الأشجار وألوك لبان النعناع.. (بوجلاس) يا بنى، يا للخجل!.. أنت تقرض أظافر أصابعك، أليس كذلك؟".

"بلى يا جدتى".

"وأنت لا تصرخ عندما يجدد جسمك نفسه مرة كل سبع سنوات أو نحو ذلك.. الخلايا القديمة تموت وتحل محلها خلايا جديدة فى أصابعك وأطرافك وقلبك وكل جسمك.. وأنت لا تلاحظ أو تنتبه إلى ذلك، أليس كذلك؟".

"بلى يا جدتى".

"حسناً، فكر فى ذلك يا بنى.. أى إنسان يحتفظ بقلمه أظافره يكون أحمق.. هل رأيت أبداً شعباناً يهتم بالحفاظ على جلده الذى انسلخ منه؟.. إذن كل ما ستخرج به من حجرتى هذه فى يومنا هذا هو أظافر أصابعك وجلد الشعبان.. إن نفساً قوياً واحداً سوف يمزقنى إرباً.. والشئ المهم ليس "أنا" المتمددة هنا ولكن "أنا" الجالسة على حافة السرير



ويتنظر خلفاً إلى، و"أنا" الموجودة بالطابق السفلى تطبخ طعام العشاء أو بالجراج خارج المنزل ترقد تحت سيارة أو فى المكتبة تقرأ.. وكل الأجزاء والأشياء الجديدة لها أهمية.. إننى لن أموت بالطبع اليوم، إذ لم يمض أى شخص له أسرة.. إننى ساكون فى الجوار لفترة طويلة جداً.. وبعد آلاف السنين من اليوم سوف ينشغل ملء قرية من نريتى بأكل تفاحنا اللاذع الذى ينمو فى ظل أشجار الصمغ.. هذه هى إجابتى لأى شخص يسأل أسئلة كبيرة!.. هيا، أسرع الآن واستدع الباقين!..

وفى النهاية وقفت الأسرة كلها، كمجموعة من الناس يرون شخصاً مسافراً بمحطة قطار بعيدة، وهم ينتظرون بالحجرة.

قالت أم الجدة: "حسنًا.. ها أنا ذا هنا.. إننى لست متواضعة، ولذلك أنا سعيدة بوقوفكم جميعاً هنا من حول سريرى.. والآن فى الأسبوع القادم هناك عمل بالحديقة تأخر وقته وتنظيف دورة المياه وشراء ملابس للأطفال يجب القيام بها.. ونظراً لعدم وجود الجزء الخاص بى والمسمى للسهولة "أم الجدة" هنا لعمل أى شىء، فإن الأجزاء الأخرى منى المسماة العم (بيرت) و(ليو) و(توم) و(بوجلاس) وكل الأسماء الأخرى سوف يتحملون مسئوليتهم، كل على حدة،

"نعم يا جدتى".

"لا أريد هنا أى حفلات عيد القديسين غداً.. ولا أريد أى كلام حلو يتحدث به أحد عنى.. لقد قلت مثل ذلك فى حياتى وكنت أفخر به.. لقد ذقت كل طعام ورقصت كل رقصة.. ولم تتبق كعكة أو تورتة واحدة

لم أذوقها، نعمة واحدة لم أتغن بها.. لكننى لست خائفة.. غير أننى قلقة فعلاً.. فالموت لن يضع فى فمى كسرة خبز لن أمسكها وأذوقها، لذلك لا تقلقوا على.. والآن انصرفوا جميعاً ودعوني أنام وأرتاح.

هذا أفضل

ويعفوها تدثرت بارتياح بالبطاطين التيل والصوف الدافئة والملامات والمفرش.. وأصبحت ألوان اللصاف المكسو برقع قماشية ملونة زاهية كالرايات التى كانت ترفع فى السيرك فى الأيام الخالية. وبينما هى راقدة فى السرير هكذا، شعرت بضالتها وعزلتها مثلما حدث فى أوقات الصباح فى تلك الأيام منذ أكثر من ثمانين عاماً عندما كانت تستيقظ وتريح عظامها الرقيقة فى الفراش.

وتذكرت أنه منذ وقت طويل: "حلمت حلماً واستمتعت به كثيراً عندما أيقظنى شخص ما.. كان هذا يوم مولدى!.. والآن؟.. سأتى ما الموقف".

وعادت بذاكرتها إلى الوراء وتساءلت "أين كنت؟.. تسعون عاماً.. كيف يمكننى أن أستعيد طابع وشكل هذا الحلم مرة أخرى؟.. وفردت يدها الصغيرة.

هناك.. نعم، ها هو ذا.. وابتسمت.. وأدارت رأسها على وسادتها وهى متدثرة ببطاطينها الدافئة.. نعم، هذا أفضل.. الآن، نعم الآن، وأنه

يتشكل فى عقلها بهدوء، وفيه صفاء وسكون كبحر ينساب على شاطئ متجدد لا نهاية لامتداده.. وتركت الحلم القديم يقترب منها ويرفعها من داخل البطاطين ويدفعها فوق السرير الذى كادت تنساه.

وفى الطابق الأسفل فكرت فى أنهم يلمعون الصوانى والأدوات الفضية ويفتشون القبو وينفضون التراب من الصالات.. أمكنها أن تسمعهم يعيشون حياتهم فى كل أرجاء المنزل.

همست أم الجدة، بعدما جعلها الحلم تعوم إلى أعلى: "هذا رائع جداً.. مثل كل شىء آخر فى الحياة.. نعم، لا بأس بهذا".  
ودفعتها أمواج البحر باتجاه الشاطئ من جديد..



## التعويدة

خرجت من الحمام وهي تضع على إصبعها صبغة اليود، إذ كانت تقطعه عندما حاولت أخذ جزء من كيكة جوز الهند.. وفي تلك اللحظة أقبل ساعى البريد على سلالم المدخل المسقوف، وسار إلى الداخل وأقفل الباب وراءه بقوة. ووثبت (الميرا براون) واقفة عندما رآته.

صاحت: "(سام)!".. وحركت إصبعها الذي عليه صبغة اليود في الهواء لتبريده وأردفت: "يا للعجب!، إننى مازلت غير معتادة على أن زوجى ساعى بريد.. فى كل مرة تدخل المنزل أشعر بالخوف يذب فى جسدى!"

وقف (سام براون) هناك وحقييته البريدية نصف فارغة وهو يهرش فى رأسه.. ونظر خلفه إلى الباب كما لو أن ضباباً قد انسل بعده إلى الداخل فى ذلك الصباح الوداع من أيام الصيف.

قالت: "(سام)، لقد عدت مبكراً اليوم إلى المنزل".

قال بصوت قلق ومتحير: "لم أستطع البقاء أكثر من ذلك".

قالت: "قل لى بسرعة ما الأمر؟" .. وأقبلت عليه وتفرست فى وجهه.  
"وربما لم يحدث شىء، وربما حدث الكثير، لا أدرى.. لقد أوصلت  
البريد لتوى إلى السيدة (كلارا جودووتر) فى آخر الشارع و.....".  
(كلارا جودووتر)، عجباً!.

"لا تتضايقى يا حبيبتى.. كل ما فى الأمر أننى كنت أسلم لها كتباً  
من شركة (جونسون سميث)، من (راسين)، و(يسكونسين)..  
وعنوان أحد الكتب كان.. سوف أتذكر الآن..

تجههم وجهه قليلاً ثم زال تجهمه وأردف: "البرتوس ماجنوس) -  
نعم هذا هو اسم المؤلف.. وعنوانه الأسرار المصرية الطبيعية المحققة  
والمؤكددة والمتجانسة أو...". وصدق فى السقف لكى يتذكر الكلمات جيداً..  
وأضاف "فن قوى الخير والشر للإنسان والحيوان.. الكشف عن المعرفة  
المحرمة والغاز الفلاسفة القدماء!..

لقد قلت (كلارا جودووتر)، أليس كذلك؟.

"بلى، بينما كنت متجهاً إلى هناك توفرت لى الفرصة لتصفح  
الصفحات الأولى، وطبعاً لا ضير من ذلك!.. وقرأت ما يلى "الأسرار  
الخفية للحياة اكتشفها الدارس والفيلسوف والكيميائى وعالم الطبيعة  
والمنجم وعالم المعادن والساحر ومفسر الغاز السحر والسحرة، علاوة  
على وجهات نظر غامضة عن الكثير من الفنون والعلوم الغامضة  
والبسيطة والعملية... إلخ.. وهناك، يا إلهى!.. لقد لفت رأسى كالطاحونة..  
قرأت الكلمات فعلاً لكتنى لم أفهم معناها..

وقفت (الميرا) وهى تنظر إلى إصبعها وعليه صيغة اليهود كما لو كان شخص خفى يوجهه إليها.. وغمغمت قائلة: "(كلارا جودووتر)، يا إلهي!".

"لقد نظرت فى عينى مباشرة وأنا أناولها الكتب وقالت لى: "سوف أعمل ساحرة من الدرجة الأولى لا شك فى ذلك.. وسوف أحصل على شهادة تخرجى قريباً جداً.. وسرعان ما سوف أمارس مهنتى هذه.. سأقوم بأعمال السحر وتجهيز التعويذات للمجموعات والأفراد والكبار والصغار ولكل من هو ضخم أو صغير الحجم!".. ثم افتر ثغرها عن ابتسامة.. ووضعت أنفها داخل أحد الكتب وسارت إلى الداخل.

نظرت (الميرا) إلى كدمة فى ذراعها ومسحت بلسانها على سن مخلخلة فى لثتها.

انصفق باب منقفاً.. وهنا نظر الفتى (توم سبولدينج) وهو جاث على ركبتيه فى الحديقة الأمامية لمنزل (الميرا براون) إلى أعلى.. كان يهيم هنا وهناك فى الجوار ليرى ما يفعله النمل فى كل مكان، ووجد بالفعل تلاً جيداً جداً فيه فتحة كبيرة يهرول ويتمرغ فيها النمل الأحمر اللامع ويندفع خلال الهواء وينقل بوحشية أحشاء جثة حشرة ميتة وطائر صغير إلى داخل جحره فى باطن الأرض.



كان ثمة شيء آخر.. السيدة (براون) ترنحت على حافة المدخل المسقوف كما لو أنها اكتشفت أن العالم يسقط في الفضاء بسرعة تبلغ ٦٠ تريليون<sup>(١)</sup> ميل/الثانية.. وخلفها وقف السيد (براون) الذي لم يكن يعرف ما هي الأميال في الثانية الواحدة ولعله لم يكن يكثرث كثيراً لذلك.

قالت السيدة (براون): "يا (توم).. أنا أريد دعماً معنوياً وما يماثل دم الحمل"<sup>(٢)</sup>.. هلم بنا!.. واندفعت بسرعة إلى بعيد محطمة في سيرها الكثير من النمل ورقست قمم نباتات الهندباء البرية وركضت في حفر كبيرة وكريهة بأحواض الزهور وهي تخرق الحديقة.

ظل (توم) راكعاً لبرهة أخرى وهو يتفحص عظمة كتف السيدة (براون) وعمودها الفقري بعدما انقلبت في الشارع.. وصدق في العظام التي تعبر بشكل رائع عن المغامرة والإثارة.. وهذا شيء لم يكن معتاداً على الربط بينه وبين السيدات.. على الرغم من أن السيدة (براون) كان لها أثر لشارب كبير!.. وبعد لحظة واحدة وجد نفسه بجوارها.

"سيدة (براون)، لا شك أنك حمقاء ومخبولة!"

"إنك حتى لا تعرف معنى هاتين الكلمتين يا بني!"

---

(١) مليون مليون. (المترجم).

(٢) يعنى التطهر من الآثام كما جاء في سفر الرؤيا (الإنجيل). (المترجم).

صاح (توم): "انتبهى جيداً!.. ووجدت السيدة نفسها تسقط مباشرة فوق تمثال كلب حديدى يرقد نائماً هناك على النجيل الأخضر.

"سيدة (براون)، ماذا حدث لك؟"

جلست السيدة (براون) وقالت: "كما ترى، لقد فعلت (كلارا جودووتر) هذا لى!.. إنه السحر."

"السحر؟.. ما هذا الذى تقولينه بحق السماء؟"

"دع هذا عنك يا فتى.. ها هى ذى الخطوات التى عليك اتباعها.. أنت تذهب أولاً إلى منزلها وتركل بعض الخيوط الخفية بعيداً عن طريقك.. ثم تضرب جرس الباب، ولكن اجذب إصبعك بسرعة، وإلا فإنه سوف يحترق ويتحول إلى رماد!"

لم يلمس (توم) الجرس.. فطرقت السيدة (براون) زر الجرس بإصبعها المغطى بصبغة اليود وصاحت: "(كلارا جودووتر)!"

بعيداً جداً فى حجرات خالية مظلمة باردة بالمنزل القديم الكبير رن جرس رنان صغير ولم يلبث أن توقف.

أنصت (توم)، ومن بعيد كانت هناك حركة تشبه ما يصدر من شخص يركض.. وتحرك شبح فى قاعة بعيدة، لعله ستارة تحركها الرياح.. وسمعا صوتاً هادئاً: "مرحباً".

وفجأة كانت السيدة جودووتر بينهما.. نضرة كحلوى بالنعناع،  
واقفة خلف الحاجز السلكى.. وأردفت: "رائع، (توم) و(الميرا) معاً..  
مرحباً بكما.. لكن ماذا أحضركما بحق السماء؟".

"لا تضغطى على!.. لقد جئنا من بعيد لكى نحضر تدريبك لكى  
تصبحى ساحرة كاملة!".

ابتسمت السيدة (جودووتر) وقالت: "إن زوجك ليس فقط ساعى  
بريد ولكنه حارس على القانون وعليه تنفيذه.. لقد قرأ فى كتبى  
بالتاكيد!".

"إنه لا ينظر فى أى بريد يوصله".

"لقد قضى عشر دقائق بين المنازل ينظر فى بطاقات البريد  
ويضحك عليها ويجرب حذاء اشتراه بموجب طلب شراء بريدى".

"ليس المهم ما يراه هو ولكن ما قلته أنت له عن الكتب التى جاءتك".

"إنها مجرد دعاية.. قلت له إننى سوف أصبح ساحرة.. وفى الحال  
ذعر (سام) وانطلق يعدو كما لو أننى أرسلت عليه صاعقة محرقة..  
وأستطيع أن أقول إنه رجل أحقق للغاية".

"لقد تحدثت عن سحرك فى أماكن أخرى يوم أمس.....".

"لأبد أنك تقصدين نادى الشطائر.....".

"والذى لم تتم دعوتى بالتحديد إليه".



”ما هذا يا سيدتى.. لقد اعتقدنا أن هذا كان اليوم الذى تذهبين فيه مع جدتك بانتظام“.

”يمكننى دائماً أن أذهب مع جدتى فى أى يوم آخر إذا طلب منى الناس ذلك“.

”كل ما حدث فى نادى الشطائر أننى جلست هناك أتناول شطيرة من لحم الخنزير ومعها المخلل، حيث قلت بصوت عال: ”أخيراً سوف أحصل على شهادة تخرجى كساحرة.. لقد ظلت أدرس لسنوات!“.

”هذا هو ما فهمته على الهاتف!“.

قالت السيدة (جودووتر): ”أليست الابتكارات الحديثة رائعة؟“.

”باعتبار أنك كنت ومازلت رئيسة لمنتجع السيدات الراقصات منذ الحرب الأهلية كما يبدو لى!.. فسوف أتحدث معك بوضوح سوف تتلقين كضريبة هائلة على رأسك.. هل سبق أن استخدمت السحر طوال تلك السنوات لكى تسحرى وتفتنى السيدات هناك وتفوزين بأصوات مؤيديك التى تريدينها!“.

قالت السيدة (جودووتر): ”هل تشكين للحظة فى ذلك يا سيدتى؟“.

”سوف تكون هناك انتخابات تصويت أخرى غداً.. وكل ما أريد معرفته هو هل ستترشحين لمدة رئاسة أخرى، وألست خجلة من نفسك؟“.

"إجابتي هي نعم للسؤال وبلى للسؤال الثاني. سيدتي، اصغى إلى جيداً.. لقد اشتريت تلك الكتب لابن عمى (راؤول). إنه في العاشرة من عمره وهو يحب السحر والسحرة، وفي أى مكان يذهب إليه يبحث عن الأرانب في قبعات الناس!.. وقلت له إن هناك فرصة للعثور على أرانب في القبعات بنفس القدر الذى يمكن أن نجد به عقولاً في رؤوس بعض الناس الذين أعرف أسماءهم.. ولكنه مازال دائم البحث عنها، وإذاك أحضرت هذه الهدايا له."

"لن أصدق ما تقولينه ولو خلقت لى على كل الأناجيل."

"على أى حال إنها الحقيقة.. إننى أحب أن أضحك وأمرح فى موضوع السحر هذا.. وكل السيدات صحن وهتفن عندما شرحت لهن قدراتي السحرية.. أتمنى لو كنت حاضرة معنا."

قالت (الميرا): "سوف أكون هناك غداً لمقاومتك بصليب ذهبي وكل قوى الخير التى سأستجمعها معي.. أما الآن هلا قلت لى ما هي أدوات الخردة السحرية التى تحتفظين بها فى منزلك؟"

أشارت السيدة (جودووتر) إلى منضدة جانبية داخل الباب وقالت: "إننى دأبت على شراء جميع أنواع الأعشاب السحرية.. لأن رائحتها جميلة كما أن (راؤول) سوف يكون سعيداً بها.. هذا كيس صغير به مادة معينة تسمى الفيجن العجيب، وهذا جذر السابيس وهذا عشب الأبتوس الأسود.. وذاك كبريت أسود وذاك ما يزعمون أنه تراب العظام."

تراجعت (الميرا) إلى الخلف مذعورة وهى تقول: "تراب العظام؟!" ..  
وضربت كاحل قدم (توم) الذى صرخ على الفور.

"وما هى ذى أوراق أشجار الأقسنتين والسرخس التى تمكنت من إيقاف طلقات الرش والطيران كالخفاش فى أحلامك، هذا ما يقوله الفصل العاشر من الكتاب الصغير الموجود هنا .. وأنا أعتقد أنها مفيدة جداً فى نمو رؤوس الصبيان لكى يفكروا فى أشياء كهذه .. والآن من النظرة التى أراها بادية على وجهك، أرى أنك لا تصدق أن (رافول) هذا موجود أصلاً .. حسناً سوف أعطيك عنوانه فى (سبرينجفيلد)".

قالت (الميرا): "نعم، وبالطبع فى اليوم الذى سوف أكتب له فيه سوف تستقلين الحافلة المتجهة إلى (سبرينجفيلد) لكى تذهبى إلى مستشفى الولادة العمومى هناك وتقرئى خطابى ثم تكتبين خطاباً إلى بخت أو بيد هذا الصبى المزعوم .. أنا أعرفك جيداً!".

"سيدة (براون)، لماذا لا تتكلمين بصراحة .. أنت تريدين أن تصبحى رئيسة منتجع السيدات الراقيات، أليس كذلك؟ .. أنت تترشحين كل عام هناك منذ عشر سنوات .. وأنت التى ترشحين نفسك .. وينتهى بك الأمر فى كل مرة بالحصول على صوت واحد! .. هو صوتك يا (الميرا) .. ولو أرادتك السيدات هناك لجعلنكى تنجحين نجاحاً ساحقاً .. ولكن من حيث أقف وأنا أنظر إلى أسفل لكى تنقذك .. أتعرفين، سوف أرشح نفسى وأصوت لك بنفسى .. لذلك تعالى غداً وسوف ترين .. أليس ذلك رائعاً؟".



قالت (الميرا): "إذن اللعنة عليك.. العام الماضى أصبت بنوبة برد رهيبة فى وقت التصويت بالضبط، ولم أستطع الخروج من المنزل والقيام بحملة انتخابية كبيرة.. وفى العام قبل الماضى انكسرت ساقى.. إن هذا عجيب حقاً.. ونظرت شذراً إلى السيدة الواقفة خلف الحاجز السلكى وأردفت: "هذا ليس كل شيء.. فى الشهر الماضى جرحت أصابعى ست مرات ورضت ركبتى عشر مرات وسقطت من على مدخل المنزل الخلفى مرتين، هل تسمعيننى، مرتين!.. وكسرت زجاج نافذة وأسقطت من يدى أربعة أطباق وفازة زهور تساوى دولاراً ونصف الدولار.. وسوف أطلبك بسداد قيمة أى طبق يسقط منى اعتباراً من الآن فى منزلى وما حوله!".

قالت السيدة (جودووتر): "إذن لا شك أننى سوف أصبح فقيرة قبل عيد الميلاد المجيد!.. وفتحت باب الحاجز السلكى وخرجت فجأة وصفقت الباب وراءها، ثم أردفت: "(الميرا براون)، كم عمرك؟".

"ربما تجدينه مكتوباً فى أحد كتب السحر عندك.. خمسة وثلاثون!".  
"حسناً.. عندما أفكر فى خمسة وثلاثين عاماً من عمرك..!". ثم زمت السيدة (جودووتر) شفيتها وأغمضت عينيها وهى تحصى فى سرها.. ثم قالت: "هذا يصل إلى ١٢ ألفاً و٧٧٥ يوماً، ولو حسبنا ثلاثة منها فى اليوم الواحد فسوف نصل إلى ١٢ ألفاً والنصف من الاضطرابات، ١٢ ألفاً من القوضى، ١٢ ألفاً من الكوارث.. إنها حياة طويلة وثرية تلك التى عشتها يا (الميرا براون).. والآن هيا لتصافح!".

أبعدتها (الميرا) وهى تصيح: "أغربى عن وجهى!"

عجباً يا سيدتى.. أنت واحدة من أكثر نساء (جرين تاون)، بولاية (ألينوى)، حمقاً.. أنت لا تستطيعين أن تجلسى دون أن تضغطى على مقعدك كالأكورديون.. ولا تستطيعين أن تقفى إلا وتركلين القطة.. ولا تستطيعين أن تعبرى حديقة مفتوحة دون أن تسقطى فى إحدى الآبار.. إذن حياتك عبارة عن سلسلة من الإخفاقات والانهيارات يا (الميرا براون).. إذن لماذا لا تعترفين بذلك؟

"هذه الحماقات لم تكن هى السبب فى الكوارث التى حدثت لى، لكنك كنت على مسافة كيلو متر ونصف الكيلو متر منى فى تلك الأوقات عندما أسقطت طبقاً من الفول أو حشرت إصبعى فى بريزة الكهرباء بالمنزل".

"سيدتى، فى بلدة بهذا الحجم فإن كل شخص يكون على بعد كيلو متر ونصف الكيلو متر من كل شخص آخر فى الوقت نفسه فى يوم ما أو آخر".

"إذن أنت تعترفين بأنك كنت قريبة منى".

"أقر بآننى ولدت هنا، هذه حقيقة لا ريب فيها، ولكنى على استعداد للتضحية بأى شىء الآن، لو كنت قد ولدت فى (كينوشا) أو (زيون). أنصحك يا (الميرا) أن تذهبى إلى طبيب أسنانك، ليجد لك حلاً لسانك اللاذع الذى يشبه لسان الأفعى داخل فمك!".

قالت (الميرا) "أوه! أوه، أوه، أوه!"

"لقد تجاوزت حدودك معي، ودفعتنى إلى أن أفعل أموراً لا أريدها. فلم أكن مهتمة قط بالسحر، ولكنى الآن بدأت أهتم به. انصتى إلىّ جيداً! أنت خفية الآن. وبينما تقفين هناك، سألقى عليك بتعويذة. لتصبحى غير مرئية على الإطلاق."

"ولكنك لم تفعلى."

اعترفت الساحرة قائلةً "بالطبع. إننى لم أستطع رؤيتك قط يا سيدتى."

أخرجت (الميرا) مرآة صغيرة من جيبها، وحدقت فيها عن كثب وحبست أنفاسها من الصدمة وقالت: "هذا هو وجهى وشعرى!" ومدت يدها الرفيعة التى تحمل المرأة، فبدت وكأنها وتر انتزع من قيثارة وقالت بأسى "لم يحدث قط طوال حياتى، أن تخلل اللون الرمادى شعرى، إلا فى هذه اللحظة!"

افتتر ثغر الساحرة عن ابتسامة فاتنة وقالت: "ضعى الشعيرات الرمادية فى إناء من المياه الساكنة، وفى الصباح سوف تجدينها كالود الذى يستخدم كطعم! أوه يا (الميرا)، انظرى إلى نفسك وكونى صريحة فى التعبير عن مشاعرك. فى كل تلك السنين، كنت تلقين اللوم على الآخرين، وكأنهم هم السبب فى قدمك التى تشبه المطرقة وسلوكك الغريب غير المألوف!"



هل قرأت مؤلفات شكسبير؟ إنهم يستخدمون مؤثرات صوتية وحركية صاخبة عند إخراج مصنفاته على خشبة المسرح. إن هذه المؤثرات الصارخة تشبهك يا (الميرا) ! والآن اذهبي إلى منزلك قبل أن أضربك على رأسك أو أن أجعل الغاز ينطلق في شقتك أثناء الليل! هيا اذهبي بسرعة! .

ولوحت الساحرة بيديها في الهواء لتطرد (الميرا) وكأنها مجرد سحابة من الحشرات، وقالت: "يا إلهي! إن الذباب يتكاثر هذا الصيف! .  
ثم دلفت إلى الداخل وأغلقت الباب بالمزلاج.

قالت (الميرا) وهي تتننى ذراعيها "أيها السيدة (جودووتر) لقد طفح الكيل! سوف أعطيك فرصة واحدة أخيرة. انسحبي من الترشح لمنصب رئيسة لمنتجع السيدات الراقيات ، وإلا سوف تواجهينني وجهاً لوجه غداً، عندما أعلن ترشحي للمنصب، والفوز به رغماً عنك في معركة عادلة. سوف أحضر (توم) إلى هنا معي، إنه صبي طيب ونقي السريرة. وإنني سوف أفوز بالطيبة ونقاء السريرة.

قال الصبي: "أرجو ألا تعتمدى على براءتى يا سيدة (براون).  
إن أمى تقول دائماً....".

قاطعته بحدة قائلة: "صه يا (توم)! لا يصح إلا الصحيح! سوف تكون معي هنا جالساً على يميني".

قال (توم) بإذعان "حسناً يا سيدتى".

قالت: (الميرا) "إذن سوف أعيش خلال هذه الليلة، وهذه السيدة تقوم بعمل دمي من الشمع تشبهني، وتغرز في قلبها إبراً صلبة، حتى تتم تعويذتها السحرية! وإذا وجدت شجرة تين ضخمة في فراشي عند شروق شمس الغد، فسوف تعلم من الذي جمع الثمار من الحقل المزروع بالعنب خارج المنزل. وانتظر حتى ترى السيدة (جودووتر) كرئيسة للمنتج، إلى أن تبلغ من العمر مئة وتسعين عاماً!".

فتحت السيدة (جودووتر) الباب وأطلت برأسها قائلة بسخرية "يا سيدتي العزيزة، ألا تعلمين أنني أبلغ من العمر الآن، ثلاث مئة وخمس سنوات. وكانوا يطلقون على "هي"<sup>(٣)</sup> في الأيام الخوالي ثم أشارت بأصابعها إلى ناحية الشارع وأردفت "... سوف ألقى ببعض الكلمات السحرية.. ابراكادبرا - زيميتي - زام! ما رأيك في هذا؟".

ركضت (الميرا) على طول الرواق... وهي تصيح "موعدنا في الغد". ردت السيدة (جودووتر) بقولها: "إذن إلى اللقاء غداً ياسيدتي!". سار (توم) وراء (الميرا)، يهز كتفيه باستهجان ويركل بقدمه صفوف النمل بعيداً عن رصيف المشاة، ثم أخذت (الميرا) تصرخ بينما كانت تركض عبر الدرب.

صاح (توم) "السيدة (براون)! ماذا بك؟".

---

(٣) إشارة إلى رواية "هي" للكاتب الإنجليزي هـ. رايدر هاجارد (١٨٥٦-١٩٢٥) وتتضمن الرواية إلهة أسطورية تعيش إلى الأبد. (المترجم).

فى هذه اللحظات، كانت سيارة ترجع القهقرى خارجة من جراج قريب، فاصطدمت بقدم (الميرا) ومرت فوق أصبعها الكبير، وشعرت (الميرا) بالآلم مبرحة بقدمها فى منتصف الليل فلم تستطع النوم، ومن ثم نهضت من فراشها وذهبت إلى المطبخ وأكلت قطعة من الدجاج البارد، وجهزت قائمة دقيقة بأمرور كانت فى أشد الحاجة إلى تذكرها، أولاً، الأمراض التى ألت بها فى العام الماضى! لقد أصيبت ثلاث مرات بنزلات برد، وتعرضت لأربع حالات متوسطة من عسر الهضم، بالإضافة إلى نوبة مرضية مفاجئة سببها الانتفاخ، كما أصيبت بالتهاب مفاصل، وانزلاق غضروفى، وما تصورت أنه داء النقرس، وسعال شديد وربو شعبى، وهرش نتيجة وجود بقع حمراء فوق ذراعيها، وكذلك عانت من خراج فى قناة الأذن الباطنة شبه الدائرية<sup>(٤)</sup>، مما جعلها تلف حول نفسها بغير اتزان، وكأنها قراشة ثملة! كما أصيبت بوجع الظهر، وصداع شديد، وغثيان. ولعلاج هذه الأمراض كلها اشترت أدوية بمبلغ ثمانية وتسعين دولاراً وثمانية وسبعين سنتاً.

وثانياً: الأشياء التى كسرت بالمنزل فى خلال الاثنى عشر شهراً الماضية، هى لمبتان وست فازات وعشرة أطباق وسلطانية حساء وزجاج نافذتين ومقعد واحد ووسادة واحدة لأريكة وستة أكواب ونجفة كريستالية واحدة، التكلفة الكلية: ١٢ دولاراً وعشرة سنتات.

---

(٤) واحدة من ثلاثة تراكيب للأذن الداخلية تعمل على الإحساس بتوازن الجسم. (المترجم).



وثالثاً: ألامها فى تلك الليلة.. أصعب قدمها يؤلها بسبب المرور فوقه.. ومعدتها متهيجة.. وظهرها متيبس وساقها تنبضان بآلم عنيف.. ومقلتاها تشعران بأنهما محشوتان قطناً ومتقدتان.. ومذاق لسانها كمنفضة تراب.. وأذناها تطنان وتدويان.. التكلفة؟.. واستغرقت فى تفكير عميق واتجهت إلى فراشها،

بما يساوى ١٢ ألف دولار من المعاناة الشخصية المروعة.. وقالت بصوت مرتفع قليلاً:

"جربى أن تحلى هذا الأمر ودياً أو بالتراضى".

قال زوجها وهو مازال يقظاً: "هيه؟.. ما الأمر يا عزيزتى؟".

تعددت فى سريرها وقالت: "إننى ببساطة أرفض الموت!".

قال بدهشة: "معذرة، ماذا قلت يا حبيبتى؟".

قالت وهى تنظر إلى السقف وتفكر بعيداً: "لا أريد أن أموت!".

قال زوجها: "هذا هو ما كنت أعتقد دائماً!.. واستدار على جنبه

واستغرق فى النوم وعلا غطيطة.

فى الصباح استيقظت السيدة (براون) مبكراً وهبطت إلى المكتبة

ثم إلى الصيدلية وبعد ذلك رجعت إلى المنزل، حيث إنهمكت فى خلط

جميع أنواع الكيماويات عندما جاء زوجها (سام) فى وقت الظهر

وحقيبته البريدية خالية.

قالت (الميرا) وهى تقلب فى وعاء زجاجى كبير محلولاً يشبه العصيدة لونه أخضر تقريباً: "طعام الغداء جاهز فى صندوق التبريد".

سألها زوجها: "يا إله السماوات، ما هذا؟.. هذا يبدو لى كمحلول لبنى ترك فى العراء تحت أشعة الشمس لمدة أربعين يوماً.. يبدو أن عليه قطراً من نوع ما".

"هذا المحلول يمكن من مقاومة السحر بالسحر، أليس ذلك رائعاً؟".

"نعم، ولكن هل تنوين شرب هذا المحلول الكريه؟".

"مباشرة قبل أن أتوجه إلى منتجع السيدات الراقيات لأقوم بأعمال ذات شأن هناك".

تششم (صمويل براون) هذا المستحضر السائل الغامض ولم يلبث أن قال: "أتبعى نصيحتى.. اصعدى على تلك الدرجات أولاً، ثم تجرعيه.. لكن ماذا بربك يوجد فيه بالضبط؟".

"ثلج متكون على أجنحة الملائكة!.. حسناً، إنه يتكون من مادة المنتول لتبريد نيران الجحيم التى تحرقك، كما يقول الكتاب الذى أخذته من المكتبة.. وعصير عنب طازج مقطوع لتوه من الكرمة، وهذا يجعلك تفكر فى أفكار جميلة وعذبة فى مواجهة المناظر الشريرة أو المؤذية، كما يقول الكتاب أيضاً.. ثم أعشاب طبية وكريمة حمض الطرطير وسكر أبيض وبياض بعض البيضات ومياه معدنية وبراعم البرسيم التى تعطيك قوة الأرض الطيبة الكامنة فيها.. ياه، أستطيع أن أستمر فى الكلام عنه

طوال اليوم.. كل المكونات موجودة هنا فى القائمة.. الخير ضد الشر،  
والأبيض ضد الأسود.. نعم، لا يمكننى أن أخسر هكذا أبداً!.

قال زوجها: "أوه!.. نعم سوف تكسبين، لا شك فى ذلك.. ولكن هل  
تعرفين ذلك؟".

"فكر فى أفكار جيدة.. إننى فى طريقى الآن لأخذ (توم) لرقبته  
بتعويذتى هذه".

"يا لحظ الفتى السيئ.. إنه برىء كما تقولين، وهو الآن على وشك  
أن يتمزق إرباً إرباً ثم يلقون به فى بدروم منتجع السيدات الراقيات".

قالت (الميرا): "(توم) سوف يعيش"، وأخذت معها المستحضر المغلى  
وأخفته بداخل صندوق شوفان مقفل الغطاء، وخرجت من الباب بدون أن  
تلمس ثوبها أو تخلع جوربيها الثمينين.. وعلى ضوء ذلك كانت تسير معتزة  
بنفسها طوال الطريق إلى منزل (توم) الذى كان ينتظرها ببذلة الصيفية  
البيضاء كما طلبت هى منه.

قال (توم): "آف!.. ما الذى أحضرته فى هذا الصندوق؟".

قالت (الميرا) بهدوء: "القدر!".

قال (توم): "إننى أرجو ذلك فعلاً.. ثم سار معها متقدماً عنها  
دائماً بخطوتين.

كان منتجع السيدات الراقيات ممثلاً إلى آخره بالسيدات اللاتي  
تنظر كل واحدة منهن فى مرايات جاراتها وتشد من تنورتها وتساألها  
عما إذا كان ثمة شئ يبدو من قميص نومها الداخلى.



وفى تمام الساعة الواحدة صعدت (الميرا براون) على درجات السلم ومعها صبي يرتدى ملابس بيضاء.. كان ممسكاً بأنفه ومغمضاً إحدى عينيه بحيث يرى فقط نصف ما أمامه.. ونظرت السيدة (براون) إلى السيدات المحتشدات ثم إلى صندوق الشوفان وفتحت غطاءه ونظرت إلى داخله وشهقت.. ثم قفلت الغطاء مرة أخرى دون أن تشرب شيئاً من المحلول الموجود بداخله.

جلست فى مؤخرة القاعة مع (توم) الذى بدا فى أسوأ حالاته.. فقد انقفلت عينه الواحدة التى كان ينظر بها إلى النسوة منذ قليل.. وبعد أن جلست (الميرا) هناك، أخرجت المستحضر وتجرعته كله ببطء.

وفى الساعة الواحدة والنصف دقت الرئيسة، السيدة (جودووتر)، بمطرقتها وتوقف الكل عن الكلام باستثناء حفنة من السيدات.

نادت على البحر الصيفى المنتشر من الأتواب الحريرية المزخرفة والقبعات البيضاء أو الرمادية الظاهرة هنا وهناك قائلة: "آيتها السيدات.. حان وقت الانتخاب.. ولكن قبل أن تبدأ، أعتقد أن السيدة (الميرا براون)، زوجة خير الخطوط الشهير...."

انطلقت الضحكات فى جميع أرجاء القاعة.. ودغمت (الميرا توم) مرتين بمنكبيها وسألته: "أما معنى خير الخطوط؟.. وهمس (توم) بذعر: "لا أعرف" وعيناه مقفلتا بعد أن شعر بشيء غامض دفعه بقوة وسط الظلام السائد.

قالت السيدة (جودووتر): "كما قلت زوجة خبير بارز فى المخطوطات.. (صمويل براون)"... "مزيد من الضحكات".. وواصلت السيدة (جودووتر) كلامها "وهو يعمل بهيئة البريد الأمريكية.. والسيدة (براون) تريد أن تعرض علينا بعض أفكارها.. سيدة (براون) هلا تفضلت إلى هنا؟".

وقفت (الميرا) وعندئذ سقط مقعدها إلى الورااء وانقفل على نفسه مثل مصيدة دببة تنقفل ذاتياً.. ووثبت لعدة سنتيمترات فوق أرضية القاعة وترنخت على كعبيها مصدرة جلبة، كما لو كانت حجراً سقطت وتفتت إلى تراب.. ثم قالت: "الحقيقة أن لدى الكثير الذى أريد أن أقوله".. وظلت ممسكة بصندوق الشوفان الفارغ فى يد واحدة وفوقه الإنجيل. وكانت قابضة بقوة على يد (توم) بيدها الأخرى وشقت طريقها إلى الأمام مصطدمة بكثير من مرافق الناس وهتفت إليهم: "انظروا ماذا تفعلون!.. كونوا على حذر!.. حتى وصلت إلى منصة الخطابة واستدارت وأسقطت زجاجة ماء حيث سال ما بها على الطاولة.

نظرت إلى السيدة (جودووتر) نظرة مريرة عندما حدث ذلك وتركتها تنظف الماء بمنديل ورقى معها.. ثم بنظرة نصف خفية أمسكت بزجاجة الشراب السحري الفارغة ورفعتها إلى أعلى وهى تظهرها للسيدة (جودووتر) وهمست قائلة: "هل تعرفين ماذا كان فى هذه الزجاجة؟.. إنه بداخله الآن يا سيدتى.. الآن تحيط بى هالة سحرية حارسة حيث لا يستطيع أى سكين أن يجرحنى ولا حتى أى فأس أن يشقنى إلى نصفين!..

لم تسمع السيدات شيئاً.. وأومأت السيدة (جودووتر) برأسها ورفعت يديها إلى أعلى.. وساد فى القاعة صمت تام.. وأمسكت (الميرا) بـ (توم) بقوة وأبقى (توم) عينيه مقفلتين ومرتعشتين.

قالت (الميرا): "سيداتي، أنا متعاطفة معكن وأعرف أنكن مررتن بنفس هذا الموقف خلال السنوات العشر الماضية.. وأعرف لماذا صوتن للسيدة (جودووتر) هنا.. إن لديكن أولاداً وبناتاً وأزواجاً لتطعموهم.. ولديكن ميزانيات منزلية يتعين عليكن العيش فى حدودها.. لم يكن باستطاعتكن تحمل فساد اللبن وسقوط خبزكن وتسطح شطيراتكن.. لم تردين بالطبع أن تصاب أسركن بالتهابات الغدد النكافية ثم مرض الجدرى ثم السعال الديكى فى ثلاثة أسابيع متتالية.. لم ترد أى واحدة منكن بالطبع أن يصطدم زوجها بسيارته أو يصعق نفسه بسلك تيار ضغط عال خارج البلدة.. لكن الآن انتهى كل ذلك.. يمكنكن الآن أن تتكلمن بوضوح وصراحة دون خوف.. لن تصاب إحداكن بعد الآن بحرقان فى المعدة أو آلام فى ظهرها، لأننى أحضرت معى قوى الخير وسوف نقوم الآن بسحر هذه الساحرة الموجودة معنا الآن!".

نظرت السيدات حولهن ولكنهن لم يرين أية ساحرة. فصاحت (الميرا): "أنا أقصد الرئيسة!".. فصاحت السيدة (جودووتر) وهى تلوح بيدها: "أنا! ما هذا الهراء؟".

أخذت (الميرا) نفساً كبيراً واستندت إلى الطاولة وقالت: "اليوم ذهبت إلى المكتبة وبحثت عن كتاب يشرح كيفية إبطال القوى الخفية



والسحر والتعاويذ... إلخ، وكيف يمكن التخلص من الناس الذين يستغلون الآخرين ويخدعونهم وكيف يمكن إيقاف سحر الساحرات وطردهن.. ولقد وجدت طريقة جيدة للدفاع عن حقوقنا.. أحس الآن بطاقة كبيرة متزايدة.. إن بداخلي الآن السحر من جميع الأنواع مستخلصا من جذور الخير والكيماريات.. لقد حصلت على.....".

توقفت برهة وترنحت وأغمضت عينيها ثم فتحتها وواصلت: "لقد أخذت كريمة حمض الطرطير و....أخذت... عشبة صقر بيضاء ولبن حامض فى ضوء القمر و...." وتوقفت وهى تفكر للحظة، وأقفلت فمها وخرج من أعماقها صوت خافت أخذ يتصاعد حتى خرج من جانبي شفيتها. أقفلت عينيها لبرهة لكى تعرف مكان تلك الطاقة أو القوة العجيبة.

سألتها السيدة (جوبووتر): "سيدة (براون)، هل تعانين من شىء ما؟". أجابتها السيدة (براون) بهدوء: "لا، أنا بخير.. كل ما فى الأمر أننى وضعت بعض الجزر والبقدونس المنقوع بدقة وثمر العرعر المهروس و....".

توقفت مرة أخرى كما لو أن صوتاً غامضاً قال لها: "توقفى" وحدقت فى الوجوه التى أمامها.. ولاحظت أن الحجرة بدأت تدور ببطء، أولاً من اليسار إلى اليمين، ثم من اليمين إلى اليسار.

واصلت بصوت خافت إلى حد ما: "وجذور إكليل الجبل وزهور رجل الغراب و...." ثم أفلتت يد (توم) الذى لم يلبث أن فتح عيناً واحدة ونظر إليها.

واصلت: "وأوراق شجر الغار وتويجات نبات أبو خنجر...".

قالت لها السيدة (جودووتر): "لعله من الأفضل أن تجلسي يا عزيزتي". وقامت إحدى السيدات الجالسات في جانب القاعة بفتح النافذة المجاورة لها.

واصلت السيدة (براون): "وجوزات التنبول الجافة اللافندر والتفاح البري الأخضر الحامض". ثم توقفت وأردفت: "والآن أسرعوا، لنبدأ الاقتراع.. يجب أن نبدأ في الإدلاء بالأصوات، وسوف أحدد جدولاً لهذا التصويت".

قالت لها السيدة (جودووتر): "لا داعي للإسراع سيدة (برتون)".

قالت (الميرا) بعد أن أخذت نفساً عميقاً: "لا بل هناك داع.. تذكرن أيتها السيدات أنه لا داعي الآن للخوف.. عليكن أن تفعلن ما أردتته دائماً.. والآن صوتن لي و...". وأخذت الحجرة تدور مرة أخرى ثم إلى أعلى وأسفل.. وأضافت: "الأمانة هي شعارنا.. كل من يؤيد السيدة (جودووتر) رئيسة يقلن نعم".

قالت الحجرة كلها: "نعم".

قالت السيدة (الميرا) بصوت خافت: "والآن كل من تؤيد السيدة (الميرا) تقول نعم". وبلغت لعابها.

بعد لحظة تكلمت مرة أخرى: "نعم". ووقفت مذهولة على منبر الخطابة.

ساد صمت عجيب القاعة بأكملها .. وبعد لحظة صدر من السيدة (الميرا) صوت أجش غريب، ثم وضعت يدها على حلقها ونظرت بوهن إلى السيدة (جودووتر)، التي أخرجت ببساطة شديدة من كيسها دمية شمعية صغيرة مغروراً فيها عدداً كبيراً من الدبابيس.

قالت (الميرا): "توم، من فضلك أرني تواليت السيدات"، فأجابها: "بكل سرور" .. وبدأ السير بخطوات عادية ثم هرولاً ثم ركضاً .. جرت (الميرا) في المقدمة مختركة حشد النسوة في الممشى الطويل .. حتى وصلت إلى الباب واتجهت يساراً.

صاحت السيدة (جودووتر): "لا يا (الميرا)، اتجهي يميناً!" .. غير أن (الميرا) انعطفت يساراً ثم اختفت فجأة.

فى الحال ارتفع صوت هائل كما لو أن شحنة من الفحم تسقط من على متجدر عال. وهتفت السيدة (جودووتر): "(الميرا)!" .. وجرت السيدات فى كل أنحاء القاعة كفريق بنات فى لعبة كرة السلة واصطدم بعضهن ببعض الآخر .. أما السيدة (جودووتر) فقد سارت مسرعة فى خط مستقيم .. وهناك وجدت (توم) ينظر إلى قاع بئر السلم ويداه متخشبتان على الدرايزين، وقال وهو يتأوه: "لقد سقطت من ارتفاع ٤٠ درجة سلم .. أربعون سلماً بالضبط حتى الأرض".

بعد سنوات من ذلك اليوم انتشرت بين الناس أقاويل مفادها أن السيدة (الميرا براون) المذهولة سقطت على درجات السلم وتدحرجت عليها طوال المسافة حتى الأرض، ويقال إنها عندما بدأت الوقوع كانت



فاقده الوعي، مما جعل هيكلها العظمى يبدو مطاطياً، وبالتالي تدرجت من سلمة إلى أخرى دون أن تقلقها الدرجات إلى أسفل. وسقطت على الأرض وهي تغمض عينيها وتفتحهما.. والعجيب أنها شعرت بأنها فى حال أفضل بعد أن تخلصت من ذلك الشيء السيئ الذى جعلها مضطربة طوال الطريق.

حقيقة أنها أصيبت بكدمات خطيرة لدرجة أنها بدت كما لو أنها رسمت وشماً على جسدها كله.. لكن من حسن حظها أنه لم ينكسر أى معصم يديها أو التوى أحد كاحليها. ورفعت رأسها بشكل مضحك لثلاثة أيام، كانت خلالها تحقق فى الناس من جانب عينيها بدلاً من الالتفات إليهم!

لكن الشيء المهم للغاية هو أن السيدة (جودووتر) كانت قابضة فى قاع السلم موسدة رأس (الميرا) على حجرها وتذرف الدموع عليها بينما تجمعت النسوة حولهما.

قالت لها السيدة (جودووتر): " (الميرا)، أعدك بل أحلف لك أنك إذا عشت ولم تموتى - اصغى إلى يا (الميرا)! - فسوف أستخدم قدراتى السحرية فى الخير فقط وليس فى الشر بعد الآن.. لن أمارس أى سحر ضار أو مؤذ بعد الآن، بل سحر مفيد للناس. وطوال ما تبقى لك من العمر، إذا نجحت فيما أقوله تماماً، لن تسقطى على أى كبل حديدى أو على عتبة أى باب أو تجرحى أصابعك أو تسقطى على الدرج إلى أسفل السلالم.. إننى أعدك يا (الميرا) بأننا سنعيش فى جنة.. نعم أعدك بذلك..".

"إذا عشت يا عزيزتى فسوف أنزع الدبابيس من دميتى!.. (الميرا)، أرجوك تحدثى إلى وقومى!.. واصعدى على السلم لأخذ التصوير من جديد.. إنك ستصبحين الرئيسة الجديدة، أنا رئيسة السيدات الراقيات حالياً أقول لك ذلك.. سوف تسمعين هتاف الكل بالموافقة على انتخابك رئيسة لنا.. أليس كذلك أيتها السيدات؟".

كان جواب السيدات هو الصراخ والبكاء واستناد كل منهن إلى الأخرى.. أما (توم) بأعلى السلم، فكان يعتقد فى تلك اللحظة أن الموت قد زار المكان.

كان فى نصف طريق هبوطه إلى أسفل عندما قابلته السيدات وهن يصعدن إلى أعلى وهن سعيدات كما لو أنهن هربن لتوهن من انفجار ديناميتى هائل!..

وصرخن فيه: "ابعد عن طريقنا يا فتى!.. وفى مقدمتهن السيدة (جودووتر) تضحك وتهتف.

بعدها صعدت السيدة (الميرا) وهى تفعل مثلها تماماً. وبعد صعود الاثنتين صعدت مائة وثلاث وعشرون عضوة بالمنتجع، لا تعرف بالضبط هل هن عائدات من تشييع جنازة أم فى طريقهن إلى حفل راقص! راقبهن وهن يمررن بجانبه وهز رأسه وقال كمن يحدث نفسه: "أنت لا تريدننى الآن، نعم، ليس بعد الآن".. وهبط على السلم على أطراف أصابع قدميه قبل أن يفتقدنه وهو متشبث بقوة بالدرابزين طوال نزوله.

## آلة السعادة

فى صباح يوم الأحد، تحرك (ليو أوفمان) فى داخل جراحه، متوقعاً قطعة من الخشب ولفة من السلك ومطرقة أو مفتاح ربط<sup>(١)</sup>، أن تقفز وتصيح "ابدأ من هنا" لكن لم يقفز أى شىء، ولم يصح شىء ما يحثه على البدء فى العمل.

تساءل فى دهشة هل كان بمقدوره أن يضع آلة السعادة فى جيبه، أم أنه يمكنها أن تحتويه فى داخلها؟

قال بصوت مرتفع "شىء واحد أنا متأكد للغاية منه، أنها يجب أن تكون براقعة!"

وضع علبة من الظلاء البرتقالى فى وسط طاولة الحرفى التى يعمل عليها، والتقط قاموساً، ثم ذهب ليتجول فى المنزل.

هتف قائلاً وهو يتطلع إلى القاموس المفتوح "(إلينا)! هل أنت راضية وقانعة ومبتهجة ومسرورة؟ وهل تشعرين بأنك محظوظة وموفقة؟

---

(١) أداة يدوية تستخدم غالباً فى تثبيت أو فك المسامير أو الصواميل. (المترجم).



وهل الأشياء كما تدركينها سهلة التدبير مناسبة، وأنها بالنسبة إليك،  
محقة للنجاح وملائمة؟

توقفت (لينا) عن تقطيع الخضراوات إلى شرائح وأغلقت عينيها  
ثم قالت: "أرجو أن تقرأ على هذه القائمة من جديد".

أغلق (ليو) القاموس.

"إن الأسئلة التي طرحتها، عليك أن تتوقفي عن عملك، وتفكري لمدة  
ساعة قبل أن تخبريني عن إجاباتك عنها؟ كل ما أطلبه منك الإجابة  
ببساطة بنعم أو لا! هل أنت غير قانعة أم مسرورة أم مبتهجة؟".

ردت عليه قائلة: "الأبقار قانعة، والأطفال وكبار السن في مرحلة  
طفولتهم الثانية مسرورون، فليساعدهم الله، أما بالنسبة إلى  
الابتهاج يا (ليو)؟ انظر إلى كيف أضحك، إنها ضحكة خشنة تشبه  
صوت تنظيف مغسلة المطبخ بالفرن<sup>(٢)</sup>".

تفرس فيها عن كثب واسترخى، واسترخى وجهه وقال: "(لينا)!  
ذاك حقيقي، إن الرجل لا يقدر وربما في الشهر القادم، سوف نرحل عن  
هذا المكان".

صاحت قائلة: "ولكنني لا أشكو من شيء... إنني لست كمن تأتي  
ولديها قائمة طويلة لكي تقول مثلاً: أخرج لسانك!.. (ليو) هل تسأل عما

---

(٢) تنظيف باستخدام فرشاة خشنة وماء. (المترجم).

يجعل قلبك يدق طوال الليل؟.. لا، هذا ليس معقولاً!.. إذ في المرة التالية سوف تسأل "ما هو الزواج؟".. لكن من الذى يعرف يا (ليو)؟.. يا حبيبى لا تسأل عما لا يعنك.. واعلم أن الشخص الذى يسأل مثلاً: "كيف يعمل ذلك؟".. كيف تعمل الأشياء؟"، لا يلبث أن يسقط من على عارضة التأرجح فى السيرك أو يختنق وهو يتساءل كيف تعمل العضلات فى الحلق.. والآن كل ونم وتنفس يا عزيزى (ليو) وتوقف عن التحديق فى كما لو كنت شيئاً جديداً فى المنزل!..

تجمدت (لينا أوفمان) فى مكانها.. وتشممت الهواء وقالت: "أوه!.. يا إلهى، انظر ماذا فعلت!".. ثم فتحت باب الفرن على آخره.. وفى الحال هبت سحابة من الدخان فى كل أرجاء المطبخ.. وقالت وهى تتحبب السعادة.. إذ لأول مرة بعد ستة أشهر لدينا شجار!.. نعم إنها السعادة.. فلأول مرة بعد عشرين عاماً فإننا سنتعشى فحماً نباتياً بدلاً من الخبز!.. وعندما تبدد الدخان من المطبخ، كان (ليو أوفمان) قد اختفى!..

استمر الصخب والقعقة المروعين.. اصطدام الإنسان بإلهامه وأفكاره المبدعة الخلاقة، تطويح وتحريك المعادن والأخشاب والمطرقة والمسامير ومسطرة الرسم الهندسى والمفك، الذى استمر لبضعة أيام.. وبين الحين والحين كان (ليو أوفمان) المهزوم يتسكع فى الطرقات وهو قلق ومتوتر وخائف ويلتفت برأسه عند انبعاث أدنى صوت ضحك من بعيد.. ويستمع إلى نكات الأطفال ويبحث عما يجعلهم يبتسمون..

فى المساء جلس على مصطبة مزينة لدى الجيران وأنصت إلى الكبار وهم يحللون ويقيمون الحياة بما لها وما عليها.. وعند كل انفجار للمرح والقصف يسرع (ليو أوفمان) كقائد عسكرى كبير ليرى قوات الظلام يتم دحرها ويتحقق من إعادة التأكد من سلامة استراتيجيته العسكرية.

وفى طريقه إلى منزله شعر بأنه منتصر حتى وصل إلى جراج منزله، حيث توجد أدوات وعدد كثيرة وقطع خشبية لا حياة فيها.. ولم يلبث وجهه المتألق أن شحب وانتابه الذعر، ولكى يخفى إحساسه بالقشل أخذ يضرب ويركل أجزاء آله كما لو كانت تحس بالفعل.. وأخيراً بدأت الآلة تستعيد شكلها بعد عشرة أيام وليال.. وأخذ يرتعد من فرط الإجهاد والتفانى من أجل المثل العليا وشدة الجوع وكان يتلمس طريقه ويبدو كمن أصابه برق من السماء.. وعلى هذا النحو داف (ليو أوفمان) إلى داخل منزله.

الأطفال الذين كانوا يصرخون بشكل هائل فى بعضهما البعض صمتوا فجأة كما لو أن الموت الأحمر قد اقتحم المنزل أثناء دقة ساعة الحائط.. وصاح (ليو أوفمان) بصوت أجش عال: "آلة السعادة جاهزة الآن".

قالت زوجته: " (ليو أوفمان) فقد خمسة عشر رطلاً<sup>(٣)</sup>.. وهو لم يتحدث إلى الأطفال منذ أسبوعين.. وهم قلقون الآن ويتشاجرون..

---

(٣) الرطل يساوى حوالى ٤٥٤ جراماً. (المترجم).



اصنع إليهم!.. وزوجته قلقة وقد زاد وزنها عشرة أرطال وسوف تحتاج إلى ملابس جديدة.. انظر!.. بالطبع - الآلة جاهزة.. ولكن هل أنت سعيد؟.. من الذى يعرف؟..

"(ليو)، أخرج الآن ومعك ساعة الحائط التى تصنعها.. ولن تجدأبداً طائر وقواق صغيراً ليدخل فيها.. وليس من الصواب أن يعيث المرء بمثل تلك الأشياء.. إن هذا ليس ضد إرادة الله.. لا، لا.. ولكنه بالتأكيد يبدو كما لو كان ضد إرادة (ليو أوفمان).. والحقيقة أننا بعد أسبوع آخر سوف ندفنه فى آله الحمقاء هذه!"

غير أن (ليو أوفمان) الذى كان مشغولاً جداً فى ملاحظة الغرفة وقد بدأت ترتفع بسرعة إلى أعلى!.. وكان يفكر كم هو أمر ممتع ومثير أن يرقد المرء على الأرضية.. ولم يلبث الظلام أن أحرق به من كل جانب، بينما كان شخص ما يصيح قائلاً شيئاً ما بخصوص آلة السعادة ثلاث مرات.

أول شيء لاحظته فى الصباح التالى كان عشرات من الطيور ترفرف حوله فى الجو وتثير أمواجاً صغيرة، مثل الأحجار الملونة التى يتم قذفها فى قناة صافية وساكنة، تصطدم بسقف الجراج - المصنوع من الصفيح - برقة.

مجموعة من الكلاب المهجنة مخليية الأقدام دخلت واحداً بعد الآخر فى فناء المنزل وأخذت تحلق وتعوى بهدوء من خلال باب الجراج..

أربعة صبية وبنتان وبعض الرجال وقفوا مترددين فى الطريق المفضى إلى البيت ثم تقدموا ببطء تحت أشجار الكريز.

أصغى (ليو أوفمان) إلى أصواتهم وأدرك أن الأمر ليس سوى أن الصوت قد علا وانتشر ودعاهم إلى الحضور إلى الفناء.. صوت آلة السعادة.. إنه ذلك النوع من الأصوات الذى يمكن أن يسمعه الناس من مطبخ عملاق فى ليلة من ليالى الصيف.. كانت هناك كل أنواع الأصوات الصاخبة العالية والمنخفضة الثابتة والمتغيرة.

وهناك يتم خبز أنواع هائلة من الطعام بمعرفة سرب من النحلات الذهبية الطنانة الضخمة التى يبلغ حجمها حجم كأس الشراب.. والنحلة الماردة نفسها تطن باطمئنان بصوت هامس، وقد تطير إلى الباب طوال فترة الصيف ووجهها القمري الضخم بلون الخوخ يحدق بهدوء إلى الخارج ناحية الكلاب المبتسمة والصبية ذوى الشعر الأصفر والرجال الكبار ذوى الشعر الأبيض.

هتف (ليو أوفمان) بصوت عال: "انتظروا.. أنا لم أشغل الآلة هذا الصباح!.. يا (سول)!".. وعندئذ نظر (سول)، الواقع فى الفناء بأسفل، إلى أعلى.. وأردف (ليو): "(سول).. هل وصلت الآلة بالكهرباء؟".

"لقد طلبت منى أن أدفنها منذ نصف ساعة مضت!"..

"حسنًا يا (سول).. لقد نسيت.. إثنى إذاً لم أستيقظ بعد.. وعلى الفور تمدد على سريره مرة أخرى.."

أحضرت زوجته الإفطار إليه بأعلى.. وتمهلت قليلاً بجوار النافذة لكي تنظر إلى أسفل باتجاه الجراج.. وقالت بهدوء: "أخبرني بربك.. إذا كانت ألتك هذه كما تقول.. فهل لديها القدرة على صنع أطفال فى مكان ما بداخلها؟.. مثلاً: هل يمكن للآلة تحويل أفراد بعمر سبعين عاماً، ليصبحوا فى العشرين من عمرهم مثلاً!.. وكيف يبدو الموت عندما تختفى داخل تلك الآلة العجيبة ومعك كل تلك السعادة؟".

"ماذا تعنين بربك بكلمة أختفى؟".

"أقصد إنك إذا مت من فرط الإجهاد فى العمل.. ما الذى يمكن أن أفعله فى هذه الحالة؟.. هل أتسلق مثلاً ذلك الصندوق الضخم الموجود هناك ثم أشعر بتلك السعادة؟.. كذلك قل لى يا (ليو) كيف تسير حياتنا؟.. أنت تعرف بالطبع كيف يسير منزلنا.. مثلاً: فى الساعة صباحا نتناول الإفطار.. وتذهبون أنت والأطفال كلكم قبل الثامنة والربع ولا يبقى غيرى أنا وغسيل الصحون والطهى ورتق الجوارب وزراعة النباتات أو ربما أجرى إلى السوق للتسوق أو أصقل الأوانى الفضية.. إذاً من الذى يشتكى؟.. أنا فقط أذكرك كيف يسير المنزل بكل ما فيه يا (ليو).. هذا هو كل ما فى الأمر!.. والآن أجبنى أنت: كيف يمكنك أن تحصل على كل الأشياء التى ذكرتها لتوى من آلة واحدة؟".

"لكن هذا ليس هو سبب بنائى لها؟!".



"أنا أسفة إذن.. يبدو أنه لم يتوفر لى وقت كاف لتفقددها جيداً".

قبلت خده وخرجت من الغرفة بينما تمدد هو وأخذ يشم رائحة الرياح التى هبت من الآلة المختفية بأسفل.. وزاد من قوتها رائحة الكستناء المشوى الذى يباع فى الخريف فى شوارع باريس التى لم يعرفها قط.

تسللت قطعة خلسة من بين مجموعة الأولاد والكلاب، المتسمررة فى مكانها كالمنومة مغناطيسياً، وأخذت تهر وتموء وهى ملتصقة بالبواب.. ومن بعيد يأتى صوت موجات الجليد وهى تهبط وتتكسر على الشاطئ بصوت إيقاعى متميز.. وحدث (ليو أوفمان) نفسه قائلاً: "غداً سوف نجرب الآلة كلنا معاً".

استيقظ فى الهزيع الأخير من تلك الليلة وعلم أن شيئاً ما أيقظه.. ونزل من سريره وهو يهتف: "(سول)".. ويكى (سول) فى حجرته ورأسه مدقونة فى وسادته، وقال وهو ينتحب: "لا، لا.. لا يمكن، لا يمكن...".

"(سول)، هل حلمت بكابوس؟.. أخبرنى يا بنى".

بيد أن الصبى لم يملك سوى البكاء.. وجلس (ليو) على السرير بجوار ابنه.. وفجأة فكر فى النظر إلى خارج النافذة.. ولما نظر وجد أن أبواب الجراج مفتوحة كلها.. وأحس بشعر رأسه يقف فى مؤخرة عنقه.. وخذ (سول) إلى النوم مرة أخرى وهو مضطرب ومتشنج.. وعندها هبط

أبوه إلى الطابق السفلى ثم خرج إلى الجراج وهو يحبس أنفاسه..  
مد يده إلى الخارج.

وسط برودة الليل الشديدة كان معدن آلة السعادة ساخناً جداً  
بحيث لا يمكن لمسه.. وفكر أيضاً أن (سول) لابد أنه كان موجوداً هنا  
فى تلك الليلة.. ولكن لماذا كان (سول) حزيناً؟.. هل كان محتاجاً إلى  
الآلة؟.. لا، إنه سعيد ولكنه يريد أن يظل سعيداً على الدوام.. هل يمكن  
للمرء أن يلوم صبيّاً يعرف جيداً موقفه ويحاول الحفاظ عليه بتلك  
الطريقة؟.. لا، ولكن..

فجأة وبهدوء شديد كان يتم انطلاق شيء أبيض اللون من نافذة  
حجرة (سول)!!..

وسقط قلب (ليو أوفمان) فى ساقبيه!.. ثم سرعان ما أدرك أن  
ستارة النافذة انتفخت بهواء تلك الليلة وخرجت من النافذة.. ولكنها بدت  
له كشىء حميم متألق مثلاً كروح طفل، وهو يهرب من حجرتة.. وقد مد  
(ليو أوفمان) ذراعيه كما لو كان يحاول منعه من الخروج وإعادةه إلى  
حجرة النوم.

عاد أدراجه إلى المنزل وجسمه بارد مرتعد.. وصعد إلى الطابق  
العلوى، حيث حجرة (سول)، وهناك أمسك بالستارة الطائرة وأدخلها  
وأغلق النافذة لكي لا تهرب الستارة مرة أخرى منها.. ثم جلس على  
السريـر ووضع يده على ظهر (سول) وربت عليه فى رفق.

قصة مدينتين؟<sup>(٤)</sup>.. هذه لى.. "متجر التحف القديمة؟"<sup>(٥)</sup>، ها.. هذا بالتأكيد لـ (ليو أوفمان).. "الآمال العريضة؟"<sup>(٦)</sup>.. هذه كانت عادة لى.. ولكن "الآمال العريضة" أصبحت له الآن!

سأل (ليو أوفمان) وهو يدخل إلى الحجرة: "ما هذا؟".

أجابت زوجته: "هذا هو فرز وتصنيف ممتلكات المجتمع!.. فعندما يخيف الأب ابنه في الليل، فإن هذا يكون هو وقت تمريق كل شيء إلى نصفين!.. وفي كل تلك القصص مثل: "منزل السيد بليك"<sup>(٧)</sup>، "متجر التحف القديمة".. في كل تلك الكتب لا نرى أى عالم مجنون يعيش أبداً مثل (ليو أوفمان)!"

اعترض عليها بقوله: "إنك راحلة من هنا ولكن انتظري حتى تجربي آلة السعادة!.. جربها مرة واحدة وسوف تفرغين محتويات حقائبك، نعم سوف تبقيين معنا هنا!.. فسألته: "هذه القصة: توم سويفت وآله الكهربائية المدمرة"<sup>(٨)</sup> - قصة من هذه؟.. هل على أن أضمن؟.. وتأوهت ثم أعطته قصة (توم سويفت).

---

(٤) رواية من تأليف الروائي الإنجليزي الشهير تشارلز ديكنز (١٨٢١-١٨٧٠) وقد صدرت الرواية في عام ١٨٥٩. (المترجم).

(٥) قصة من تأليف تشارلز ديكنز، صدرت عام ١٨٤١. (المترجم).

(٦) رواية من تأليف تشارلز ديكنز، نشرت سلسلة من عام ١٨٦٠ إلى ١٨٦١. (المترجم).

(٧) رواية من تأليف تشارلز ديكنز نشرت سلسلة من عام ١٨٥٢ إلى ١٨٥٣. (المترجم).

(٨) عشرات الروايات من تأليف (فيكتور إبلتون) بطلها (توم سويفت) في عام ١٩١٠، وكلها تنتمي إلى الخيال العلمي. (المترجم).



فى أواخر ذلك اليوم كانت كل الكتب والأطباق والملابس وملأءات الأسرة... إلخ.. يتم تكديسها واحدة هنا وأخرى هناك.. أربعة هنا وأربعة هناك.. عشرة هنا وعشرة هناك.. وأصاب (ليو أوفمان) الدوار من كثرة الإحصاء واضطرت إلى الجلوس.. وقالت وهى تلهث: "حسناً جداً.. قبل أن أذهب يا (ليو)، أكد لى أنك لن تعمل على أن يعانى ابنتنا البرىء من الكوابيس المروعة!"

تقدم (ليو أوفمان) فى صمت أمام زوجته إلى ضوء الشفق.. ووقفت هى أمام الصندوق يرتقالى اللون الذى يبلغ ارتفاعه أقل قليلاً من ثلاثة أمتار..

ثم قالت: "هل هذه آلة السعادة؟.. إذن ما الزر الذى أضغط عليه لكى أتمتع بالبهجة والسعادة والرضا والامتنان؟!"

الآن اجتمع الأطفال كلهم.. وقال (سول): "ماما!.. لا تفعل، أرجوك!"

"لابد أن أعرف يا (سول) حقيقة كل ما أصرخ بشأته.. وعلى الفور دخلت فى الآلة وجلست ونظرت إلى زوجها، وهزت رأسها وهى تقول: "لست أنا من أحتاج إلى هذا.. بل أنت.. وأردفت وهى تصيح: "يا لها من حطام أحرق!"

قال لها: "أرجوك.. سوف ترين!".. ثم أغلق الباب عليها وصرخ فى زوجته وهو لا يراها: "اضغطى على الزر الذى أمامك!"

سمعوا صوت تكة ما، وارتجت الآلة بهدوء ككلب ضخم يحلم أثناء نومه!.. وهتف (سول) فى قلق: "بابا!.. ماذا يحدث؟" .. فأجابه (ليو أوفمان): "أنصت يا بنى!" .. وفى البداية لم يحدث سوى ارتجاف تروس وعجلات الآلة فى هدوء.. وسألت ناعومى: "هل ماما بخير يا أبى؟" .. فأجابها أبوها: "بخير؟.. إنها فى أحسن حال يا ابنتى!.. وكل ما فى الأمر أنه.. الآن.. هناك!" ..

سمعوا (لينا أوفمان) المختفية تقول بصوت خائف صادر من داخل الآلة فجأة: "أوه!.. أوه!.. أوه!.. انظر إلى هذا!.. إنها باريس!.. وبعدها لندن!.. وهامى ذى روما تمر أمامى!.. ثم أهرامات الجيزة بمصر!.. وأبو الهول!" .. همس (ليو أوفمان) وهو يضحك من فرط الفرحة: "هل سمعتما يا طفلى.. أبو الهول!.. ما أجمل هذا!" ..

وصاحت (لينا أوفمان) وهى منبهرة: "رائحة عطرة!" .. وفى مكان ما بدأ جهاز تسجيل يعزف إسطوانة ما بصوت منخفض. كانت هذه "سيمفونية الدانوب الأزرق"<sup>(٩)</sup> .. وهتفت (لينا): "ما أجمل الموسيقى!.. إننى أرقص معها!" .. وشنا شرح الأب للحاضرين الأمر بقوله: "إنها تعتقد فقط أنها ترقص!" .. وواصلت المرأة المختفية: "إنه أمر مذهل!" ..

---

(٩) من تأليف الموسيقار النمساوى (يوهان شتراوس) ١٨٢٥-١٨٩٩، تم عزف هذه السيمفونية لأول مرة عام ١٨٦٧، (المترجم).

احمر وجهه (ليو أوفمان) من الخجل وقال: "يا لها من امرأة ذكية..  
وعندئذ بدأت (لينا أوفمان) تبكي وهي بداخل آلة السعادة.. وخفتت  
ابتسامة المخترع وقالت (ناعومي): "إنها تبكي".. فقال أبوها: "لا، لا  
يمكن أن يحدث هذا".. فقال (سول): "ولكنها تبكي بالفعل يا أبي،  
ألا تسمعها؟"

طرفت عينا (ليو أوفمان) وضغط أذنه على جدار الآلة وقال: "إنها  
ببساطة لا يمكن أن تبكي.. ولكن، نعم إنها تبكي.. مثل أى طفل.."  
وأمكنه أن يفتح باب الآلة، وهتف: "انتظري".. وكانت زوجته جالسة  
والدموع تنساب على وجنتيها وأخذت تصيح: "دعنى أكمل التجربة".

بيد أن (ليو أوفمان) أوقف تشغيل الآلة وهو مصعوق.. وقالت  
زوجته وهي تنتحب: "ياه!.. هذا أسوأ شئ فى الوجود.. إننى أشعر  
بشعور عجيب ورهيب".. وتشبثت بالآلة ونزلت من بابها وبسرعة قالت:  
"أولاً، جاءت باريس..". فسألها زوجها: "وما هو الخطأ فى باريس؟"  
فقالت وهي تنتحب: "لم أتصور أننى سأترى باريس طوال حياتى.. ولكن  
آلة السعادة جعلتنى أفكر: "باريس!.. فجأة أحب أن أكون فى باريس مع  
إدراكى بأننى لست موجودة بها".

"إن هذه الآلة جيدة فعلاً..

"لا.. فقد دلفت هناك بداخلها.. أعرف ذلك.. لكننى كنت أفكر أن  
ذلك ليس حقيقياً!..

"أرجوك، توقفى عن البكاء يا ماما.."



نظرت إلى زوجها بعينين كبيرتين داكنتين مبللتين وقالت:  
"لقد جعلتني أرقص.. نحن لم نرقص منذ عشرين عاماً".

"سوف آخذك إلى قاعة الرقص غداً مساءً".

"لا، لا، لا... ليس ذلك مهماً.. يجب ألا يكون مهماً.. غير أن ألتك  
أبلغتني أنه مهم!.. ولذلك أنا أصدقها!.. سوف تكون الآلة على خير ما  
يرام يا (ليو)!، بعد أن أبكى لبعض الوقت".

"هل تريد أن تقول شيئاً آخر؟".

"شيئاً آخر؟.. الآلة تقول: أنت شابة.. ولكنني لست كذلك.. الآلة  
تكتب.. آلة التعاسة هذه تكذب يا (ليو)!".

"ما الذي تقصدينه بالضبط بالتعاسة؟".

عندئذ هدأت زوجته وارتاحت أعصابها وقالت: "(ليو)، الخطأ الذي  
وقعت فيه هو أنك نسيت أنه في ساعة ما في يوم ما.. سوف نخرج  
جميعاً من هذا الشيء ونعاود حياتنا الروتينية، مثلاً: نغسل الأطباق  
وننظف الأسرة ونجهزها.. وبالطبع بينما تكون داخل هذا الشيء، فإن  
غروب الشمس يستمر فعلياً إلى الأبد تقريباً.. وتجدر رائحة الهواء جيدة  
ودرجة الحرارة مناسبة جداً.. كل الأشياء التي تريد أن تستمر، تستمر  
فعلاً. ولكن في الخارج، ينتظر الأطفال طعام الغداء والملابس تحتاج إلى  
أزرار جديدة.. وهكذا..".

صمتت لعدة ثوان ثم أردفت: "ودعنا تكن صرحاء يا (ليو) .. إلى متى يمكنك أن تنظر إلى غروب الشمس؟ .. ومن الذى يريد لغروب الشمس أن يستمر؟ .. ومن الذى يريد درجة حرارة مثالية؟ .. من الذى يريد أن تكون رائحة الهواء جميلة على الدوام؟ .. لذلك بعد فترة معينة، من الذى يلاحظ ذلك؟ .. أفضل شيء أن نلاحظ الغروب لدقيقة أو دقيقتين .. وبعد ذلك، فإننا نبحث عن شيء آخر .. والناس مثل ذلك يا (ليو) .. كيف يمكنك أن تنسى ذلك كله؟".

"وهل نسيت ذلك بالفعل؟".

"لقد أحببنا دائماً مشاهدة غروب الشمس لأنه يحدث فقط مرة واحدة ثم ينتهى".

"ولكن يا (لينا) .. هذا شيء محزن، أليس كذلك؟".

نعم ، فإذا بقى غروب الشمس وأحسبنا بالملل منه، فإن ذلك سيسبب لنا حزناً حقيقياً .. وعلى ذلك فهناك شيئان فعلتهما لم يجر لك أن تفعليهما قط .. لقد وضعت الأشياء بعيداً جداً فى فناء منزلنا بينما هى لا تنتمى إليه .. حيث تقول لك فقط: "لا، أنت لن ترحلى أبداً يا (لينا أوفمان) .. ولن ترين باريس أبداً! .. وروما لن تزوريها أبداً" .. ولكنى كنت أعرف ذلك دائماً .. ولذلك قل لى أنت لماذا؟ .. الأفضل أن تنسى ذلك وتستخدم بديلاً آخر له يا (ليو) .. أليس كذلك؟".

استند (ليو أوفمان) على آلة السعادة .. وبسرعة سحب يده المحترقة بعيداً عنها وهو مندهش .. ثم قال: "والآن .. ماذا ترين يا (لينا)؟".

"ليس لى أن أتكلم فى هذا الموضوع.. أعرف فقط، طالما جئتم هذا الشئ هنا، فإنتى أريد أن أخرج به.. أو (سول) سوف يريد أن يخرج به مثلما فعل فى الليل.. ويخلاف تعليماتنا سوف يجلس فيه وينظر إلى كل تلك الأماكن البعيدة جداً عنا.. وفى كل مرة سوف نبكى ولن نكون أسرة تليق بك".

قال: "أنا لا أفهم شيئاً.. كيف أكون مخطئاً هكذا كما تقولين؟.. فقط دعيتى أفحص الآلة واختبرها كي أتأكد من صحة ما تقولين". ودخل فى الآلة وجلس فيها وقال لزوجته: "هل ستتصرفون وتتركوننى؟". أومأت زوجته برأسها وأجابت: "لا.. سوف تنتظرك يا (ليو)".

أغلق باب آلة السعادة.. وتردد داخل الظلام الدامس فيها.. ثم ضغط على الزر.. وسرعان ما جلس مسترخياً على ظهر مقعده وهو يستمتع إلى الموسيقى.. وفجأة سمع شخصاً ما يصرخ.. "حريق يا بابا!.. الآلة تحترق بالنار!".

قرع شخص ما بقوة على الباب.. ووثب على الفور واقفاً قاصطدم رأسه بسقف الآلة، وسقط أرضاً فى الوقت الذى انفتح فيه الباب وسحب به الأولاد بسرعة إلى الخارج.

سمع دوى انفجار مكتوم خلفه.. والآن كانت الأسرة كلها تعدو بأقصى سرعة.. واستدار (ليو أوفمان) وحدث فى آله وقال: "(سول)، استدع عربة المطافئ فوراً". ولكن (لينا أوفمان) أمسكت بـ (سول) وهو يجرى وقالت له: "(سول)، انتظر".



كانت السنة النيران تندفع بسرعة من جراء انفجار مكتوم ثان..  
وعندما كانت الآلة العجيبة على وشك التفحم، هزت (لينا أوفمان) رأسها  
وقالت: "حسناً يا (سول).. الآن اجر واستدع سيارة المطافئ".

كل إنسان لا دخل له بشيء أقبل ليشاهد النيران.. كان هناك الجد  
(سبولدينج) و(دوجلاس) و(توم) وأكثر السكان وبعض الرجال من كبار  
السن أقبلوا من الناحية الأخرى من الوادى الضيق وكل الأطفال من  
سنة مجمعات سكنية مجاورة.. ووقف أولاد (ليو أوفمان) فى المقدمة،  
وهم فخورون بالكيفية التى بدت بها النيران وهى تقفز من سقف الجراج  
إلى خارج المنزل!

تفحص الجد (سبولدينج) كرة الدخان المنتشرة فى السماء وقال  
بهذوء: "(ليو)، هل كان ما حدث منها هى؟.. هل هى آلة السعادة التى  
اخترعتها؟.. فقال (ليو أوفمان): "فى عام ما سوف أصلحها وعندئذ  
سأخبرك بذلك".

وقفت (لينا أوفمان) وسط الظلام وهى تراقب رجال الإطفاء وهم  
يهرعون داخلين إلى، وخارجين من، الفناء.. والجراج يهدر بالضجيج بعد  
أن انهار على نفسه.

قالت: "(ليو)، سوف تحتاج إلى عام تقريباً لكى تصلحها.. انظر  
حولك.. فكر جيداً.. وعليك بالهدوء قليلاً، ثم تعال لتخبرنى.. سوف أكون  
بالمنزل، حيث أضع الكتب من جديد على الأرفف، وأرتب الملابس مرة أخرى  
فى الدواليب.. وكذلك أعد طعام العشاء فى وقت متأخر فى تلك الليلة..

والآن يا أطفالى الأعزاء.. انظروا كم هى مظلمة هذه الليلة!.. هيا تعالا وساعدا ماما..

بعدما انصرف رجال الإطفاء والجيران، بقى (ليو أوفمان) مع الجد (سبولدينج) و(دوجلاس) و(توم).. يتأملون جميعهم بأسى الدمار المحترق الذى يتصاعد منه الدخان.. وحرك قدميه بحذر بين الرماد المبلل، ثم قال ببطء ما كان عليه أن يقوله.

“أول شىء تتعلمه فى حياتك هو أنك أحمق!.. بينما آخر شىء تتعلمه فى الحياة هو أنك مازلت أحمق!.. ففى ساعة واحدة، قمت بالكثير من التفكير العميق.. ومع ذلك أعتقد أنتى أنا - (ليو أوفمان) - أعمى!.. هل تريدون أن تشاهدوا آلة سعادة حقيقية؟.. حسناً، تلك الآلة تم اختراعها منذ ألقى سنة تقريباً.. وهى مازالت تعمل، صحيح ليس بصورة جيدة طول الوقت، لا!.. ولكنها تعمل على أية حال.. إنها موجودة هنا طوال الوقت!.

قال (دوجلاس): “ولكن لا تنس أن النار...“.

“نعم بالطبع النار.. الجراج!.. ولكن كما قالت (لينا)، فإن الأمر لن يستغرق عاماً واحداً.. وما احترق فى الجراج ليس ذا بال!..“.

سار الرجال الثلاثة وراءه حتى مقدمة الشرفة المكشوفة.. وهمس (ليو أوفمان): “هنا.. توجد النافذة الأمامية، لذا عليكم بالصمت وسوف ترونها“.. وبتردد حرق الرجال - الجد و(دوجلاس) و(توم) - باهتمام من خلال اللوح الزجاجى الكبير للنافذة.

هناك فى بقع صغيرة داغثة من ضوء المصباح، كان بمقدورك أن ترى ما أراد لك (ليو أوفمان) أن تراه.. هناك جلس (سول) و(مارشال) يلعبان الشطرنج على منضدة القهوة.. وفى حجرة الطعام كانت (رييكا) ترتب الأنوات الفضية.. أما (ناعومى) فكانت تقطع الملابس الورقية للعرائس.. وانهمكت (روث) فى الرسم بالألوان المائية.. وأخذ (جوزيف) يشغل قطاره الكهربائى.. ومن خلال باب المطبخ، أمكن رؤية (لينا أوفمان) وهى تخرج طعاماً ناضجاً من الفرن شديد السخونة.

كل رأس وكل يد وكل فم كان يتحرك بحركة صغيرة أو كبيرة.. وكان بمقدورك أن تسمع أصواتهم البعيدة من خلال الزجاج.. كان يمكنك سماع شخص ما يغنى بصوت عذب عال.. وشم رائحة الخبز أثناء نضجه أيضاً.. وكنت تعرف جيداً أنه خبز حقيقى، وسوف يتم مسحه أو تغطيته قريباً جداً بزبد حقيقى.. كل شىء كان هناك، وكان أيضاً يعمل جيداً.

استدار الجد و(دوجلاس) و(توم) لكى ينظروا إلى (ليو أوفمان)، الذى استغرق فى التحديق فى النافذة، وضوء وردى يلمع على وجنتيه.. ثم لم يلبث أن غمغم قائلاً: "نعم، هاهى ذى هناك".. ولاحظ - بأسى رقيق وفرح مفاجئ وأخيراً بتقبل إلى حد ما - أن كل أجزاء منزله أصبحت مختلطة ببعضها البعض وتحركت من أماكنها واستقرت فى أماكن معينة ثم جمعت شتات نفسها وركضت مرة أخرى بثبات.. وقال: "آلة السعادة.. آلة السعادة".. وبعد لحظة واحدة كان قد اختفى.



وبالداخل رأى الجد و (دوجلاس) و (توم) و (ليو أوفمان) وهو  
منهمك فى العمل ويقوم ببعض أعمال الضبط والإصلاح هنا وتخفيض  
الاحتكاك هناك.. كان مشغولاً جداً بين كل تلك الأجزاء الرائعة والبالغة  
الرقّة والغامضة التى سوف تعمل بلا توقف إلى الأبد.. وابتسم الرجال  
الثلاثة وهبطوا على درجات السلم إلى أسفل فى الهواء الطلق بتلك الليلة  
من ليالى الصيف المنعشة.

## مكالمة إلى (مكسيكو سيتي)<sup>(١)</sup>

...وعندئذ جاء ذلك اليوم، عندما كان يُسمع في كل الاتجاهات وكل ما يحيط بك، صوت سقوط التفاح - واحدة تلو الأخرى - من فوق الأشجار. في البداية، كانت تسقط واحدة هنا وواحدة هناك، ثم بعد ذلك بدأت ثلاث تفاحات تسقط معاً، ثم أربع وبعد ذلك تسع ثم عشرون. إلى أن جاء وقت أخذ التفاح يهبط عمودياً كالمطر، أو كطرقات حوافر حصان فوق العشب الناعم والقاتم. إنك التفاحة الأخيرة فوق الشجرة، تنتظر هبوب الريح لتنتزعك ببطء من الشجرة العالية التي تمسك بك، وتسقطك إلى أسفل وأسفل. وقبل أن تلامس العشب، سوف تنسى أنه كان هناك شجرة على الإطلاق، أو كان يوجد تفاحات أخريات، أو فصل صيف أو عشب أخضر في الأسفل، إنك سوف تسقط في دياجير الظلام..

..٧

---

(١) عاصمة المكسيك التي تقع بين الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا الوسطى. (المترجم).

هكذا همس الكولونيل (فريلى) لنفسه، وقد فتح عينيه بسرعة، وجلس منتصباً فوق كرسيه المتحرك<sup>(٢)</sup>. دفع بيده الباردة إلى الخارج بحركة سريعة مفاجئة ليبحث عن الهاتف. كان الهاتف لا يزال فى مكانه! التقطه وألصقه بعنف فوق صدره لوهلة، ثم أخذ يطرف بعينه.

وجه حديثه لحجرته الفارغة "إنتى لا أحب هذا الحلم".

وأخيراً، ارتعدت أصابعه وهو يرفع السماعة ويطلب عاملة البدالة المشتغلة بتوصيل المكالمات بعيدة المدى. أعطاهما رقم هاتف لتطلبه له، ثم انتظر، أخذ يراقب باب حجرة النوم، وكأنهما - فى أى لحظة - سوف يندفع منه حشد مزعج من الأبناء والبنات والأحفاد والمرضات والأطباء، ليحرموه من المتعة الضرورية لاستمرارية الحياة، التى سمحت بها حواسه المنقوصة.

منذ أيام عديدة انقضت، أو لعلها سنوات، عندما كان قلبه يخفق بعنف - مثل الخنجر - بين ضلوعه ولحمه، لقد سمع الأولاد بالأسفل، حاول أن يتذكر أسماءهم. ماذا كانت؟

تشارلس، تشارلى، تشك، نعم! وبوجلاس! وتوم! لقد تذكر! كانوا ينادون على اسمه فى القاعة، هناك بعيداً فى الأسفل، وعندما انصفق الباب فى وجوههم، عاد الأولاد من حيث أتوا. لقد قال له الطبيب، يجب

---

(٢) كرسى المقعدين. (المترجم)



ألا تتعرض لأية إثارة، لا زوار، لا زوار، لا زوار. ثم سمع الأولاد يتحركون عبر الشارع، لقد شاهدتهم، ولوح لهم بيده. وقاموا هم أيضاً بالتلويح له. "كولونيل.. كولونيل".

ثم أصبح وحيداً مع قلبه - الذي يشبه ضفدع طين<sup>(٣)</sup> رمادي صغير - يخفق بضعف هنا أو هناك، داخل صدره من وقت لآخر.

قالت عاملة البذالة "كولونيل (فريلى)، هذه هي مكالماتك. مكسيكو سيتي. أريكسون ٢٨٩٩".

تناهى إلى سمعه - عبر الهاتف - صوت بعيد ولكنه بالتأكيد واضح النبرات "بونو"<sup>(٤)</sup>.

صاح الرجل العجوز (الكولونيل) "جورج!".

"سنيور"<sup>(٥)</sup> (فريلى) مرة ثانية؟ إن هذا يكلف نقوداً".

قال الكولونيل "لا تهمنى التكلفة! هل تعلم ماذا سوف تفعل؟".

"نعم. النافذة، أليس كذلك؟".

"بلى النافذة يا جورج، لو سمحت".

قال الصوت "لحظة واحدة".

---

(٣) إحدى البرمائيات عديمة الذيل. (المترجم).

(٤) ريو بونو مدينة فى شيلي بأمريكا الجنوبية. (المترجم).

(٥) "سيد" باللغة الإيطالية والإسبانية. (المترجم).

عندئذ، وعلى بعد آلاف الأميال، فى أرض بالجنوب، وبالتحديد فى مكتب بإحدى بنايات هذه الأرض، كان هناك صوت لوقع أقدام تبتعد عن الهاتف. انحنى الكولونيل إلى الأمام، ضاغطاً السماعة بإحكام فوق أذنه المتغضنة، يتحرق شوقاً، منتظراً الصوت التالى القادم من بعيد.

وهنا سمع صوت رفع إطار نافذة.

تتهد الكولونيل بصوت يعبر عن الرضا "آه".

وتصاعدت أصوات الضجيج فى (مكسيكو سيتي)، عبر النافذة المفتوحة، إلى حيث الهاتف المرفوع الذى ينتظره، واستطاع الكولونيل أن يتخيل (جورج) يقف هناك يمسك بالسماعة بعيداً، إلى حيث النافذة والنهار المشرق.

قال (جورج) "سنيور...".

قاطع الكولونيل بسرعة "لا، لا. أرجوك دعنى أنصت".

سمع أبواقاً معدنية تطلق أصواتاً كتعيق البوم، والأصوات الحادة لغرامل السيارات، ونداءات البائعين على الموز الأرجوانى اللون والبرتقال المزروع فى الغابات.

بدأت أقدام الكولونيل تغير من موقعها - وهى مدلاة عند حافة كرسي المقعدين - لتتخذ وضع إنسان يتحرك. وراحت عيناه تضيقان للغاية. وأخذ يستنشق أنفاساً قصيرة من الأنف، عميقة ومتتالية، كأنما ليتمكن من تشمم روائح اللحوم المعلقة فوق أسياخ شواية فى

أشعة الشمس، وفوقها غلالة من الذباب تشبه الغطاء الذى يوضع فوق حبات العنب المجففة، وكذلك رائحة الممرات الحجرية الموجودة بين الأشجار، والمبللة بأمطار الصباح، واستطاع أن يشعر بأشعة الشمس تحرق وجنتيه التى نمت عليهما لحية خشنة، شعرها كالأشواك، وأحس الكولونيل بأن الزمن عاد به، ليصبح فى الخامسة والعشرين من عمره، قادراً على السير دائماً، والتطلع إلى ما حوله، والابتسام، تكتنفه السعادة بكونه مفعماً بالحيوية والنشاط الدائب واليقظ، يشرب ما يشاء، مهما تباينت المشروبات فى الألوان والروائح.

عندئذ سمع طرقة على الباب، فأسرع بإخفاء الهاتف تحت Lop robe .. دخلت الممرضة وقالت "مرحباً. هل أنت بخير؟". رد عليها الكولونيل بصوت ألى "نعم". كان من الصعب عليه أن يراها.

فقد كانت صدمة بالنسبة إليه، تلك الطرقة البسيطة على الباب، إذ كان جزء من كيانه مازال فى مدينة أخرى، هناك بعيداً، وانتظر عقله ليعود له، إذ لابد أن يكون هنا، ليجيب عن الأسئلة، ويتصرف بعقلانية ويكون مهذباً.

قالت الممرضة "جئت لقياس نبضك".

قال الكولونيل "ليس الآن".

افتتر ثغرها عن ابتسامة وقالت: "إنك لا تتوى أن تذهب إلى أى مكان، أليس كذلك؟".



حديق فى الممرضة دون أن تطرف له عين. إنه لم يذهب إلى أى مكان منذ عشر سنوات.

قالت الممرضة "أعطني معصمك".

كانت أصابعها المدربة، صلبة ودقيقة، وهى تبحث عن الاضطراب فى النبض، كانت تشبه زوجا من فرجار<sup>(٦)</sup> السمك.

قالت متسائلة "ما الذى فعلته لتصبح متوتراً هكذا".

أجابها قائلاً: "لا شىء".

تجولت ببصرها فى الحجرة، وتوقفت عند منضدة الهاتف، حينئذ انطلق صوت خافت لبوق سيارة على بعد ألفى ميل، عبر سماعة الهاتف، أخذت السماعة من تحت ثوبه، ولوحت بها أمام وجهه، وقالت "لماذا تفعل هذا بنفسك؟ لقد وعدت أنك لن تفعل هذا مرة أخرى.. إنك تضر نفسك بالتأكيد، أليس كذلك؟ بالانفعال والثرثرة. إن هؤلاء الأولاد بالأعلى يتقافزون فى كل الاتجاهات...".

قاطعها الكولونيل قائلاً: "إنهم يجلسون هادئين ويصغون، وقد حكيت لهم عن أشياء لم يسمعوا عنها من قبل، مثل الثور الأمريكى والجاموس، لقد كان الأمر يستحق. أنا لا أهتم. فقد كنت أعانى من حمى شديدة ولكننى كنت على قيد الحياة.. ولا يهم إذا كان الإنسان المقعم بالحياة

---

(٦) أداة لقياس سمك الأشياء (المترجم).

يمكن أن يطاله الموت، ومن الأفضل أن يصاب الإنسان بحمى سريعة فى كل مرة. والآن اعطنى هذا الهاتف. إذا لم تتمكنى من السماح للأولاد أن يأتوا إلى هنا، ويجلسوا بهدوء، فعلى الأقل دعينى أتحدث إلى شخص ما خارج هذه الحجرة.

قالت المريضة "أنا أسفة أيها الكولونيل، إن حقيديك يجب أن يعلم بهذا الأمر. وقد منعتك من أن يرفع الهاتف فى الأسبوع الماضى، ولكن الآن يبدو أننى سوف أعطيه الفرصة ليفعل".

قال الكولونيل "هذا منزلى، وهذا هاتفى، وأنا الذى أدفع لك راتبك!".

قالت المريضة وهى ترفع بكرسيه المتحرك عبر الحجرة: "إننا نفعل هذا لكى تتحسن صحتك ولا تنفعل أو تتوتر، والآن إلى الفراش، أيها الشاب!".

استلقى الكولونيل فوق الفراش وأخذ ينظر إلى الهاتف باستمرار. قالت المريضة: "سأذهب للتسوق، ولن يستغرق الأمر إلا عدة دقائق، ولكى أتأكد أنك لن تستعمل الهاتف من جديد، فسوف أخبئ كرسيك المتحرك فى الردهة".

راحت المريضة تدفع الكرسي المتحرك الفارغ، خارج الحجرة عبر الباب وهناك عند مدخل أسفل الدرج، سمعها وهى تتوقف وتطلب رقمًا من الهاتف الخارجى.

همس لنفسه متعجباً "هل تتصل بمكسيكو سيتي؟" إنها لن تجرؤا.

عندئذ انصفق الباب الأمامي للمنزل.

أخذ يفكر ملياً في الأسبوع الأخير الذي قضاه هنا، وحيداً، في حجرته، وتلك المكالمات - عبر القارات - التي كانت تخفف من آلامه وتحسن من مزاجه، كانت كالبرزخ<sup>(٧)</sup>، دول تزخر بالأدغال والغابات المطيرة، وسهول من زهور الأوركيدا الزرقاء، وبحيرات وتلال... تتحدث وتستمر في الحديث عبر الهاتف إلى (بوينس أيريس)<sup>(٨)</sup> .. و.. (ليما)<sup>(٩)</sup> .. و(ريودي جانيرو)<sup>(١٠)</sup> ..

رفع جسمه بصعوبة فوق فراشه البارد، غداً سوف يأخذون الهاتف!

كم كان أحرق وطماعاً!.. انزلق بساقيه الهشتين من الفراش، متعجباً من جفافهما، ولونهما الأبيض المصفر.

لقد بدا له ساقاه وكأنتهما أشياء ربطت إلى جسمه، ذات ليلة، بينما كان نائماً أمام ساقيه العفيتين الشابتين، فقد نزعتهما وحرقت في فرن قبو تحت الأرض.

---

(٧) ممر يربط بين كتلتين كبيرتين من اليابسة. (المترجم).

(٨) عاصمة الأرجنتين بأمريكا الجنوبية. (المترجم).

(٩) عاصمة بيرو بأمريكا الجنوبية. (المترجم).

(١٠) من أكبر مدن البرازيل بأمريكا الجنوبية. (المترجم).



وعلى مدى السنين، قاموا بتدمير كل أعضاء جسمه، فقد انتزعوا يديه وذراعيه وساقيه، وتركوه بأعضاء صناعية بديلة، ضعيفة وعديمة الفائدة، مثل قطع الشطرنج.

وفى الوقت الحاضر، أصبحوا يعيثون بشيء غير ملموس.. إنها الذاكرة، لقد حاولوا إزالة الذكريات الماضية التي تقود إلى عام آخر انقضى.

غادر الفراش وعبر الحجرة في خطوات سريعة متعثرة، ثم أمسك الهاتف بإحكام، وأخذه معه بينما كان يستند إلى الجدار، ليتمكن من الجلوس على الأرضية. واتصل بعاملة السنترال بعيدة المدى، وراح قلبه يدق في صدره بعنف، أسرع وأسرع، وغشيت عيناه قتامة.

قال بلهفة "أسرعى، أسرعى".

وانتظر

"يونو؟"

"(جورج)! لقد انقطع الاتصال بيننا"

قال الصوت الذى يأتى من بعيد "سنيورا يجب ألا تتصل ثانية. لقد اتصلت بى ممرضتك وقالت إنك مريض للغاية، يجب أن أنهى هذه المكالمات".

توسل إليه الكولونيل قائلاً: "كلا يا (جورج)!.. أرجوك! مرة واحدة أخيرة، أنصت إلىّ. سوف يأخذون الهاتف منى غداً. ولن أتمكن من الاتصال بك مرة ثانية أبداً".

لم يتفوه (جورج) ببنت شفة.

استطرد الكولونيل قائلاً: " (جورج)! بالله عليك .. من أجل الصداقة والأيام الخوالي! إنك لا تعرف ماذا يعنى هذا لى، أنت فى مثل سننى، ولكنك تستطيع أن تتحرك، إننى لم أتحرك إلى أى مكان، منذ عشر سنوات."

سقط منه الهاتف، وعانى كثيراً حتى تمكن من التقاطه من جديد، وشعر بصدرة ثقیلاً من فرط الألم، قال " (جورج) أنت مازلت على الخط، أليس كذلك؟"

قال (جورج): "هذه ستكون المرة الأخيرة؟"

رد عليه بلهفة: "أعدك بهذا"

ثم وضع الهاتف فوق طاولة، على بعد آلاف الأميال، ومرة أخرى، شعر الكولونيل بالحميمية الحقة والألفة الصادقة، صوت وقع الأقدام، ومرور فترة زمنية قصيرة وأخيراً رفع إطار النافذة.

همس الكولونيل لنفسه: "اسمع".

وسمع ألف شخص يسيرون فى ضوء شمس مختلف، والصوت الخافت لنغمات موسيقية خفيفة، تصدر عن عازف الأورغن اليدوى فى الشوارع "لا مارينبا"، آه يا لها من نغمات راقصة رائعة."

ضيق الكولونيل عينيه محدقاً، ورفع يديه، وكأنه يمسك بآلة تصوير يلتقط بها صور كاتدرائية<sup>(١١)</sup> قديمة، وشعر بأن جسمه أصبح أكثر ثقلًا باللحم النابض بالحياة الذي جعله شاباً من جديد، بل إنه أحس بالرصيف الحار تحت قدميه.

كان يريد أن يقول: "أنتم لازلتم هناك، أليس كذلك؟ كلكم أيها الناس في هذه المدينة، في وقت القيلولة<sup>(١٢)</sup> المبكرة، المتاجر مغلقة، والأولاد الصغار يصيحون "Loteria nacional para hoy" لبيع أوراق اليانصيب. كلكم هناك، الناس الذين في المدينة، لا أصدق أنني في يوم ما كنت بينكم، عندما تبتعد عن أي مدينة، فإنها تتحول إلى حلم يقظة، أي مدينة دون استثناء، نيويورك، شيكاغو.. بكل ما فيها من ناس، تصبح غير محتملة بسبب بعد المسافة.

مثلى أنا تماماً هنا، بولاية أليفوى، في مدينة صغيرة بجانب بحيرة هادئة. كل منا غرباء، بالنسبة إلى بعضنا البعض، لأننا لسنا متواجدين معاً، ومن ثم يكون شيئاً رائعاً أن ننصت إلى الأصوات، ونعرف أن مكسيكو سيتي مازالت موجودة هناك، وأن الناس فيها يعيشون ويمارسون أنشطة حياتهم اليومية.

جلس الكولونيل العجوز وهو يضغط سماعة الهاتف بإحكام على أذنه.

---

(١١) كنيسة كبرى مركزية. (المترجم).

(١٢) استراحة الظهر. (المترجم).



وفى النهاية جاء أكثر الأصوات وضوحاً وإزعاجاً، صوت الترام<sup>(١٣)</sup> الأخضر، يسير إلى أحد أركان الشارع وهو مزدحم بأناس سمر وغرباء وأناس متائقين، وأصوات أناس آخرين يركضون وينادون، ويصيحون بفرح، عندما يثبون إلى داخل الترام ويأخذون فى التأرجح مع اهتزازة، ثم يختفى الترام عند أحد أركان الشارع، وهو يسير على قضبان سكة حديد، التى تصدر عنها أصوات حادة وكأئها الصرخات.

ويحمل الترام هؤلاء الركاب بعيداً - عبر مسافات تغمرها أشعة الشمس الحارقة - تاركاً خلفه رائحة فطائر التورتية<sup>(١٤)</sup> التى تقلى فى أفران السوق، أم لعل كل هذا مجرد أوهام، وأنه لا يستمع فى حقيقة الأمر إلا الأصوات التى ترتفع تارة وتنخفض أخرى بسبب التشويش المهتز، على طول ألفى ميل من الأسلاك النحاسية؟..

ظل الكولونيل العجوز جالساً فوق الأرضية.

ومر الوقت..

انفتح الباب الخارجى بتؤدة، وسمع صوتاً خفيفاً لوقع أقدام، ترددت لهنيهة ثم صعدت الدرج دمدمة أصوات وشخص ما يقول: "يجب ألا نكون هنا".

---

(١٣) حافلة عامة تسير على سكة حديد داخل المدينة. (المترجم).

(١٤) فطائر حلوى تصنع من دقيق الذرة أو القمح. (المترجم).

"لقد اتصل بى هاتفياً.. إنه فى أمس الحاجة إلى زوَّار،  
يجب ألا نخذله".

"إنه مريض!"

"بالتأكيد!.. لقد قال لى أن نأتى عندما تكون الممرضة بالخارج.  
سوف نمكث معه لدقائق فقط، نقول له مرحباً ثم..

انفتح باب حجرة النوم على مصراعيه، ووقف الأطفال الثلاثة  
ينظرون إلى الكولونيل العجوز، الجالس على الأرضية.

قال (دوجلاس) برقة "الكولونيل (فريلى)؟"

ثمة شيء ما فى صمته، جعلهم يفتغرون أفواههم.

اقتربوا منه على أطراف أصابعهم.

انحنى (دوجلاس) وأخذ الهاتف من بين أصابع الكولونيل العجوز،  
التي أصبحت الآن باردة تماماً، رفع (دوجلاس) سماعة الهاتف إلى  
أذنه وأنصت، وسمع - أعلى من التشويش - صوتاً بعيداً غريباً  
ولكنه واضح.

صوت إغلاق نافذة على بعد ألفى ميل.

## المؤلف فى سطور :

### راى برادبورى

- ولد فى ٢٢ أغسطس عام ١٩٢٠ فى مدينة (ووكيجان) بولاية (آلينوى) الأمريكية.

- وتخرج فى المدرسة الثانوية عام ١٩٤١، وبدأ عمله بائع صحف.

- فى عام ١٩٤١، باع (برادبورى) أول قصصه القصيرة إلى دار نشر اسمها "قصص رائعة من الخيال العلمى"، وعندئذ تفرغ تماماً للكتابة.

- فى عام ١٩٤٧، طبع أول مجموعة قصصية له فى كتاب تحت اسم "الكرنفال الرهيب"، ومنذ ذلك الوقت بدأت بعض كتبه تحصد جوائز.

- ظهرت قصته الشهيرة "٤٥١ فهرنهايت" التى تحولت فيما بعد إلى فيلم سينمائى لاقى نجاحاً مذهلاً، وسرعان ما بدأ يكتب للراديو والتلفاز.



- وفى عام ١٩٥٧، تم طبع قصته "نبىذ الهنءباء البرية" المستقاة من طفولته بولاية (آلينوى)، كما كتب سيناريو الفيلم السينمائى (موبى دىك).

- فى عام ١٩٦٨، تم اختياره مؤلفاً يصلح للقراءة فى المدارس والكلليات، أى أنه أصبح واحداً من الكتاب الذين جعلوا الخيال العلمى مجالاً محترماً.

- تتميز أعمال (برادبورى) بالتنوع الكبير، وعموماً هو يكتب قصصاً قصيرة من نوعيات كثيرة متباينة: قصص الحياة العادية - قصص الاضطرابات النفسية العميقة والمروعة - قصص الأطفال - قصص رحلات الفضاء التى تتميز بالرعب والمرح والخيال - قصص الغموض والأسرار - قصص الفانتازيا والخيال العلمى.

- أسلوب (برادبورى) يماثل أسلوب الشعر، فهو دائماً واضح ومبدع، كما أنه دقيق للغاية فى اختيار أسلوبه وصوره، وهو أسلوب يزخر بالكثير من الأحداث المثيرة،

ويتسم بالبلاغة والتتميق وينمط قصصى وأفكار متفردة  
خاصة به فقط.

- توفى راي برادبوري في ٥ يونيو ٢٠١٢ عن عمر يناهز الواحد  
والثسين عاماً.

المترجم فى سطور :

رؤوف وصفى صبحى

- ولد فى القاهرة.

- عمل بالتدريس بجامعة مصر والعراق والكويت.

- نال جائزة تيسيط العلوم - أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا

وجائزة الثقافة العلمية - أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا.

- عضو اتحاد الكتاب.

- ترجم العديد من الكتب العلمية وفى مجال الخيال العلمى منها:

"الروبوت" و"الحاسب الآلى" و"كوكب الأرض" و"مذنب هالى"  
و"مؤسسة الكويت للتقدم العلمى" - ومسرحيات من الخيال العلمى  
(وزارة الإعلام - الكويت).

- وقام بترجمة ثلاث رؤى للمستقبل و"حرب العوالم" (طبعتان)

و"الرجل الخفى" و"بشر كالأرباب" و"القصص الكاملة

لـ هـ.جـ. ويلز" (أربعة أجزاء) للمركز القومى للترجمة.

كذلك ترجم مقالات علمية بمجلة الثقافة العالمية.



- شارك في العديد من الندوات منها "ندوة الخيال العلمي"، وقام بإعداد البرنامج التلفازي "سؤال وجواب" وتقديمه بتلفزيون الكويت، ومسلسل "الخيال العلمي" (إذاعة الكويت).
- نشرت مقالاته وقصصه في عدد كبير من الصحف والمجلات العربية، منها: جريدة الأهرام وجريدة الأخبار ومجلة العلم (مصر) ومجلة العربي الكويتية والعربي العلمي، ومجلة التقدم العلمي (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي)، ومجلة دبي الثقافية (الإمارات).
- أحد رواد أدب الخيال العلمي والثقافة العلمية بالوطن العربي.
- المنسق العام لرابطة كتاب الخيال العلمي العرب.
- حاصل على شهادة تقدير وميدالية من نقابة العلميين.
- محاضر بالدورات التدريبية لإعداد المترجمين - المركز القومي للترجمة.
- نال جائزة مؤسسة هانز زايدل الألمانية.
- ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الإيطالية.



تتميز أعمال "راى برادبورى" وقصصه بالتنوع الكبير، وعموماً فهو يكتب قصصاً قصيرة من نوعيات كثيرة متباينة: قصص الحياة العادية - قصص الاضطرابات النفسية العميقة والمروعة - قصص الأطفال - قصص رحلات الفضاء التى تتميز بالرعب والمرح أو الخيال - قصص الغموض والأسرار التى تتطوى على توجيه أخلاقى أو شرح موضوعات غيبية أو خارقة.

أما عن الخيال العلمى، فلا شك أن حماس "برادبورى" له، يغزو عالم المستقبل ذاته، فهو يشعر بأنه مطالب بتحذير الناس من أية كوارث محتملة، وبث الرغبة فى تحقيق المجد والفخر، مادام ذلك فى الإمكان.

وأسلوب "برادبورى" يعاثل أسلوب الشعر، ويتسم بالدقة فى اختيار أسلوبه وصوره؛ إذ يتسم بالبلاغة والتنميق وينمط قصصه، وبأفكار متفردة خاصة به فقط.